سورة الأعراف
مكية وآياتها ست ومائتان

﴿ المص ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾

اللغة :

(المص) : تقدم القول مفصلاً في سورة البقرة عن فواتح السُّوَر ، ونضيف إليه الآن ما أورده السيوطي في إحدى رواياته ، ومؤدّاه أن هذه الحروف صوت الوحي عند أول نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كألا وأمّا ، ، لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم ؛ والقرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم

تمهد ، لتكون أبلغ في قرع الأسماع . وذكر أيضاً أن العرب إذا سمعوا القرآن لغوا فيه ، فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ، ويكون تعجبهم منه سبيلاً لاستمالتهم ، وسماعهم له سبيلا لاستماع ما بعده ؛ فترق القلوب ، وتلين الأفئدة . وفي هذا الذي أورده السيوطي الكثير من الحصافة ، ودقة النظر ، فالنفس الى المعجب أهش ، والى المفاجىء غير المألوف المعتاد أشوق .

الاعراب :

(المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه) : المص : تقدم إعراب فواتح السور في سورة البقرة ، فجدد به عهداً . وكتاب خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو كتاب ، وجملة أنزل إليك صفة لكتاب ، وإليك جار ومجرور متعلقان بأنزل ، والفاء عاطفة لتأكيد المبالغة في النهي عن الحرج ، وهو هنا الشك والامتراء ، والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ، فالمراد نهيه عما يورث الحرج . ولا ناهية ، ويكن فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي صدرك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكن المقدم ، وحرج اسمها المؤخر ، ومنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لحرج ، فمن الجارة سببية (لتنذر به وذكرى للمؤمنين) اللام للتعليل ، وتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بأنزل ، وبه جار ومجرور متعلقان بتنذر ، وذكرى : يحتمل أن تكون معطوفة على « لتنذر » ، وامتنع نصبه على المفعولية لأجله لاختلاف زمنه مع زمن المعلل ، ولاختلاف الفاعل ، ففاعل الإنزال هو الله ، وفاعل الإنذار هو النبي ، ويجوز عطفه على محل « لتنذر » ، على غرار عطف الحال

الصريحة على الحال المؤوّلة ، كقوله تعالى « ... دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً » ، ويجوز رفع « ذكرى » على أنها خبر لمبتدأ محذوف أو العطف على « كتاب » ، وقد سها أبو البقاء فأجاز أن تكون حالاً ، وهذا لا يجوز لدخول الواو على حال صريحة . ويجوز جره عطفاً على المصدر المؤول من أن المقدرة والفعل ، والتقدير : للإنزال والتذكير . وقال الكوفيون : هو مجرور عطفاً على الضمير في « به » ، وللمؤمنين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذكرى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) كلام مستأنف مسوق لمخاطبة المكلفين عامة ، وخاصة الكافرين ، بدليل قوله : ولا تتبعوا من دونه أولياء . واتبعوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة أنزل صلة الموصول ، وإليكم جار ومجرور متعلقان بأنزل ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الموصول (ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا ، ومن دونه جار ومجرور متعلقان بتتبعوا ، أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لأولياء وتقدمت ، وأولياء مفعول به ، وقليلاً نعت لمصدر محذوف ، أي تذكراً قليلاً ، أو نعت لزمان ، أي زماناً قليلاً ، وما مزيدة للإيغال في التوكيد للقلة ، وتذكرون : أصله تتذكرون ، فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه ، وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل .

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا

إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾

اللغة :

(بياتاً) أي : ليلاً ، وهو في الأصل مصدر ، يقال : بات يبيت ويبات بيتاً وبيتة وبياتاً وبيتوتة ومبيتاً ومباتاً من بابي فتح وجلس في المكان : أقام فيه الليل .

(قائلون) نائمون وقت الظهيرة ، والقيلولة هي نوم نصف النهار أو استراحة نصفه ، وإن لم يكن معها نوم . وهذا مقيل طيب ، وهو شروب للقَيْل ، وهو شراب القائلة : وهي نصف النهار . وقالت أمّ تأبّط شراً : « ما سقيته غيلاً ، ولا حرمته قيلاً » ، وهي رضعة نصف النهار . واقتال الرجل كما تقول : اصطبح واغتبق .

الاعراب :

(وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للتحدث عن الأمم الماضية ، وماذا كان مصيرها ؟ بسبب إعراضها عن الحق وصدوفها عن استماع تعاليمه . وكم خبرية في موضع رفع على الابتداء ، ومن قرية تمييز كم الخبرية ، وقد تقدّم حكمه ، وجملة أهلكناها خبر « كم » . ويجوز إعراب « كم » على أنها في موضع نصب على الاشتغال بإضمار فعل يفسره

ما بعده ، وجملة أهلكناها لا محــل لها لأنها مفسرة ، والفاء عاطفة للترتيب والتعقيب ، وسيأتي بحث طريف عنها في باب الفوائد ، وجاءها بأسنا فعل ومفعول به وفاعل ، والجملة معطوفة على أهلكناها ، وبياتاً يجوز أن يكون ظرفاً باعتبار المعنى ، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال ، بمعنى بائتين ، وعليه أكثر المعربين ، والأول أمكن في المعنى ، والثاني أقيس في الإعراب • وأو حرف عطف ، وهم مبتدأ ، وقائلون خبر ، والجملة معطوفة على « بياتاً » ، فهي حالية • وهنا يرد اعتراض وهو : كيف أتت الجملة حالية من دون واو ؟ إذ لا يقال : جاءني زيد هو فارس ، بغــير واو ؟ والجواب سيأتي في باب الفوائــد (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) الفاء استئنافية ، وما نافية ، وكان واسمها ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بدعواهم ، وجملة جاءهم بأسنا في محل جر بالإضافة (إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) إلا أداة حصر ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر كان ، وإن واسمها ، وجملة كنا ظالمين خبر إن ، وجملة إنا وما في حيزها في محل نصب مقول القول (فلنسألنّ الذين أرسل إليهم ولنسألنّ المرسلين) الفاء عاطفة ، والمقصود منها ترتيب الأحوال الأخروية على الأحوال الدنيوية في الذكر حسب ترتيبها عليها في الوجود • واللام موطّئة للقسم ، ونسألن فعل مضارع مبني على الفتح لاقترانه بنون التوكيد الثقيلة وجوباً ، كما ستعلم في باب الفوائد،والفاعل مستتر تقديره نحن وجملة لنسألنّ معطوفة والذين اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة أرسل صلة الموصول . وهو بالبناء للمجهول ، ونائب الفاعل الجار والمجرور وهو إليهم ، ونسألن المرسلين عطف على ما تقدم • ومعنى سؤل المرسل إليهم التسجيل على الكفار إحجامهم عن الاستماع لما قالوه لهم وأبلغوهم إياه (فلنقصنّ عليهم بعلم و ما كنا غائبين) عطف على ما تقدم ، وعليهم جار ومجرور

متعلقان بنقصنّ ، أي : على كل من الرسل والمرسل إليهم ما كان من أمرهم ، وبعلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل نقصنّ ، أي : عالمين بمكنونات أحوالهم ، ومنطويات سرائرهم ، وما ندّت عنه شفاههم . والواو للحال ، وما نافية ، وكان واسمها ، وغائبين خبرها ، والجملة في محل نصب على الحال . وجميع هـذه الأسئلة والقصص للتوبيخ والتقريع كما يفعل المحقق مع المجرم لإدانته بما فعلته يداه أمامه .

البلاغة :

المجاز المرسل بقوله وكم من قرية أهلكناها فقد ذكر القرية وأراد أهلها ، وهو مجاز علاقته المحلية . وقد تقدمت له نظائر .

الفوائد :

واو الحال :

هي واو يصحّ وقوع الظرف موقعها ، ولها ثلاث أحوال : وجوب الذكر وامتناعه وجوازه . وفيما يلي مواقع تلك الأحوال :

١ ـ وجوب الذّكر :

آ ـ أن تكون جملة الحال اسمية مجردة من ضمير يربطها بصاحبها ، نحو قوله تعالى : «لئن أكله الذئب ونحن عصبة » .

ب ـ أن تكون جملة الحال مصدرة بضمير صاحبها ، نحو : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » .

٢ ـ امتناع الذكر في سبع صور :

آ ـ أن تقع بعد عاطف نحو : « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون » .

ب ـ أن تكون مؤكدة لمضمون الجملة قبلها نحو : « ذلك الكتاب لا ريب فيه » إذا أعربنا جملة « لا ريب » حالية .

جـ ـ أن تكون ماضية بعد إلا نحو : « وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » .

د ـ أن تكون ماضية قبل « أو » نحو :

كن للخليل نصيراً جاد أو عدلا ولا تشحّ عليه جار أم بخلا

هـ ـ أن تكون مضارعة مثبتة غير مقترنة بـ « قد » ، وحينئذ تربط بالضمير وحده ، نحو : « ولا تمنن تستكثر » . وأما قول عنترة :

علقتها عرضاً وأقتل قومها قسماً لعمر أبيك لبس بمزعم

فجملة : « وأقتل قومها » حال من التاء في « علقتها » ، وهي مقترنة بالواو مع المضارع المثبت ، واختلف في تخريجها ، فقيل : ضرورة ، وقيل : الواو عاطفة ، والمضارع مؤوّل بالماضي ، والتقدير : وقتلت قومها ، فعدل عن لفظ الماضي إلى لفظ المضارع لحكاية الحال الماضية ، ومعناها أن يفرض ما كان في الزمن الماضي واقعاً في هذا الزمان ، فيعبر عنه بلفظ المضارع . وقيل : هي واو الحال ، والمضارع خبر مبتدأ محذوف ، أي : وأنا أقتل قومها .

و ــ أن تكون مضارعة منفية بـ « ما » ، نحو قوله :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة فما لك بعد الشّيب صبّاً متيّما

ز ــ أن تكون مضارعة منفية بـ « لا » نحو : « وما لنا لا نؤمن بالله » ، فإن كانت الجملة المضارعة منفية بـ « لم » جاز ارتباطها بالواو كقول النابغة :

سقط النّصيف ولم ترد إسقاطه فتناولتــه واتّقتنا باليـــد

وجاز عدم ارتباطها بها ، ولكن بالضمير وحده ، نحو : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » ، وقول زهير :

كأنّ فتات العهن في كلّ موطن نزلن به حبّ الفنا لم يحطّـم

وإن كانت منفية بـ « لمـــا » فالمختــــار ربطهـــا بالواو نحو : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ، وقول الشاعر :

أشوقاً ولما يمض لي غـير ليلة فكيف إذا جدّ المطيّ بنا عشرا

٣ ــ جواز الذكر وعدمه :

وذلك في غـير ما تقدم من صور وجوبها وامتناعهــا . وهناك تفاصيل أعرضنا عنها ، يرجـع إليها من شاء في كتب النحو المفصلة . إذا عرفت هذا أدركت أن اعتراض الزمخشري غير وارد، وإليك التفصيل.

مناقشة ممتعة :

ما يقوله الزمخشري :

ويقول الزمخشري : « فإن قلت : يقال : « جاء زيد هو فارس » بغير واو فما بال قوله تعالى : « أوهم قائلون » ؟ قلت : قدّر بعض النحويين الواو المحذوفة ، ورده الزّجّاج وقال : لو قلت : جاءني زيد راجلاً أو هو فارس ، أو جاءني زيد هو فارس ، لم يحتج فيه إلى واو ، لأن الذكر قد عاد الى الأول . والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالاً لاجتماع حرفي عطف ، لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل ، فقولك : جاز زيد راجلاً ، أو هو فارس ، كلام فصيح وارد على حدّه . وأما : جاءني زيد هو فارس ، فخبيث » .

ردّ أبي حيّان على الزمخشري والزجاج :

وقد رد أبو حيان يقول : « فأما بعض النحويين الذي اتهمه الزمخشري فهو الفراء ، وأما قول الزمخشري في التمثيلين : لم يحتج فيه الى الواو لأن الذكر قد عاد الى الأول ، ففيه إبهام ، وتعيينه لم يجز دخولها في المثال الثاني ، فانتفاء الاحتياج ليس على حدّ سواء ، لأنه في الأول لامتناع الدخول ، وفي الثاني لكثرة الدخول ، لا لامتناعه . وأما قول الزمخشري : والصحيح الى آخره ، فتعليله ليس بصحيح ، لأن واو الحال ليست حرف عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطف ، لأنها لو كانت للعطف للزم أن يكون ما قبل الواو حالاً حتى يعطف حال على حال ، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون حالاً دليل على أنها ليست واو عطف ولا لحظ فيها معنى العطف . تقول : جاءني زيد

والشمس طالعة ، فجاء زيد ليس بحال ، فتملف عليه جملة حال ، وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال ، وهي قسم من أقسام الواو ، كما تأتي للقسم ، وليست فيه للعطف إذا قلت : والله لتخرجنّ . أما قولـه : « فخبيث » فليس بخبيث ، وذلك أنه بناه عـلى أن الجملة الاسمية إذا كان فيها ضمير ذي الحال فإن حذف الواو منها شاذ ، وتبع في ذلك الفراء ، وليس بشاذّ ، بل هو كثـير وقوعه في القرآن وفي كلام العرب ، نثرها ونظمها ، وهو أكثر من رمل يبرين وفلسطين . وقد ذكرنا كثرة مجيء ذلك في شرح التسهيل . وقد رجع الزمخشري عن هذا المذهب الى مذهب الجماعة » .

تعقيب على كلام أبي حيان :

أقول : لا يخلو ردّ أبي حيان من تهافت ، فقد تعقب عليه بأن أصل الواو العطف ، ثم استعيرت لربط الحال بعاملها ، كما أن الفاء أصلها العطف ، ثم استعيرت لربط الجزاء بالشرط .

الفاء العاطفة :

الفاء للترتيب . وهو إما معنوي كما في : « قام زيد فعمرو » وهو أن يكون ما بعدها حاصلاً بعد ما قبلها في الواقع . أو ذكريّ وهو عطف مفصّل عـلى مجمـل ، نحو : « فأزلهما الشيطان عنهـا فأخرجهما مما كانا فيه » . وهو أن يكون ما بعدها حاصلاً بعد ما قبلها في اللفظ فقط ، وأما في الواقع فتارة يكون حاصلاً معه في آن واحد أو قبل ما قبلها . وقال الفراء : إنها لا تفيد الترتيب مطلقاً .

واحتج بقوله تعالى : « أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أوهم قائلون » .
وأجيب بأن المعنى : أردنا إهلاكها . ولا شك أن إرادة الإهلاك قبل مجيء البأس ، فيكون ترتيباً ذكرياً إذ هو بيان لقوله : « أهلكناها » إذ هو مجمل . والحاصل أن الجمهور يقولون بإفادتها الترتيب مطلقاً ، والفراء يمنع ذلك مطلقاً . وقال الجرمي : لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الأمصار ، بدليل : « بين الدخول فحومل » ، وقولهم : « مطرنا بنوء بمكان كذا » فمكان كذا إذا كان وقوع الأمطار فيهما واحداً .

عودة الضمير :

قد أعربوا المضاف إليه بإعراب المضاف ، ولذلك عاد الضمير مؤنثاً ومذكراً ، والمراد : وكم من أهل قرية ، ثم حذف المضاف الذي هو الأهل، وعاد الضمير على الأمرين، فأنث في قوله: « فجاءها بأسنا » نظراً الى التأنيث في اللفظ ، وهو القرية . وذكر في قوله : « أو هم قائلون » ملاحظة للمحذوف ، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه فباشره العامل فانتصب انتصاب المفعول به ، وإن لم يكن إياه في الحقيقة كذلك أعطوه حكمه في غير الإعراب من التأنيث والتذكير ، فمن ذلك قول حسان بن ثابت :

يسقون من ورد البريص عليهم   بردى يُصفّق بالرحيق السلسل

والشاهد فيه تذكير الضمير الراجع الى بردى ، وهو مؤنث .
والبريض موضع بأرض دمشق .

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

اللغة :

(معايش) في المصباح : عاش عيشاً ، من باب سار : صار ذا حياة،فهو عائش،والأنثى عائشة،وعيّاش أيضاً مبالغة،والمعيش والمعيشة مكسب الإنسان الذي يعيش به،والجمع المعايش.هذا على قول الجمهور إنه من عاش ، فالميم زائدة ، ووزن معايش مفاعل ، فلا يهمز ، وبه قرأ السبعة . وقيل : هو من معش ، فالميم أصلية ، ووزن معيش ومعيشة فعيل وفعيلة ، ووزن معائش فعائل ، فيهمز . هـذا وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث عن عدم همز معايش .

الاعراب :

(والوزن يومئذ الحق) الواو استئنافية والكلام مستأنف لتقرير وزن الأعمال يوم القيامة بميزانها الحق الثابت الـذي لا يطيش به الموزون ، لامتحان الخلق وإظهار حكم العدل ، وإقامة الحجة عـلى الناس . والوزن مبتـدأ ، وفي الخبر وجهان : أحدهما هو الظرف

« يومئذ » ، أي : الوزن الحق كائن أو مستقر يومئذ ، اي يوم يسأل الرسل والمرسل إليهم ، فحذفت الجملة المضاف إليها « إذ » وعوض منها التنوين . وقد تقدم بحث هذه المسألة . وفي الحق على هذا الوجه أوجه : منها أنه نعت للوزن ، أي الوزن الحق كائن في ذلك اليوم ، ومنها أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه جواب سؤال مقدر من قائل يقول : ما ذلك الوزن ؟ فقيل : هو الحق لا الباطل ، وثاني الوجهين في خبر « الوزن » أن يكون الخبر « الحق » و « يومئذ » على هذا الوجه متعلق بـ « الوزن » ، أي : يقع الوزن يومئذ (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، وثقلت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وموازينه فاعل ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، واسم الاشارة مبتدأ ، وهم مبتدأ ثان ، والمفلحون خبر « هم » ، والجملة الاسمية خبر اسم الاشارة . ويجوز أن يكون « هم » ضمير فصل لا محل له ، والمفلحون خبر أولئك ، وجملة « فأولئك هم المفلحون » في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) الجملة عطف على الجملة المتقدمة ، وأولئك اسم إشارة مبتدأ، والذين اسم موصول خبر ، والجملة جواب الشرط الجازم المقترن بالفاء ، وجملة خسروا أنفسهم صلة الموصول ، وأنفسهم مفعول به (بما كانوا بآياتنا يظلمون) الجار والمجرور متعلقان بخسروا ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بيظلمون ، وقد تعدى يظلمون بالباء لتضمنه معنى التكذيب . وسيأتي المزيد عن التضمين في باب الفوائد . وما مصدرية ، وجملة كانوا لا محل لها لوقوعها بعد موصول حرفي ، وجملة يظلمون خبر كانوا (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتذكيرهم بما

أفاض عليهم من النعم التي تستوجب الشكر ، ولكنهم لم يقابلوها بما يستوجب ، واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، ومكناهم فعل ماض وفاعل ، وفي الأرض جا رومجرور متعلقان بسكناهم ، وجعلنا فعل وفاعل ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول جعلنا الأول ، ومعايش مفعول جعلنا الثاني ، وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (قليلاً ما تشكرون) قليلاً نعت لمصدر محذوف أو لظرف محذوف ، وقد تقدمت نظائره . وما زائدة لتأكيد القلة ، وتشكرون فعل مضارع مرفوع وفاعل ، والجملة حالية أو مستأنفة .

الفوائد :

١ ـ التضمين :

هو إشراب لفظ معنى لفظ ، فيعطى حكمه ، ويسمى ذلك تضميناً . وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدّى كلمتين . هذا ما قاله ابن هشام ، واستشهد على ذلك بقول الزمخشري « ألا ترى كيف رجع معنى « ولا تعد عيناك عنهم » إلى قولك : ولا تقتحم عيناك مجاوزين الى غيرهم ، « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » أي : ولا تضموها إليها آكلين » . وواضح أن هذا ثراء لفظي ، يزيد في مرونة لغتنا ، وسعة تصرفها ، ولهذا آثرناه بالإشارة .

رأي ابن جنّي :

وقال ابن جني في الخصائص : « إن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع الآخر ، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر

فقط ، وعلى هذا فالتضمين مجاز مرسل ، لأنه استعمل اللفظ في غير معناه لعلاقة بينهما وقرينة » .

رأي آخر :

وقيل تعقيباً على قول ابن جني : إن فيه جمعاً بين الحقيقة والمجاز ، لدلالة المذكور على معناه بنفسه وعلى المحذوف بالقرينة .

رأي العزّ بن عبد السلام :

وقال العز بن عبد السلام في كتابه « مجاز القرآن » التضمين : هو أن يضمن اسم معنى آخر لإفادة معنى الاسمين ، فتعديه تعديته في بعض المواضع ، كقوله : « حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق » فيضمّن « حقيق » معنى حريص ، ليفيد أنه حريص عليه ، ويضمن معنى فعل ، فتعديه تعديته في بعض المواضع ، كقول الشاعر « قد قتل الله زياداً عنّي » ضمن « قتل » معنى صرف ، لإفادة أنه صرفه حكماً بالقتل دون ما عداه من الأسباب ، فأفاد معنى القتل والصرف جميعاً . وسيأتي من آيات الله غرائب في التضمين ، ولهذا نجتزىء بما قدمناه عنه الآن .

٢ ــ إبدال الهمز من الواو والياء :

١ ــ أن تتطرّف إحداهما وهي لام أو زائدة للإلحاق بعد ألف زائدة ، نحو : كساء وسماء ودعاء ، فالهمزة فيهما مبدلة عن واو ،

والأصل كساو وسماو ودعاو ، ونحو : بناء وظبـاء وفناء ، فالهمزة فيهنّ مبدلة عن ياء ، والأصل : بناي وظباي وفناي •

٢ ـ أن تقع إحداهما عيناً لاسم فاعل أعلت فيه ، نحو : قائل وبائع ؛ فقلبوا عينهما ألفاً •

٣ ـ أن تقع إحداهما بعد ألف « مفاعل » ، وقد كانت مدة زائدة في الواحد ، نحو : عجوز وعجائز ، وصحيفة وصحائف ، بخلاف نحو : قسورة وقساور ، ومعيشة ومعايش ، لأن المدة أصلية في الواحد فلا تبدل وشذّ : مصيبة ومصائب ومنارة ومنائر ، بالإبدال ، مع أن المدة في الواحد أصلية •

٤ ـ أن تقع إحداهما ثاني حرفين لينين بينهما ألف مفاعل ، سواء كان اللينان ياءين كنيائف جمع نيف ، أو واوين كأوائل جمع أول ، أو مختلفين كسيائد جمع سيد ، إذ أصله سيود ، اجتمعت فيه الواو والياء ، وسبقت إحـداهما فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء في الياء • وهذا المبحث طويل ، وقد اختصرناه جهد الإمكان •

آراء في قراءة الهمزة :

إذا عرفت هـذا فاعلم أنه قرأ الأعرج وزيـد بن علي والأعمش وخارجة عن نافـع وابن عامر في رواية : « معائش » بالهمز ، وليس بالقياس كما تقدم ، ولكن هؤلاء رووه وهم ثقات ، فوجب قبوله • ولذلك نورد بعض آراء علماء اللغة :

الزّجّاج :

قال الزجاج : جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ، ولا أعلم لها وجهاً إلا التشبيه بصحيفة وصحائف ، ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة .

المازنيّ :

وقال المازني : أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ، ولم يكن يدري ما العربية ، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا .

الفرّاء :

وقال الفراء : ربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهمون أنها فعلية فيشبهون مفعلة بفعيلة .

أبو حيّان :

أما أبو حيان فقد دافع عنها فقال : لسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة . ورد على المازني فقال : وأما قوله : إن نافعاً لم يكن يدري ما العربية ، فشهادة على النفي . إلى آخر تلك المناقشة المفيدة .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا

تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق للتذكير بالنعمة السارية من آدم الى ذريته ، والتي تستوجب الشكران الدائم . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به ، ثم حرف عطف للترتيب والمهلة ، وصورناكم عطف على خلقناكم ، وتوجيه الخطاب الى المخاطبين مع أن المراد آدم هو تأكيد معنى الشكران للنعمة السابغة ، ثم قلنا للملائكة عطف على ما تقدم ، وللملائكة جار ومجرور متعلقان بقلنا ، واسجدوا فعل أمر ، والواو فاعل ، والجملة في محل نصب مقول القول ، ولآدم جار ومجرور متعلقان بقوله : اسجدوا (فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين)الفاء للترتيب مع التعقيب، كأنما امتثلوا للأمر فور صدوره ، وسجدوا فعل وفاعل ، وإلا أداة استثناء وإبليس مستثنى من فاعل سجدوا ، وجملة لم يكن من الساجدين إما استئنافية كأنها جواب عن سؤال مقدر ، ويجوز أن تكون حالية ، أي : إلا إبليس حال كونه ممتنعاً من السجود ، ومن الساجدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكن (قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك) ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وجملة منعك في محل رفع خبرها ، والمعنى : أي شيء منعك . وأن وما بعدها في

موضع نصب بنزع الخافض ، أي : ما منعك من السجود • وإذ ظرف ماض متعلق بتسجد ، أي : ما منعك من السجود وقت أمري إياك به • ولا زائدة لتأكيد معنى النفي ، وجملة أمرتك في محل جر بالإضافة (قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طـــين) جملة القول مستأنفة مسوقة لجواب إبليس عن السؤال الناشيء عن حكاية عدم سجوده ، وأنا مبتدأ ، وخير خبر ، ومنه جار ومجرور متعلقان بخير ، وجملة خلقتني لامحل لها لأنها مسوقة لتعليل ما ادعاه غروراً واستكباراً من فضله على آدم • ومن نار جار ومجرور متعلقان بخلقتني ، وجملة خلقتني من طين عطف على سابقتها •

البلاغـة :

في قوله : « ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك » فنّ التوهيم ، وقد تقدم الإلماع إليه • أي أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها أو تحريفها أو اختـلاف إعرابها أو اختلاف معناها • فإن الظاهر ما منعك من السجود • والتأويل الذي يرد هذا الكلام أن العلماء قالوا : ما منعك أي : ما صيرك ممتنعاً من السجود • وقد تقدم في آل عمران قوله في اختلاف الإعراب : « ثم لا ينصرون » ليبقى الفعل دالاً على الحال والاستقبال • ومن توهيم التصحيف قول أبي الطيب المتنبي :

وإن الفِـيـامَ التي حوله لتحسد أرجلَها الأَرْؤُس

فإن لفظة « الأرجـل » أوهمت السامع أن المتنبي أراد القيام بالقاف ، ومراده الفيام ، وهي الجماعات ، لأن الفيام يصدق على أقل الجمع ، فتفوت المبالغة منه •

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

اللغـة :

(الصاغرين) الصَّغار بفتح الصاد : الذل والضيم . وقد صغر الرجل ، من باب طرب ، فهو صاغر ، والصاغر أيضاً : الراضي بالضيم .

(أنظرني) : أخّرني .

الاعراب :

(قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) جملة القول استئنافية ، وفاهبط الفاء عاطفة لترتيب الأمر على ما ظهر من إبليس من المخالفة ، وفما الفاء عاطفة أيضاً ، و « ما » نافية أيضاً ، ويكون فعل مضارع تام لأنه متضمن معنى ينبغي أو يصح ، ولك جار ومجرور متعلقان بيكون لأنه متضمن معنى يصح ، وأن مع مدخولها في تأويل مصدر فاعل يكون ، وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فاخرج إنك من الصاغرين) الفاء عاطفة ، لتأكيد الأمر بالهبوط ، وإن واسمها ، ومن الصاغرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب حال ، أي : ذليلاً صاغراً

(قال أنظرني الى يوم يبعثون) جملة القول مستأنفة ، وجملة أنظرني في محل نصب مقول القول ، والى يوم جار ومجرور متعلقان بأنظرني ، وجملة يبعثون في محل جر بالإضافة ، ولهذا أعرب الظرف لإضافته لجملة معربة كما تقدم ، ويبعثون فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل (قال إنك من المنظرين) جملة إنك من المنظرين في محل نصب مقول القول (قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم) الجملة مستأنفة أيضاً ، والفاء عاطفة ، والباء حرف جر للسببية ، وما مصدرية ، والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف ، ولا يجوز أن يتعلق الجار والمجرور بـ « أقعدن » ، لأن لام القسم تصد عن ذلك ، لا تقول : والله لأمرن بزيد ، والمعنى : فبسبب إغوائك أقسم . ويجوز أن تكون الباء للقسم ، أي : فأقسم بإغوائك لأقعدن . وهي مع مجرورها متعلقان بفعله المحذوف ، واللام واقعة في جواب القسم المحذوف ، وأقعدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، ولهم جار ومجرور متعلقان بأقعدن ، وصراطك نصب على الظرفية المكانية ، وسيأتي المزيد من إعرابها في باب الفوائد ، والمستقيم : صفة .

الفوائد :

قال سيبويه في كتابه : وانتصاب « صراطك » على الظرفية ، أي : في صراطك المستقيم . وحكى سيبويه أيضاً : ضرب زيد الظهر والبطن . ورجح أبو حيان انتصابه بنزع الخافض .

عبارة أبي حيّان :

« وانتصب صراطك على إسقاط « على » ، قاله الزّجّاج ، وشبهه

بقول العرب : « ضرب زيد الظهر والبطن » ، أي على الظهر والبطن . وإسقاط حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا ، لا يقال : « قعدت الخشبة » تريد على الخشبة . قالوا : وعلى الظرف ، كما قال الشاعر فيه : « كما عسل الطريق الثعلب » ، وهذا أيضاً تخريج فيه ضعف، لأن «صراطك» ظرف مكان مختص ، وكذلك الطريق ، فلا يتعدى إليه الفعل إلا بواسطة « في » ، وما جاء خلاف ذلك شاذ أو ضرورة » . الى أن يقول: « والأولى أن يضمن لأقعدنّ معنى ما يتعدّى بنفسه فينتصب « الصراط » على أنه مفعول به ، والتقدير : لألزمن بقعودي صراطك المستقيم .

الزمخشري وافق سيبويه :

أما الزمخشري فوافق سيبويه قال : « وانتصابه على الظرف كقول ساعدة بن جؤية يصف رمحاً :

لدن بهز الكفّ يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

يصفه بأنه لين يضطرب صلبه بسبب هزه فلا يبس فيه كما عسل أي اضطرب الثعلب في الطريق . فحذف الجار من الثاني للضرورة . وفي « عسل » معنى الدخول بسرعة .

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا

مَذْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

اللغة :

(مذءوماً) في المختار : الذّأم : العيب يُهمز ولا يُهمز ، يقال : ذأمه من باب قطع إذا عابه وحقره ، فهو مذءوم .

(مدحورا) : دحره : طرده وأبعده ، وبابه قطع .

الاعراب :

(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ثم حرف عطف للترتيب والمهلة ، واللام موطّئة للقسم ، وآتينهم : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والفاعل ضمير مستتر ، والهاء مفعول به ، ومن بين أيديهم جار ومجرور متعلقان بآتينهم ، أي : لآتينهم من الجهات الأربع الي يأتي منها العدو ، ولكنه خالف بين حرفي الجر ، فجعل الفعل في الأولين يتعدى بمن ، وهي للابتداء ، وفي الأخيرين بعن ، وهي للمجاوزة ، لأنه يتوجه من الأولين وينحرف من الآخرين متجاوزاً ، وسيأتي المزيد من التفصيل في باب البلاغة (ولا تجد أكثرهم شاكرين) الواو استئنافية أو عاطفة ، فالجملة بعدها مستأنفة أو معطوفة ، ولا نافية ، وتجد فعل مضارع إمّا من الوجود بمعنى اللّقاء فيتعدّى لواحد ، فيكون « أكثرهم » مفعولاً به ، وشاكرين حالاً ، وإما من الوجود بمعنى العلم فيكون قوله

« شاكرين » مفعولاً به ثانياً (قال : اخرج منها مذءوماً مدحوراً)الجملة مستأنفة ، واخرج فعل أمر ، ومنهـا جار ومجرور متعلقان باخرج ؛ ومذءوماً مدحوراً حالان من فاعل اخرج والجملة مقول القول (لمن تبعك منهم لأملأن جهنّم منكـم أجمعـين) اللام هي الموطئة للقسم المحذوف ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع ، وتبعك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، ولأمـلأن اللام جواب القسم المـدلول عليه بلام التوطئة ، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه والجملة القسمية مستأنفة . ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء ، ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، وجملة تبعك صلة ، ولأملأن جواب قسم محذوف ، وذلك القسم وجوابه في محل رفع للمبتدأ ، والتقدير : للذي تبعك منهم والله لأملأن جهنم منكم ، وجهنم مفعول به ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بأملأن ، وأجمعين تأكيد للضمير .

البلاغـة :

في هذه الآية فن المخالفة بين حرفي الجر ، فقـد ذكر الجهات الأربع ، لأنها هي التي يأتي منها العدوّ عدوّه ، ولهذا ترك جهة الفوق والتحت ، وعدى الفعل الى الجهتين الأوليين بمن ، والى الأخريين بعن ، لأن الغالب فيمن يأتي من قـدام وخلف أن يكون متوجهاً بكليته ، والغالب فيمن يأتي من جهة اليمين والشمال أن يكون منحرفاً ، فناسب في الأولين التعـدية بحرف الابتـداء ، وفي الأخرين التعـدية بحرف المجاوزة . وهو تمثيل لوسوسته وتسويله بمن يأتي حقيقة .

فصل رائع للزمخشري :

وفيما يلي فصل رائع للزمخشري بهـذا الصدد ، نقتبس منه الفقرات التالية ، لما تضمنته من تجسيد حي ، قال : « فإن قلت : كيف قيل : « من بين أيديهم ومن خلفهم » بحرف الابتداء ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم » بحرف المجاوزة ؟ قلت : المفعول فيه عدي إليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به ، فكمـا اختلفت حروف التعـدية في ذاك اختلفت في هذا ، وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس ، وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط ، فلما سمعناهم يقولون : جلس عن يمينه وعلى يمينه ، وعن شماله وعلى شماله ، قلنا : معنى على يمينه أنه تمكن من جهـة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ، ومعنى عن يمينه أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له ، ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ، ونحوه من المفعول به قولهم : « رميت عن القوس ، وعلى القوس ، ومن القوس » ، لأن السهم يبعـد عنها ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمي ويبتدأ الرمي منها . وكذلك قالوا : جلس بين يديه وخلفه ، بمعنى فيه ، لأنهما ظرفان للفعل ، ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع في بعض الجهتين ، تقول : جئته من الليل تريد بعض الليل » .

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا

ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾

اللغة :

(وسوس) الوسوسة : الكلام الخفي المكرر ، ومثله الوسواس ، وهو صوت الحلي . والوسوسة أيضاً : الخطرة الرديئة ، ووسوس لا يتعدى الى مفعول بل هو لازم ، يقال : هو رجل موسوس بكسر الواو ، ولا يقال بفتحها . قاله ابن الأعرابي . وقال غيره : يقال موسوس له ، وموسوس إليه . وقال الليث : الوسوسة : حديث النفس ، والصوت الخفي من ريح تهز قضيباً ونحوه ، كالهمس . وقال الأزهري : وسوس ووزوز بمعنى واحد ، وفي القاموس : رجل مُوَزْوِز أي مغرد . وسيأتي سر تكرير الحروف في باب البلاغة .

(ووري) : ستر وغطي ، وهو ماض مبني للمجهول ، وأصله : وارى كضارب ، فلما بني للمجهول أبدلت الألف واواً كضورب .

(السوءات) : العورات ، وكل ما يستحيا منه .

الاعراب :

(ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) الواو عاطفة أو استئنافية ، ويا حرف نداء ، وآدم منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب ، والكلام معطوف على اخرج ، أو بتقدير عامل ، أي : قلنا : يا آدم ،

واسكن فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، وأنت تأكيد للفاعل المستتر ، وزوجك عطف على الضمير المستتر ، والجنة مفعول به ، على السعة ، أو منصوب بنزع الخافض ، وقد تقدم (فكلا من حيث شئتما) الفاء حرف عطف ، وكلا فعل أمر مبني على حذف النون ، والألف فاعل ، ومن حرف جر ، وحيث ظرف مكان مبني على الضم في محل جر بمن ، والجار والمجرور متعلقان بكلا ، وجملة شئتما في محل جر بالإضافة (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتقربا فعل مضارع مجزوم بلا ، والألف فاعل ، وهذه اسم إشارة في محل نصب مفعول به ، وقرب يستعمل لازماً ومتعدياً كما هنا ، والشجرة بدل من اسم الاشارة ، فتكونا الفاء هي السببية ، وتكونا فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد الفاء لوقوعها جواباً للنهي ، والألف اسم تكونا ، ومن الظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونا (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما) الفاء عاطفة ، ووسوس فعل ماض ، ولهما جار ومجرور متعلقان بوسوس ، والشيطان فاعل ، وليبدي اللام لام التعليل ، ويبدي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ويصح أن تكون لام الصيرورة أو العاقبة، ولهما جار ومجرور متعلقان بيبدي، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة ووري صلة لا محل لها ، وعنهما جار ومجرور متعلقان بووري ، ومن سوءاتهما : جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال • (وقال : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) الواو عاطفة ، وقال فعل ماض معطوف على وسوس ، وما نافية ، ونهاكما فعل ماض ، والكاف مفعول به ، والميم والألف حرفان دالان على التثنية ، وربكما فاعل ، وعن هذه جار ومجرور متعلقان بنهاكما ، والشجرة بدل من اسم

الاشارة . وإلا أداة حصر . وأن وما في حيزها استثناء مفرغ من أعم العلل . فهو مفعول لأجله على حذف مضاف ، أي : إلا كراهة . وأن تكونا مصدر مؤول في محل جر بالإضافة ، تكونا فعل مضارع ناقص منصوب بأن ، والألف اسمها ، وملكين خبر تكونا ، وأو تكونا من الخالدين عطف على جملة تكونا الأولى ، وجملة ما نهاكما مقول القول.

البلاغـة :

سر تكرير الحروف في اللفظ الواحد :

هذا باب من أبواب البلاغة ، قلَّ من يتفطن له . وقد ألمع إليه الزمخشري في كشافه وابن الأثير في مثله السائر وابن جني في خصائصه. ولكن إلماعهم لا يعـدو لفة النظر التي لا تنقـع الغلة ، ولا تشفي من الأوام ، ويتلخص هـذا الباب في أنه كلما تكررت الحروف في اللفظ الواحد كان ذلك إيذاناً بتكرير العمل ونقل الفعل من وزن الى وزن ، لم يجنح إليه الواضع في الأصل إلا لهـذا السر الخفي ، واللفظ هنا « وسوس » فهو تجسيد حي وتصوير بليغ لدأب إبليس على الإغواء ، واجهاده نفسه لحملهما على أن تزل بهما القدم ، ويرتطما في مزالق الشر ، فهو يوسوس إليهما المرة بعد المرة .

ومن ذلك قولهم : خشن واخشوشن ، لا تفيد خشن ما تفيـد كلمة اخشوشن ، لما فيه من تكرير الحروف . وقل مثل هذا في أعشب المكان واعشوشب . فكأنهم لما رأوا كثرة العشب قالوا : اعشوشب . وسيرد معنا في القرآن الكريم العجيب منه ، كما في هذه الآية .

نموذج شعري للتكرير :

ويحسن بنا هنا أن نورد الآن نموذجاً شعرياً تعلق فيه الشاعر بأذيال هـذا السر الخفي ، وهو قول البحتري من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله ، ويذكر حديث الصلح بين أبناء العمومة والخئولة من بني تغلب ، منها قوله :

رفعتَ بِضَبْعَيْ تغلبَ بنةِ وائـلٍ
وقـد يئستْ أنْ يستقلَّ صريعُها

فكنتَ أميـنَ اللهِ مولى حياتِها
ومولاكَ فتـحٌ يومَ ذاك شفيعُها

تألّفتهم من بعـد ما شرَّدتْ بهم
حفائظُ أخـلاقٍ بطيءٍ رُجوعها

فأبصرَ غاويها المَحَجَّةَ فاهتـدى
وأَقصرَ غاليها وداني شَسُوعُها

وموضع الاستشهاد قوله : « تألّفتهم من بعد ما شردت بهم » فتثقيل تألّفتهم وشردت بهم أمر يستوجبه المقام ، لأنه مقام الإصلاح وإعادة المياه الى مجاريها بين أبناء العمومة والخئولة . وحسبنا ما تقدم الآن . وسيرد له ما يدعمه ويظهر مكان حسنه في مكان آخر .

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا

ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

اللغـة :

(وقاسمهما) : أقسم لهما ، والمفاعلة هنا ليست عـلى بابها بـل للمبالغة ، ويجوز أن تبقى على باب المفاعلة كما قرر الزمخشري ، كأنه قال أقسم لكما أني لمن الناصحين ، وقالا له : أتقسم بالله أنك لمن الناصحين ؟ فجعل ذلك مقاسمة بينهم .

(فدلاهما) التدلية والإدلاء : إرسال الشيء من الأعـلى الى الأسفل . وقال الأزهري : وأصله أن الرجل العطشان يتدلى في البئر ليأخذ الماء ، فلا يجد فيها ماء ، فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا مطمع فيه ، ولا فائدة منه . قال الفرزدق :

هما دلتاني من ثمانين قامة
كما انقض باز أقتم الريش كاسره

(بغرور) الغرور : إظهار النصح وإبطان الغش . وغرّه غرّاً وغِرّة وغروراً : أي خدعه وأطمعه بالباطل . وفي أمثالهم : « أغرّ من ظبي مقمر » لأنه يخرج في الليلة المقمرة ، يرى أنه النهار ، فتأكله

السباع ، ولم يزل يطلب غرّته حتى صادفها ، وأصاب منه غِرّة فبطش به . وما غرّك به ؟ كيف اجترأت عليه . و « ما غرّك بربك الكريم » ؟ وأنا غريرك من هـذا الأمر : أي إن سألتني عـلى غرّة أجبتُ به ، لاستحكام علمي بحقيقته . وهو على غرارة : أي عـلى خطر ، وقال النمر بن تولب :

تصابى وأمسى عـلاه الكبرْ وأمسى لجمرةَ حبـلٌ غرر

أي : غير موثوق به . ورضى أعرابي عن امرأة فقال : هي الغرّاء بنت المَخْضَبَة . شبهها بالزبدة . ويقال للسوق درّة غرار : أي نفاق وكساد . و « لا غرار في الصلاة » وأصله : غارّت الناقة غراراً إذا نقص لبنها . وفلان مغار الكف للبخيل . ومنه : ما أذوق النوم إلا غراراً . وهذه المادة عجيبة في تنوع معانيها وتساوقها ، في حين تئول كلها الى أصل واحد .

(طفقا) : من أفعـال الشروع ، وسيأتي الحديث عنهـا في باب الفوائد .

(يخصفان) : في المختار : « خصف النعل خصفاً : خرزها . وقوله تعالى : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » : أي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما » . وفي المصباح : « خصف الرجل نعله خصفاً من باب ضرب فهو خصّاف ، وهو فيه كرَقْعِ الثوب » .

الاعراب :

(وقاسمهما إني لكما لمن الناصحـين) الواو استئنافيـة ، وقاسمهما فعل وفاعل مستتر ، والهاء مفعول به ، والميم والألف حرفان

دالان على التثنية ؛ والجملة مستأنفة ، وجملة إن وما في حيزها مفسرة ، لما تنطوي عليه المقاسمة ، وإن واسمها ، ولكما جار ومجرور متعلقان بالناصحين ، ونصح فعل يتعدى تارة بنفسه وتارة بحرف الجر ، وقال الفراء : « العرب لا تكاد تقول نصحتك ، وإنما يقولون : نصحت لك ، وأنصح لك ، وقد يجوز نصحتك » . واللام هي المزحلقة ، ومن الناصحين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن (فدلاهما بغرور) الفاء عاطفة ؛ ودلاهما فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وبغرور جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي مصاحبين للغرور ، فالفاء للمصاحبة ؛ ويجوز أن يتعلقا بدلاهما ، فتكون لمجرد السببية ، أي : دلاهما بسبب غروره إياهما (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) الفاء عاطفة ، ولما حينية ظرفية ، أو حرف لمجرد الربط ، وذاقا الشجرة فعل وفاعل ومفعول به وجملة ذاقا في محل جر بالإضافة ، وجملة بدت لهما لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ولهما جار ومجرور متعلقان ببدت ، وسوءاتهما : فاعل بدت (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) الواو حرف عطف ، وطفقا من أفعال الشروع ، وسيأتي حكمها ، والألف اسمها ، وجملة يخصفان خبرها ، وعليهما : جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، ومن ورق الجنة جار ومجرور متعلقان بيخصفان ، والجنة مضاف إليه (وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) الواو عاطفة ، وناداهما ربهما فعل ومفعول به وفاعل ، وجملة ألم أنهكما مفسرة لا محل لها ، والهمزة للاستفهام ، وتفيد العتاب والتقريع على الخطأ ، حيث لم يتحوّطا ويعتصما بالحذر مما حذرهما الله منه ؛ وعن تلكما جار ومجرور متعلقان بأنهكما ، والشجرة بدل من اسم الاشارة (وأقل لكما : إن الشيطان لكما عدو مبين) الواو حرف عطف ؛ وأقل فعل مضارع معطوف على الفعل المجزوم بلم ،

وإن واسمها ، ولكما جار ومجرور متعلقان بعدو أو بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لعدو ، وتقدم عليه ، ومبين صفة لعدو ، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول .

الفوائد :

أفعال المقاربة : يطلق النحاة على الأفعال التي تعمل عمل كان وأخواتها اسم أفعال المقاربة ، من إطلاق الجزء على الكل ، وحقيقة الأمر في ذلك أن هذه الأفعال ثلاثة أنواع :

١ ــ ما وضع للدلالة على قرب الخبر المسمى باسمها ، وهو ثلاثة أنواع : كاد وكرب وأوشك .

٢ ــ ما وضع للدلالة على رجائه ، وهو ثلاثة أنواع : عسى وحرى واخلولق .

٣ ــ ما وضع للدلالة على الشروع فيه ، وهو كثير ، وقد أنهى أفعاله بعضهم الى نيف وعشرين فعلاً ، وأشهرها : أنشأ وطفق وطبق ــ بكسر الباء ــ وجعل وعلق وهلهل وقام وابتدأ .

شرط الخبر لهذه الأفعال :

ويجب أن يكون خبر هذه الأفعال جملة ، وشذّ مجيئه مفرداً بعد كاد وعسى كقول تأبط شراً :

فأُبْتُ الى فَهْمٍ وما كِدتُ آيباً

وكم مثلها فارقتها وهي تَصْفِرُ

وقولهم في المثل : « عسى الغوير أبؤساً » ، وقد قالته الزّبّاء ، والغوير اسم موضع بعينه ، وأوله بعضهم بأنه خبر « يكون » محذوفة، وقال الأصمعي : خبر « يصير » محذوفة ، واختار ابن هشام أن يكون مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، نحو : « فطفق مسحاً » ، أي : يمسح مسحاً . وشرط الفعل أن يكون رافعاً لضمير الاسم . فأما قول أبي حيّة النّميريّ :

وقد جعلتُ إذا ما قمتُ يُثقلني
ثوبي فأنهضُ نَهْضَ الشّاربِ الثّملِ

وقول ذي الرّمّة :

وأسقيه حتّى كاد ممّا أبثّه تكلّمني أحجاره وملاعبُه

فـ « ثوبي » في البيت الأول ، و « أحجاره » في البيت الثاني بدلان من اسمي جعل وكاد ، بدل اشتمال لا فاعلان ليثقلني وتكلمني ، بل فاعلهما ضمير مستتر ، والتقدير : جعل ثوبي يثقلني ، وكادت أحجاره تكلمني ، فعاد الضمير على البدل دون المبدل منه . وأن يكون فعلاً مضارعاً ، وأن يكون مقروناً بـ « أن » إن كان دالاً على الترجّي، وأن يكون مجرداً منها إن كان دالاً على الشروع . والغالب في خبر عسى وأوشك الاقتران بها ، كقوله تعالى : « عسى ربكم أن يرحمكم »

وقوله :

ولو سُئل الناسُ الترابَ لأوشكوا
إذا قيل : هاتوا أن يَملّوا ويمنعوا

والتجرد من « أن » قليل ، كقول هدبة :

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه

يكونُ وراءه فَرَجٌ قريبُ

وقول أمية بن أبي الصلت :

يوشكُ مَنْ فَرَّ من منيّته في بعض غِرّاته يوافقُها

وكاد وكرب بالعكس ، فمن الغالب قوله تعالى : « وما كادوا يفعلون » ، وقول كلحبة اليربوعي :

كرَبَ القلبُ من جواه يذوبُ

حين قال الوُشَاة : هند غضوبُ

ومن القليل قوله :

كادت النفس أنْ تفيض عليه مذ غدا حشْوَ ريطةٍ وبرودِ

تنبيه :

هذه الأفعال ملازمة لصيغة الماضي إلا أربعة استعمل لها مضارع ، وهو كاد ، نحو : « يكاد زيتها يضيء » ، وأوشك ، نحو :

يوشك من فر من منيته في بعض غرّاته يوافقها

وطفق يطفق ، وجعل . واستعمل اسم فاعل لثلاثة ، وهي : كاد وعليه قول كثير بن عبد الرحمن :

أموت أسىً يوم الرجاء وإنني   يقيناً لرهن بالـــذي أنا كائد

وكرب ، قال عبد قيس بن خفاف بن ندبة :

أبنيّ إنّ أبــاك كارب يومه   فإذا دعيت الى المكارم فاعجل

وأوشك نحو قول كثير بن عبد الرحمن :

فإنّك موشك أن لا تراهـــا   وتعــدو دون غافره العوادي

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

اللغـة :

(ريشاً) الريش : لباس الزينة ، استعير من لباس الطائر لأنه لباسه وزينته . وفيه قولان :

١ ـ أنه اسم لهذا الشيء المعروف .

٢ ـ أنه مصدر ، يقال : راشه يريشه ريشاً إذا جعل فيه الريش ، فينبغي أن يكون الريش مشتركاً بين المصدر والعين . ومن المجاز رشت فلاناً : قويت جناحه بالإحسان إليه ، فارتاش وتريّش . قال :

فرشني بخـــير طال ما قـــد بريتني
فخـــير الموالي من يريش ولا يبري

وقال النابغة :

كم قد أحـــلّ بدار الفقر بعد غنى
قوماً وقـــد راش قوماً بعـــد اقتار

يريش قومـــاً ويبري آخرين بهـــم
للـــه من رائش عمـــروٌ ومن بار

وقال جرير :

فريشي منكم وهواي معكـم وإن كانت زيارتكـــم لماما

« ولعن الله الراشي والمرتشي والرائش » وهو المتوسط الذي

يريش هذا من مال هذا ، وفلان له رياش : لباس وحسن حال وشارة . وأجاز النعمان النابغة بمائة من عصافيره بريشها : أي برجالها . وقيل : كانت الملوك يجعلون في أسنمتها ريشاً ليعلم أنها حباء ملك . ومن المجـاز اللطيف قولهم : أخفّ من ريشة ، يراد خفة اللحم وقلته من الهزال . فما أعجب هذه المادة !

(قبيلة) القبيل الجماعة يكونون من ثلاثة فصاعداً ، من جماعة شتى . هذا قول أبي عبيدة . والقبيل : الجماعة من أب واحد ، فليست القبيلة تأنيث القبيل لهـــذه المغايرة . وفي المصباح : « والقَبِيل : الجماعة ثلاثة فصاعداً من قوم شتى ، والجمع قُبُل بضمتين ، والقبيلة لغة فيها ، وقبائل الرأس : القطع المتصل بعضها ببعض ، وبها سمّيت قبائل العرب ، الواحدة قبيلة ، وهم بنو أب واحد » .

الاعراب :

(قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا) جملة القول مستأنفة ، مسوقة للإخبار عن اعتراف آدم وحواء على أنفسهما بالذنب وشعورهما بالندم . وقالا فعل وفاعل ، وربنا منادى محذوف منه حرف النداء ، وظلمنا : فعل وفاعل ، وأنفسنا مفعول به ، والجملة نصب عـلى أنها مقول للقول (وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتغفر فعل الشرط ، ولنا جار ومجرور متعلقان بتغفر ، وترحمنا عطف على تغفر ، ولنكونن : اللام جواب للقسم المقدر ، ونكونن فعل مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيـد الثقيلة ، واسمها مستتر تقديره نحن ، ومن الخاسرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وجملة وتكونن

جواب للقسم ، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ، والتقدير : ولئن لم تغفر لنا وترحمنا . ويجوز العكس ، فلا داعي لتقدير القسم ، وتكون اللام موطئة للقسم (قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ) جملة القول مستأنفة ، مسوقة للبت فيما جرى في صفحة المقدور . وجملة اهبطوا في محل نصب مقول القول ، وبعضكم مبتدأ ، ولبعض جار ومجرور متعلقان بعدوّ ، أو حال منه لأنه كان صفة وتقدمت عليه ، وعدو خبر ، والجملة الاسمية حال من الواو في اهبطوا (ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين) الواو عاطفة ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمستقر ، ومتاع عطف على مستقر ، والى حين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع ، أي : ممتد الى حين (قال : فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) جملة القول مستأنفة ، وكرر الاستئناف للاعتناء بمضمون ما بعده من الحياة البشرية . وفيها جار ومجرور متعلقان بتحيون ، وما بعده عطف عليه ، والجملة كلها مقول قوله تعالى (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً) جملة مستأنفة مسوقة لتذكير أبناء آدم ببعض النعم . ويا حرف نداء ، وبني آدم منادى مضاف ، وقد حرف تحقيق ، وأنزلنا فعل وفاعل ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بأنزلنا ، ولباساً مفعول به ، وجملة يواري سوءاتكم صفة لـ « لباساً » وريشاً عطف على قوله لباساً (ولباس التقوى ذلك خير) الواو استئنافية أو حالية ، ولباس مبتدأ ، والتقوى مضاف إليه ، وذلك اسم اشارة مبتدأ ثان ، وخير خبر ذلك ، والرابط هو اسم الإشارة ، لأن أسماء الاشارة تقرب من الضمائر ، وسيأتي تفصيل الروابط في باب الفوائد ، وجملة ذلك خير خبر « لباس » (ذلك من آيات الله لعلهم يذّكرون) الجملة مستأنفة لتأكيد ما تقدم . وذلك مبتدأ ، ومن آيات الله جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر ، ولعل واسمها ، وجملة يذكرون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان) كلام مستأنف لمخاطبة بني آدم وتحذيرهم ، ولا الناهية ، ويفتننكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا ، والكاف مفعول به ، والشيطان فاعل (كما أخرج أبويكم من الجنة) كما نعت لمصدر محذوف ، أي : لا يفتننّكم فتنة مثل إخراج أبويكم من الجنة ، وأبويكم مفعول ، ومن الجنة جار ومجرور متعلقان بأخرج (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما) الجملة حالية من الضمير في « أخرج » العائد على الشيطان ، أو من الأبوين ، وعنهما جار ومجرور متعلقان بينزع ، ولباسهما مفعول به ، وليريهما : اللام للتعليل ، ويريهما فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور متعلقان بينزع ، وسوءاتهما مفعول به (إنه يراكم هو وقبيله) الجملة تعليلية لا محل لها مسوقة لتعليل النهي ، والتحذير من فتنة الشيطان . وإن واسمها ، وجملة يراكم خبرها ، و « هو » تأكيد للضمير المرفوع في « يراكم » ، وقبيله عطف على الضمير المرفوع ، أو « هو » مبتدأ خبره محذوف دل عليه سياق الكلام (من حيث لا ترونهم) من حيث جار ومجرور متعلقان بيراكم ، وجملة لا ترونهم في محل جر بالإضافة (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) الجملة تعليل لما تقدم ، وإن واسمها ، وجملة جعلنا خبرها ، والشياطين مفعول به أول ، وأولياء مفعول به ثان ، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأولياء ، وجملة لا يؤمنون صلة الموصول .

البلاغة :

١ ـ الالتفات :

في قوله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير » ، وقد تقدم بحث.

هذا الفنّ ، فإنه سبحانه لما امتنّ على البشر بما أنزل عليهم من اللباس المواري سوءاتهم بعد سياق قصة خروج أبيهم آدم من الجنة ، وأراد تذكيرهم وتحريضهم على التقوى قال قبل تمام الامتنان : « ولباس التقوى ذلك خير » . وكان يمكن في هذه الآية ما أمكن في الآية التي قبلها من تأخير الجملة ، بحيث يقال : قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ذلك من آيات الله ، ولباس التقوى ذلك خير . وإنما جنح الى تأخير ما كان يجوز تقديمه ليحصل في نظم الكلام نوع من المحاسن يقال له : التعطّف ، وذلك مجيء الكلام مستهلاً بذكر اللباس كما استهلّه في أوله ، وتفادياً من أن يفصل بين لآيات التي يلائم بعضها بعضاً بألفاظ من غير جنسها ليوصف الكلام بالائتلاف ، وهذا يسميه قدامة الالتفات ، وغيره يرى الالتفات غير ذلك ، كابن المعتز وأضرابه . وقد جرينا على رأي ابن المعتز فيما قدمناه في مكان آخر من أول الكتاب .

تعريف قدامة للالتفات :

أما تعريف قدامة للالتفات فهو كماجاء في كتابه « نقد الشعر » أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعترضه إما شك فيه أو ظنّ أن راداً ردّه عليه ، أو سائلاً سأله عنه أو عن سببه ، فيلتفت قبل فراغه من التعبير عنه ، فإما أن يجلّي شكه أو يؤكده ويقرره ويذكر سببه . والذي نراه أن هذا أشبه بالاعتراض ، وأولى أن يندرج في سلكه .

وهناك التفات آخر في قوله « لعلهم يذكرون » فقد التفت عن الخطاب الى الغيبة وكان مقتضى المقام : لعلكم .

٢ ـ الاستعارة :

في قوله « لباس التقوى » وقد تقدمت الإشارة إليها ، ومثلها كثير الوقوع في كلام الشعراء ، ومنه :

إذا المرءُ لم يلبسْ لباساً من التقى
تقلّبَ عُرياناً وإن كان كاسيا

وقول الآخر :

تغطَّ بأثواب السخاء فإنني
أرى كلَّ عيب والسخاء غطاؤه

والاستعارة في الريش ، والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته . أي : أنزلنا عليكم لباسين لباساً يواري سوءاتكم ولباساً يزينكم ، لأن الزينة غرض صحيح .

٣ ـ الطباق :

بين قوله « تحيون » وقوله « تموتون » .

٤ ـ التشبيه التمثيلي :

في تمثيل فتنة الشيطان لهم بقصة آدم وحواء حين أخرجهما الشيطان بأحابيله من الجنة ، وجاء بالمضارع في قوله : « ينزع عنهما لباسهما » لاستحضار الصورة التي وقعت في أوغل العصور وتجسيدها أمام السامع .

الفوائـد :

روابط الخبر الجملة :

يشترط في الجملة الواقعـة خبراً أن تكون مشتملة عـلى رابط يربطها بالمبتدأ ، والروابط أربعة :

آ ـ الضمير البارز ، نحو : الظلم مرتعه وخيم ، أو المستتر نحو : « الحق يعلو » .

ب ـ الإشارة إليه ، نحو : « ولباس التقوى ذلك خير » .

ج ـ إعادة المبتـدأ بلفظـه ، نحو : « الحاقة ما الحاقة » ، وقول كعب :

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولاورع عند اللقـاء هيوب

د ـ العموم ، نحو : زيد نعم الرجل ، فزيد مبتدأ ، وجملة نعم خبره ، والرابط بينهما العموم . ومنه قول ابن ميّادة :

ألا ليت شعري هـل الى أمّ معمـر

سبيل فأمّا الصّبـر عنهـا فـلا صبرا

فالصبر مبتدأ ، وعنها جار ومجرور متعلقان به، ولا نافية للجنس، وصبراً اسمها مبني على الفتح ، والخبر محـذوف تقديره « لي » ، وجملة لا صبر لي خبر المبتدأ ، والرابط بينهما العموم الذي في اسم « لا » لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم .

وقد لا تحتاج الجملة الى رابط :

هذا وقد تكون الجملة الواقعة خبراً نفس المبتدأ في المعنى . فلا تحتاج الى رابط ، لأنها ليست أجنبية عنه ، كقوله تعالى : « قل هو الله أحد » ، فـ « هو » ضمير الشأن مبتدأ ، والجملة الاسمية بعده هي الخبر ، لا تحتاج الى رابط لأنها عينه .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) ﴾

الاعراب :

(وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا) الواو للاستئناف، ولعله أظهر ، ويجوز أن تكون عاطفة على الصلة قبلها ، وفيها على الحالين تأكيد على إصرارهم على الفاحشة . وإذا ظرف مستقبل متضمن

معنى الشرط ، متعلق بالجواب وهو قالوا ، وجملة فعلوا في محل جر بالإضافة ، وفاحشة مفعول به ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة وجدنا عليها آباءنا في محل نصب مقول القول (والله أمرنا بها) والله الواو عاطفة ، والله مبتدأ ، وجملة أمرنا بها خبر ، والجملة معطوفة على الجملة المتقدمة ، داخلة في حيّز القول ، أي : وقالوا : الله أمرنا بها (قل : إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) جملة القول مستأنفة مسوقة لردّ قولهم ، وإن التقليد ليس حجة ، وجملة إن وما في حيزها نصب مقول القول ، وإن واسمها ، وجملة لا يأمر خبرها ، وبالفحشاء جار ومجرور متعلقان بيأمر ، والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي ، وتقولون فعل مضارع مرفوع ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتقولون ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة لا تعلمون صلة (قل أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) كلام مستأنف مسوق لبيان ما أمر الله به حقيقة ، وجملة أمر ربي في محل نصب مقول القول ، وبالقسط جار ومجرور متعلقان بأمر ، وأقيموا الواو عاطفة ، وأقيموا فعل أمر معطوف على الأمر المقدر الذي ينحلّ اليه المصدر ، وهو القسط ، على حد قول ميسون :

ولبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ إليّ من لبس الشفوف

كأنه قال : أقسطوا وأقيموا ، تفادياً لعطف الإنشاء على الخبر ، وهو ضعيف . ووجوهكم مفعول به لأقيموا ، وعند ظرف مكان متعلق بأقيموا ، وكل مسجد مضاف إليه (وادعوه مخلصين له الدين) عطف على ما تقدم ، وادعوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ، ومخلصين حال ، وله جار ومجرور متعلقان بمخلصين ، والدين مفعول لمخلصين لأنه اسم

فاعل (كما بدأكم تعودون) كما نعت لمصدر محذوف تقديره : تعودون عوداً مثلما بدأكم ، وجملة بدأكم لا محل لها لوقوعها بعد موصول حرفي (فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة) فريقاً مفعول به مقدم لهدى ، وفريقاً الثاني منصوب بإضمار فعل يفسره قوله : حق عليهم الضلالة ، من حيث المعنى والتقدير ، وأضلّ فريقاً حق عليهم ، وقدره الزمخشري : وخذل فريقاً ، هادفاً الى تأييد مذهبه الاعتزالي • والجملة الفعلية والجملة المعطوفة عليها في محل نصب على الحال من فاعل بدأكم ، أي : بدأكم حال كونه هادياً فريقاً ومضلاً فريقاً ، أو تكون الجملتان مستأنفتين ، ومن التكلف إعراب « فريقاً » حالاً كما ورد لبعض المعربين ، وجملة حق عليهم الضلالة صفة لـ « فريقاً » (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) الجملة تعليلية لا محل لها ، وإن واسمها ، وجملة اتخذوا الشياطين خبر ، والشياطين مفعول به أول لاتخذوا ، وأولياء مفعوله الثاني ، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، والواو عاطفة أو حالية ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يحسبون ، ومهتدون خبر أنهم •

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

الاعراب :

(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كــل مسجد) كلام مستأنف مسوق لخطاب العرب وحملهم على الاقلاع عن التشدد وحرمان أنفسهم من الزينة • ويا حرف نداء ، وبني منادى مضاف ، وخذوا فعل أمر مبني على حذف النون ، وزينتكم مفعول به ، وعند كل مسجد الظرف متعلق بخذوا (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) عطف عــلى خذوا ، ولا ناهية ، وتسرفوا فعــل مضارع مجزوم بلا ، وإن واسمها ، وجملة لا يحب المسرفين خبرها ، والجملة تعليلية لا محل لها (قــل من حرم زينة الله التي أخرج لعبــاده والطيبات من الرزق خالصة يوم القيامة) جملة القول مستأنفــة مسوقة لتأكيد الإباحــة والاستمتاع بالزينة ، والأكل والشرب ، مع عدم الإسراف • ومن اسم استفهام للإنكار ، مبتــدأ ، وجملة حرم زينة الله خبر من ، والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول ، والطيبات عطف على زينة ، ومن الرزق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وخالصة حال ثانية ، ويوم القيامة ظرف متعلق بخالصة (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) تقدمت أعاريب مماثلة لهذه الجملة •

الفوائــد :

قال ابن عباس : كان العرب يطوفون بالبيت عراة ، الرجال بالنهار

والنساء بالليل ، يقولون : لا نطوف بثياب عصينا الله فيها ، فنزلت .
ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق ، فقال لعلي بن الحسين بن واقد : ليس في كتابكم من علم الطب شيء ؟ فقال له : قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه . قال : وما هي ؟ قال : قوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، فقال الطبيب : ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب ؟ فقال : قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة . قال : وما هي ؟ قال : قوله : « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء » . فقال الطبيب : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

اللغة :

(أجل) الأجل بفتحتين : مدة العمر من أولها الى آخرها . وأعاد ذكره بقوله : « فإذا جاء أجلهم » للاشارة الى آخر المدة . وفي المصباح: « أجل الشيء مدته ووقته الذي يحل فيه ، وهو مصدر أجل الشيء أجَلاً من باب تعِب ، وأجل أُجُولاً من باب قعَد لغة ، وآجَلْته

تأجيلاً : جعلت له أجلاً ، وجمع الأجل آجال ، مثل سبب وأسباب » .
ومن أقوالهم : ابن آدم قصير الأجل ، طويل الأمل ، يؤثر العاجل ويذر الآجل . ومن أقوالهم أيضاً : « أجلن عيون الآجال ، فأصبن النفوس بالآجال » .

الاعراب :

(قل : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) كلام مستأنف مسوق لخطاب الذين يحرمون ويحللون ، إن الله لم يحرّم ما تحرمونه من أجله وإنما حرم الفواحش . وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ، وإنما كافة ومكفوفة ، وجملة حرم ربي الفواحش مقول القول ، وما اسم موصول في محل نصب بدل من الفواحش ، وجملة ظهر صلة ، ومنها جار ومجرور متعلقان بظهر ، وما بطن عطف على ما ظهر (والإثم والبغي بغير الحق) من عطف الخاص على العام ، للاعتناء به . وبغير الحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو بالبغي لأنه مصدر (وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً) المصدر المؤول من أن وما في حيزها عطف أيضاً ، وبالله جار ومجرور متعلقان بتشركوا ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة لم ينزل صلة . وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وسلطاناً مفعول به لينزل (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) عطف أيضاً ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتقولوا ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة لا تعلمون صلة الموصول (ولكل أمة أجل) كلام مستأنف مسوق للدلالة على أن الآجال مكتوبة ، والأعمار محسوبة ، لئلا يغتر الانسان بأفاويق اللذات وتعاجيبها الخلوب . ولكل جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر مقدم ، وأمة مضاف اليه ، وأجل مبتدأ مؤخر (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاء أجلهم في محل جر بالإضافة، وجملة لا يستأخرون لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والمضارع المنفي بلا إذا وقع جواباً لإذا جاز أن يقترن بالفاء،وأن لايقترن بها. وساعة ظرف زمان متعلق بيستأخرون،وهي أقل الأوقات في حساب الناس ، يقول المستعجل : أفي ساعة تريد ذلك ؟ يريد غاية القلة في الزمان . ولا يستقدمون عطف على قوله : لا يستأخرون ، أو الواو استئنافية ، كما ترى في باب الفوائد .

الفوائد :

وفيما يلي خلاصة لأقوال الأئمة حول هذا الكلام :

رأي الواحدي :

قال الواحدي بعد كلام طويل : إن قيل ما معنى هذا مع استحالة التقدم على الأجل وقت حضوره ؟ قيل : هذا مبني على المقاربة ، تقول : إذا جاء الشتاء إذا قرب وقته ، ومع مقاربة الأجل يتصور التقدم ، وإن كان لا يتصور مع الانقضاء ، والمعنى لا يستأخرون عن آجالهم إذا انقضت ، ولا يستقدمون عليها إذا قاربت الانقضاء . وهذا بناء على أنه معطوف على قوله : لا يستأخرون .

رأي الكرخي :

وقال الكرخي : « قوله : ولا يستقدمون معطوف على الجملة الشرطية لا على جواب الشرط ، لأن إذا الشرطية لا يترتب عليها إلا

المستقبل ، أي : فلا يترتب على مجيء الأجل إلا مستقبل ، أو لاستقدام سابق ، فالوجه انقطاع « لا يستقدمون » عن الجواب استئنافاً ، كما حققه التفتازاني .

رأي البيضاوي :

وحاصل كلام القاضي البيضاوي أن هـذا بمنزلة المثل ، أي : لا يقصد من مجموع الكلام إلا أن الوقت لا يتغير ولا يتبدل ، وهو نظير قولهم : الرمان حلو حامض ، يعني فالجزاء مجموع الأمرين لا كل واحد على حدته . وهـذا كلام لطيف من البيضاوي ، ولعل فيه حسماً للخلاف .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٦) فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ (٣٧) ﴾

الاعراب :

(يا بني آدم) تقدم إعرابها كثيراً (إما يأتينكم رسل منكم) الكلام مستأنف مسوق لبيان مسألة إرسال الرسل ، وإن شرطية أدغمت في « ما » المزيدة المؤكدة لمعنى الشرط ، ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة ، ويأتينكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، ورسل فاعل ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسل ، وجعل الرسل منهم أقطع للحجة ، وأبعد عن العذر (يقصون عليكم آياتي) الجملة صفة لرسل أيضاً ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بيقصون ، وآياتي مفعول به (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) هذه الجملة الشرطية جواب للشرط السابق ، والفاء رابطة ، ومن اسم شرط مبتدأ ، والفاء في قوله : فلا خوف ، رابطة ، وقد تقدم إعراب ما بعد ذلك كثيراً (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) الواو عاطفة ، والذين اسم موصول مبتدأ ، وجملة كذبوا بآياتنا صلة ، واستكبروا عنها معطوفة ، وأولئك مبتدأ ، وأصحاب النار خبره ، والجملة خبر الذين ، والرابط اسم الاشارة كما تقدم ، وهم مبتدأ ، وفيها جار ومجرور متعلقان بالخبر « خالدون » ، والجملة حالية أو خبر ثان للذين (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته) الفاء استئنافية ، ومن اسم استفهام معناه النفي ، أي : لا أحد أظلم ، وأظلم خبر « من » ، وممن جار ومجرور متعلقان بأظلم ، وجملة افترى لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى ، وكذباً مفعول به ، أو مفعول مطلق ، وجملة كذب بآياته عطف على جملة افترى (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اسم الاشارة مبتدأ ،

وجملة ينالهم خبر ، ونصيبهم فاعل ينالهم ، ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) حتى حرف غاية وجر أو ابتدائية ، وقد تقدم الكلام عن هذا التعبير فجدد به عهداً ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاءتهم رسلنا في محل جر بالإضافة ، وجملة يتوفونهم حال من رسلنا ، أي : متوفية إياهم (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله) جملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وأين اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية ، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجملة الاستفهام في موضع نصب مقول القول، وجملة كنتم صلة الموصول، والتاء اسم كان، وجملة تدعون خبرها، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أو متعلقان بتدعون (قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) الجملة جواب لسؤال مقدر ، كأنه قيل : ما فعل معبودكم ومن كنتم تدعونه ؟ فأجابوا بأنهم ضلوا . وجملة ضلوا مقول القول ، وجملة شهدوا معطوفة على جملة قالوا ، أو مستأنفة ، وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بشهدوا، وأن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بشهدوا ، وجملة كانوا كافرين خبر « أن » .

﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ

النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ »

اللغــة :

(ادّاركوا) : أي : تداركوا ، بمعنى تلاحقوا في النار ، وأصله تداركوا ، فأدغمت التاء في الدال بعد قلبها دالاً وتسكينها ثم اجتلبت همزة الوصل ، وسيأتي في باب الفوائد كيفية ذلك .

(أخراهم وأولاهم) : يحتمل أن تكون « فعلى » أنثى « أفعل » الدال على المفاضلة ، والمعنى على هذا أخراهم منزلة ، وهم الأتباع والسفلة ، لأولاهم منزلة ، وهم القادة والسادة والرؤساء . ويحتمل أن تكون « أخرى » بمعنى آخرة ، تأنيث « آخر » ، مقابل « أول » ، لا تأنيث « آخر » الذي للمفاضلة ، ومنها قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . ولعلها الأظهر في الآية .

(الضعف) : قال أبو عبيدة الضعف مثل الشيء مرة واحدة ، وقال الأزهري : هو ما يستعمله الناس في مجاري كلامهم . والضعف في كلام العرب : المثل الى ما زاد ، ولا يقتصر به على مثلين ، بل تقول : هذا ضعفه أي : مثلاه وثلاثة أمثاله ، لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة ، ألا ترى الى قوله تعالى : « فأولئك لهم جزاء الضعف » ، لم يرد به مثلاً ولا مثلين ، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله ، كقوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » فأقل الضعف محصور وهو المثل ، وأكثره غير محصور . وفي القاموس : « وضعف الشيء بالكسر مثله ، وضعفاه مثلاه ، والضعف المثل الى ما زاد ، ويقال : لك ضعفه ، يريدون مثليه ، وثلاثة أمثاله ، لأنه زيادة غير محصورة » .

(يلج) : في المصباح : « ولج الشيء في غيره يلج ، من باب وعد ، ولوجاً ، وأولجته إيلاجاً أدخلته » .

(سم) السم : بتثليث السين ، وفي المصباح : « السم ما يقتل ، بالفتح في الأكثر ، وجمعه سموم وسمام مثل : فَلْس وفُلوس ، وسمام أيضاً ، مثل : سَهْم وسِهام . والضم لغة لأهل العالية ، والكسر لغة لبني تميم ... والسم : ثقب الإبرة ، وفيه اللغات الثلاث ، وجمعه سِمَام » . وهو المراد في الآية ، ولكن السبعة على الفتح ، وقرىء شاذاً بالكسر والضم . وسم الإبرة مثل في ضيق المسلك ، يقال : أضيق من خَرْت الإبرة ، وقالوا للدليل الماهر : خِرِّيت ، للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر ، والجمل مثل في عظم الجرم ، قال حسان ابن ثابت :

لا بأس في القوم من طول ومن عظم

جسم البغال وأحلام العصافير

أي : لا بأس ولا ضرر يعتري هؤلاء من جهة الطول والغلظ . وفيه تهكم بهم ، فأجسامهم كأجسام البغال ، وعقولهم كعقل العصافير ، ان كان لها عقول ، يعني أنهم لا عقل لهم .

(غواش) : جمع غاشية ، وهي الغطاء .

الاعراب :

(قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس في النار) الكلام مستأنف لحكاية قول الله لهم يوم القيامة . وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ، وجملة ادخلوا في محل نصب مقول القول ، وفي أمم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي كائنين في جملة أمم ، وفي غمارهم مصاحبين لهم ، وقيل : هما متعلقان بادخلوا ، والمعنى في جملة أمم ، وجملة قد خلت صفة لأمم ، ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية، ومن الجن والإنس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثالثة ، وفي النار جار ومجرور بدل من قوله : « في أمم » ، والظروف مجاز ، وسيأتي الحديث عنها . وقال أبو حيان : وفي النار جار ومجرور متعلقان بـ« خلت »، على أن المعنى تقدم دخولها، أو بمحذوف صفة الأمم ، أي في أمم سابقة في الزمان كائنة من الجن والإنس ، كائنة في النار ، وأطال أبو حيان فيما لا طائل تحته (كلما دخلت أمة لعنت أختها) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط ، وجملة دخلت أمة في محل جر بالإضافة أو لا محل لها إذا اعتبرنا « ما » موصولاً حرفياً ، وجملة لعنت أختها لا محلّ لها لأنها جواب شرط غير جازم والجملة الظرفية من تتمة مقول القول (حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً) حتى حرف غاية وجر ، أو ابتدائية ، وإذا ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب ، أي : بقالت الآتية ، وجملة اداركوا في محل جر بالإضافة ، وفيها جار ومجرور متعلقان باداركوا ، وجميعاً حال (قالت أخراهم لأولاهم) الجملة لا محل لها لأنها جواب إذا ، ولأولاهم اللام حرف جر للتعليل أي : لأجلهم ، أو للتبليغ ، والجار والمجرور متعلقان بقالت (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار) ربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء ، واسم الاشارة مبتدأ،وجملة أضلونا خبره،وجملة ربنا هؤلاء فيمحل نصب مقول القول فآتهم الفاء الفصيحة،وآتهم فعل أمر مبني على حذف حرف العلة،والهاء مفعول به،وعذاباً مفعول به ثان،وضعفاً صفة لـ « عذاباً »، من النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية (قال : لكل ضعف ولكن لا تعلمون) جملة القول مستأنفة ، ولكل جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وضعف مبتدأ مؤخر ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول قوله تعالى ، ولكن الواو حالية ، أو استئنافية ، ولكن حرف استدراك مهمل ، ولا نافية ، وتعلمون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطف على ما تقدم ، والفاء عاطفة ، عطفت ما بعدها من الكلام على قول الله تعالى للسفلة : لكل ضعف ، فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا . وما نافية ، وكان فعل ماض ناقص ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان الناقصة ، ومن حرف جر زائد ، وفضل مجرور لفظاً اسم كان محلاً ، وعلينا جار ومجرور ، أي : إنا وإياكم سيان في الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) الفاء الفصيحة ، أي : إذا تبين لكم وعلمتموه ثم أصررتم على موقفكم المغاير فذوقوا ، والعذاب مفعوله ، وبما الباء سببية جارّة ، وما مصدرية ، أي بسبب كسبكم ، وجملة تكسبون خبر كنتم

(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) كلام مستأنف مسوق لتأكيد مصير الكافرين ، وإن واسمها ، وجملة كذبوا بآياتنا صلة الموصول لا محل لها ، وجملة استكبروا عطف على جملة كفروا ، وعنها جار ومجرور متعلقان باستكبروا ، وجملة لا تفتح خبر إن ، ولهم جار ومجرور متعلقان بتفتح ، وأبواب السماء نائب فاعل ، (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) هذه الجملة معطوفة على جملة لا تفتح لهم ، وحتى حرف غاية وجر ، وفي سم الخياط جار ومجرور متعلقان بيلج (وكذلك نجزي المجرمين) الواو استئنافية ، وكذلك نعت لمصدر محذوف ، أي : جزاء مثل ذلك ، والمجرمين مفعول به (لهم من جهنم مهاد) الجملة الاسمية تحتمل الحالية والاستئنافية ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومهاد مبتدأ مؤخر ، ومن جهنم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لجهنم (ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين) عطف ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وغواش مبتدأ مؤخر ، والضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين ، وسيأتي مزيد من الكلام عنه في باب الفوائد .

البلاغة :

في قوله تعالى : « حتى يلج الجمل سم الخياط » فن بلاغي يسمى المذهب الكلامي . ويقول ابن المعتز في كتابه البديع : إن الجاحظ سماه هذه التسمية ، وعرفوه بأنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تفلّ سلاح المعاند المكابر، وتقطع بينته ، على طريقة علماء الكلام. لأن علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بحجج عقلية وبراهين

قاطعة تدحض اللجاج ، ومنه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة . وفي الآيـة التي نحن بصددها وجـه استنتاج النتيجة من المقدّمتين أن يقال : إن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً حتى يلج الجمل في خرم الابرة ، والجمل لا يدخل في خرم لإبرة أبداً ، فهم لا يدخلون الجنة أبداً ، لأن تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط . وسيرد الكثير منه في القرآن الكريم .

المذهب الكلامي في الشعر :

وقد جاء هذا الفن في كثير من الشعر العربي ، ولهم فيه روائع فمن ذلك قول أبي تمام :

وإذا أراد اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ طُوِيتْ أتاح لها لسانَ حسودِ

لولا اشتعـالِ النارِ فيما جاورتْ

ما كان يُعـرفُ طِيبُ عَرْفِ العودِ

والقطعة التالية لبهاء الدين زهير حافلة بضروب من هذا الفن ، ونجتزىء بإيرادها :

يا من أكابـد فيـه ما أكابـده

مولاي أصبر حتى يحكـم اللـه

سمّيتُ غـيرَك محبوبي مغالطـةً

لمعشر فيك قـد فاهوا بمـا فاهوا

أقول زيدٌ ، وزيدٌ لستُ أعرفه
وإنما هو لفظ أنت معناه

وكم ذكرت مسمّى لا اكتراث به
حتى يجرَّ إلى ذكراك ذكراه

أتيه فيك على العشاق كلهم
قد عزّ مَنْ أنت يا مولاي مولاه

والناسُ فينا ببعض القول قد لهجوا
لو صحَّ ما ذكروا ما كنت آباه

كادت عيونهم بالبغض تنطق لي
حتى كأنّ عيون الناس أفواه

فإن جميع هذه العلل المذكورة ضمن هذه الأبيات علل حقيقية أصلية يسلم بها الخصم المعاند عند سماعها من غير مجادلة ، ولا لجوء إلى اللجاج والمكابرة ، وذلك لا يخفى على من له مسكة من ذوق .

الفوائد :

١ ـ إبدال التاء :

في ادكر : وجهان : أولهما : أن الأصل تداركوا ، كما ذكرنا في باب اللغة . وما كانت فاؤه ثاء أو ذالاً أو دالاً أو زاياً أو صاداً أو

ضاداً أو طاء أو ظاء مما هو على وزن تفاعَل أو تَفَعَّل أو تَفَعْلَل ، بحيث تجتمع التاء وهذه الأحرف جاء فيه إبدال التاء حرفاً من جنس ما بعدها مع إدغامها فيه ، وذلك نحو : اثّاقل وادّكر وازّيّن واصّبر واضّرع واطّرب واظّلم ، والأصل : تثاقل وتذكّر وتزيّن وتصبّر وتضرّع وتطرّب وتظلّم،فأبدلت التاء حرفاً من جنس مابعدها،ثم أسكن لإدغامه، فتعذر الابتداء بالساكن، فأتي بهمزة الوصل تخلصاً من ذلك.

وثانيهما أنه إذا أبدلت تاء افتعل الى حرف مجانس لما بعدها تلفظ في الوزن بأصل تاء الافتعال ، ولا تلفظ بما صارت إليه من طاء أو دال ، فنقول وزن اصطبر افتعل لا افطعل ، ووزن ازدجر افتعل لا افدعل ، فكذلك نقول هنا وزن ادّاركوا اتفاعلوا لا افّاعلوا ، فلا فرق بين تاء الافتعال والتفاعل في ذلك .

٢ ـ الجمع المنقوص على وزن مفاعل :

للنحاة في الجمع الذي على وزن مفاعل ـ إذا كان منقوصاً ـ مذهبان ، فبعضهم قال : هو منصرف ، لأنه قد زالت عنه صيغة منتهى الجموع ، فصار وزنه وزن جناح ، وقد زال فانصرف . وقال الجمهور : هو ممنوع من الصرف ، والتنوين تنوين عوض ، وقد تقدم بحثه . واختلفوا في المعوض عنه ماذا ؟ فالجمهور على أنه عوض عن الياء المحذوفة ، وذهب المبرد الى أنه عوض عن حركتها ، والكسر ليس كسر إعراب .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ

أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

اللغة :

(الوسع) بتثليث الواو : الطاقة يقال : ليس في وُسْعِهِ أن يفعل كذا ، أي : لا يقدر عليه . وقال الزجاج : الوسع : ما يقدر عليه .

(الغل) : الحقد .

الاعراب :

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) كلام مستأنف مسوق للشروع في ذكر وعد المؤمنين وما أعدّ لهم في الآخرة ، بعد أن ذكر وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة . واسم الموصول مبتدأ ، وجملة آمنوا صلة ، وجملة عملوا الصالحات عطف على الصلة (لا نكلف نفساً إلا وسعها) الجملة معترضة بين المبتدأ وخبره ، وقد حسن الاعتراض هنا لأنه من جنس الكلام ، فإنه تعالى لما نوه بعملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن نطاق قدرتهم ، ولا نافية ، ونكلف فعل مضارع مرفوع ، وفاعله مستتر تقديره نحن ،

ونفساً مفعول نكلف الأول ، وإلا أداة حصر ، ووسعها مفعول نكلف الثاني (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) الجملة الاسمية خبر الذين ، واسم الاشارة مبتدأ ، وأصحاب الجنة خبره ، وهم مبتدأ ، وخالدون خبره ، وفيها جار ومجرور متعلقان بقوله : خالدون ، وجملة هم فيها خالدون خبر ثان لأولئك ، أو حال من أصحاب الجنة (ونزعنا مافي صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار) الواو عاطفة ، ونزعنا فعل وفاعل ، وما اسم موصول مفعول به ، وفي صدورهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ومن غلّ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجملة تجري حال من الضمير (وقالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا) الواو عاطفة ، وقالوا فعل وفاعل ، والحمد مبتدأ ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ، والذي اسم موصول نعت لله ، وجملة هدانا لهذا لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) يجوز أن تكون الواو للاستئناف أو للحال ، وما نافية ، وكان واسمها واللام لام الجحود ، ونهتدي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ؛ ولولا حرف امتناع لوجود ، وأن مصدرية ، وهي مع مدخولها في موضع رفع مبتدأ ، وخبر المبتدأ محذوف ، كما هي القاعدة :

وبعد لولا غالباً حذف الخبر حتم وفي نص يمين ذا استقر

وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ، والتقدير : لولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا أو لشقينا ، والجملة كلها مستأنفة أو حالية (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) اللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجاءت رسل ربنا فعل وفاعل ، وبالحق جار ومجرور متعلقان

بجاءت (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) الواو استئنافية ، ونودوا فعل ماض مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، وأن يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة أو مفسرة ، وتلكم الجنة اسم الاشارة مبتدأ ، والجنة خبر أو بدل من اسم الاشارة ، والخبر جملة أورثتموها . وعلى الأول تكون جملة أورثتموها حالية ، وبما كنتم تعملون تقدم إعراب نظائرها كثيراً .

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

اللغــة :

(العوج) بكسر العين : في المعــاني وفي الأعيان ، ما لم يكن

منتصباً ، وبالفتح فيما كان منتصباً كالرمح والحائط • وسيرد المزيد من البحث لهذه المادة اللغوية •

(الأعراف) : سور مضروب بين الجنة والنار ، وهي أعاليه ، جمع عرف ، استعير من عرف الديك والفرس ، وقد أفاض أصحاب المطوّلات في وصفه ، وأنهى بعضهم الأقوال فيه الى ثلاثة عشر قولاً • أما مادة عرف اللغوية فهي عجيبة ، ونورد هنا بعض خصائصها ومعانيها جرياً على ما توخيناه في هذا الكتاب • يقال عَرَفَ الشيءَ يعرِفه من باب ضرب عِرْفَة وعِرْفاناً ومَعْرِفة علمه ، وعَرَفَ يعرُف بالضم من باب نصر عِرافة على القوم دبرهم وساس أمرهم ، وعَرُفَ يعرُف بالضم في الماضي والمضارع عرافة : صار عريفاً وأكثر من الطيب • ومن المستعار : أعراف الريح والسحاب والضباب لأوائلها ، واعرورف البحر : أي ارتفعت أمواجه ، واعرورف فلان للشرّ : اشرأب له ، وقلة عرفاء مرتفعة ، قال زهير :

ومَرْقَبةٍ عَرْفَاءَ أَوفيتُ مُقْصِراً
لأستأنس الأشباحَ فيه وأنظرا

ومقصراً من القصر وهو العشيّ • والعرّاف : دون الكاهن ، قالوا : إذا سال بك الغراف لم ينفعك العراف • وقال عروة :

جعلتُ لعرّاف اليَمامَةِ حكمه
وعَرّافِ نجد إذ هما شفياني

(السّيمى) والسّيمة والسّومة والسّيماء والسيمياء : العلامة والهيئة والبهجة والحسن •

الاعراب :

(ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) الجملة استئنافية مسوقة للتقرير والتبكيت • وأصحاب الجنة فاعل نادى ، وأصحاب النار مفعوله (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً) أن مخففة من الثقيلة ، فيكون اسمها ضمير الشأن ، وجملة قد وجدنا خبرها ، أو تكون «أن» مفسرة ؛ فتكون جملة قد وجدنا لا محل لها لأنها مفسرة ، وما مفعول به ؛ وجملة وعدنا ربنا صلة لا محل لها ، وحقاً مفعول به ثان لوجدنا (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم) الفاء عاطفة ، وهل حرف استفهام ، ووجدتم وما بعدها تقدم إعرابه ، قالوا فعل وفاعل ، والجملة مستأنفة ، ونعم حرف جواب ، وجملة الجواب المحذوفة في محل نصب مقول القول (فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) الفاء عاطفة ، وأذن مؤذن فعل وفاعل ، وأن مخففة من الثقيلة ، وهي مع مدخولها في محل جر بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بأذن ، ويجوز أن تكون « أن » مفسرة فجملة أن وما في حيزها لا محل لها ، ولعنة الله مبتدأ ، وعلى الظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لعنة وان كانت أن مخففة من الثقيلة فتعرب «لعنة» مبتدأ أيضاً (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً) الذين اسم موصول في محل جر صفة للظالمين، ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : هم الذين يصدون ، وجملة يصدون لا محل لها لأنها صلة الموصول، وعن سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيصدون، ويبغونها عطف على يصدون، وهي فعل مضارع وفاعل ومفعول به، وعوجاً حال، أي: معوجة، ومعنى الاعوجاج هنا الميل عن الحق، وذلك بتشويه الدين والتلبيس على الناس وإيهامهم أن فيه انحرافاً عن الجادة وميلاً عن الحق (وهم بالآخرة كافرون) الواو حالية ، و « هم » مبتدأ

وبالآخرة جار ومجرور متعلقان بـ « كافرون » ، وكافرون خبر « هم »، والجملة في محل نصب على الحال (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم) الواو عاطفة ، وبينهما الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وحجاب مبتدأ مؤخر ، أي : وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار . وكذلك قوله : وعلى الأعراف رجال ، وجملة يعرفون في محل رفع صفة لرجال ، وكلاً مفعول به ، وبسيماهم جار ومجرور متعلقان بيعرفون (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) الجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن أهل الأعراف ، والقول فيهم ، وعن منزلتهم • مرجعه في المطوّلات ، فارجع إليها إن شئت • ونادوا فعل وفاعل ، والضمير يعود على أصحاب الأعراف ، وأصحاب الجنة مفعوله ، وأن مخففة من الثقيلة أو مفسرة ، وقد تقدّمت ، وسلام مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء فتخصص ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره ، وجملة لم يدخلوها مستأنفة مسوقة لتكون بمثابة جواب عن سؤال سائل عن أصحاب الأعراف ، فكأنه قيل : ما صنع بهم ؟ فقيل لم يدخلوها ، والواو حالية ، وهم مبتدأ ، وجملة يطمعون خبر ، وجملة وهم الخ في محل نصب على الحال (وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) الواو عاطفة لاستكمال حديث أصحاب الأعراف ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وهو قالوا ، وجملة صرفت في محل جر بالإضافة ، وأبصارهم نائب فاعل ، وتلقاء ظرف مكان متعلق بصرفت ، ويأتي مصدراً ولم يأت من المصادر على تِفْعال بكسر التاء غير مصادر محددة• (قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) الجملة جواب شرط غير جازم ، فلا محل لها ، وربنا منادى مضاف ، ولا ناهية المقصود بها هنا الدعاء ، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، ومع ظرف مكان

متعلق بمحذوف مفعول به ثان ، والقوم مضاف إليه ، والظالمين نعت للقـــوم .

الفوائـد :

المصادر كلها من هذا الوزن على تفعال بفتح التاء ، وإنما تجيء تفعال في الأسماء ، وليست كثيرة ، ذكر بعض أئمة اللغة منها ستة عشر اسماً ، ومنها التبيان والتلقاء ، ومر تهواء من الليل ، وتبراك وتعشار وترباع وهي مواضع ، وتمساح للدابة المعروفة ، والتمساح الرجـل الكذاب أيضاً ، والزلزال وتجفاف وتمثال وتمراد والتمراد بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه ، وتلفاق وهما ثوبان يلفقان ، وتلقام أي : سريع اللقم ، ويقال أتت الناقة على تضرابها أي : عـلى الوقت الذي ضربها الفحل فيه ، وتضراب كثير الضرب ، وتقصار وهي المخنفـة ، وتنبال وهو القصير .

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

الاعراب :

(ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم) الواو عاطفة أو استئنافية ، مسوقة لبيان ما يقوله أصحاب الأعراف لأهل النار . ونادى أصحاب الأعراف فعل وفاعل ، ورجالاً مفعول به ، وجملة يعرفونهم صفة لـ « رجالاً » ، وبسيماهم جار ومجرور متعلقان بيعرفونهم ، أي : ممن كانوا في الدنيا موسومين بالعظمة والخيلاء (قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) جملة القول لا محل لها لأنها مفسرة ، فسرت النداء . وما اسم استفهام للتوبيخ ، أي : أيّ شيء أغنى عنكم ؟ ويصح أن تكون نافية ، وعلى الأول تكون مفعولاً مقدماً لأغنى ، أي نفعكم ودفع عنكم جمعكم في الدنيا ، وجمعكم فاعل ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر معطوف على جمعكم ، أي : واستكباركم ، المفهوم قوله « وكنتم تستكبرون » ، وجملة تستكبرون خبر كنتم ، والجملة مقول القول (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) الهمزة للاستفهام التقريري التوبيخي ، وهؤلاء مبتدأ ، والذين اسم موصول خبر ، وجملة أقسمتم صلة الموصول ، وجملة لا ينالهم الله برحمة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، ولا نافية ، وينالهم الله فعل ومفعول به وفاعل ، وبرحمة جار ومجرور متعلقان بينالهم (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) الجملة الأمرية مقول قول محذوف ، أي : قد قيل لهم ، والجملة القولية

المحذوفة خبر ثان لاسم الاشارة ، أو حال منه ، أي مقولاً لهم ذلك ، ولا نافية مهملة وخوف مبتدأ ، ساغ الابتداء به لدخول النفي عليه ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وجملة ولا أنتم تحزنون عطف على الجملة المتقدمة (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) تقدم إعراب نظيرها (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة ، وقد تقدمت لها نظائر ، وأفيضوا فعل أمر والواو فاعل ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفيضوا ، ومن الماء جار ومجرور متعلقان بأفيضوا أيضاً ، لأن معنى الإفاضة هنا متضمن معنى الإلقاء ، وأو حرف عطف ، ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف معطوف من الماء ، ولا بد من تقدير فعل ، أي : وأطعمونا ، على حدّ قولهم : « علفتها تبناً وماء بارداً » ، أو بتضمين أفيضوا معنى ألقوا يصح تعلق المعطوف به ، وجملة رزقكم الله صلة ، والأولى أن تكون « أو » بمعنى الواو ليصح ، ولها نظائر في اللغة (قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين) الجملة مستأنفة لتقرير جوابهم ، وجملة إن واسمها وخبرها في محل نصب مقول قولهم ، وجملة حرمهما خبر إن ، وعلى الكافرين جار ومجرور متعلقان بحرمهما ، والمراد بالتحريم لازمه وهو المنع (الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً) اسم موصول في محل جر صفة للكافرين ، وجملة اتخذوا صلة ، ودينهم مفعول اتخذوا الأول ، ولهواً مفعوله الثاني ، ولعباً عطف على « لهواً » (وغرتهم الحياة الدنيا) الواو عاطفة ، وغرتهم الحياة فعل ومفعول به وفاعل ، والدنيا صفة للحياة ، أي : استهوتهم بزخارفها وشغلتهم بالأطماع (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) الفاء هي الفصيحة ، واليوم ظرف زمان متعلق بننساهم ، والكاف حرف جر ، وما مصدرية ، أي : كنسيانهم ، والجار والمجرور في محل نصب صفة

لمفعول مطلق محذوف ، ولقاء مفعول به لنسوا ، ويومهم مضاف إليه ، وهذا نعت ليومهم أو بدل منه (وما كانوا بآياتنا يجحدون) الواو حرف عطف ، وما مصدرية ، والمصدر المنسبك معطوف على المصدر الأول وكان واسمها ، وجملة يجحدون خبرها ، والجار والمجرور متعلقان بيجحدون .

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾

الاعراب :

(ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما ورد في الكتاب من تفصيل ما فعلوه . واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجئناهم فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وبكتاب جار ومجرور متعلقان بجئناهم ، وجملة فصلناه نعت للكتاب ، وعلى علم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال إما من الفاعل في « فصلناه » ، أي : فصلناه عالمين

بتفصيله ، وإما من المفعول ، أي : فصلناه مشتملاً على علم (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) هدى ورحمة حال من مفعول فصلناه ، أي : هادياً وراحماً . ويجوز أن يعربا مفعولاً من أجله ، أي : فصلناه لأجل الهداية والرحمة ، ولقوم جار ومجرور متعلقان بالمصدر ، وجملة يؤمنون نعت لقوم (هل ينظرون إلا تأويله) كلام مستأنف لبيان موقفهم من الكتاب الذي يجحدون ، وفي نفس الوقت ينتظرون ما يؤول إليه وعاقبة أمره . وهل حرف استفهام بمعنى النفي والإنكار، أي : ما ينتظرون ويتوقعون غير ذلك ، وإلا أداة حصر ، نزلهم منزلة المتوقع المنتظر ، وهم ليسوا كذلك لجحودهم له ، وتأويله مفعول به (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما يقولونه في ذلك اليوم . والظرف متعلق بيقول ، وجملة يأتي تأويله في محل جر بالإضافة ، وتأويله فاعل يأتي ، ويقول الذين فعل وفاعل ، وجملة نسوه صلة الموصول ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بنسوه ، أي : من قبل إتيان تأويله (قد جاءت رسل ربنا بالحق) الجملة في محل نصب مقول قولهم ، وجاءت رسل ربنا فعل وفاعل : وبالحق جار ومجرور متعلقان بجاءت (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) الفاء عاطفة ، وهل حرف استفهام ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن حرف جر زائد ، وشفعاء مجرور بمن لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر ، والفاء فاء السببية لوقوعها في جواب الاستفهام ، ويشفعوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء ، ولنا جار ومجرور متعلقان بيشفعوا (أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) أو حرف عطف ونرد فعل مضارع مبني للمجهول ، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها ، داخلة معها في حكم الاستفهام ، كأنه قيل : هل لنا من شفعاء أو هل نرد ؟ ورفع نرد لوقوعه موقع الاسم ، فيكون من

باب عطف الاسم المؤول على الاسم الصريح ، أي : فهل لنا شفعاء فشفاعة منهم لنا ؟ والفاء للسببية أيضاً ، ونعمل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب الاستفهام الثاني ، وغير مفعول نعمل ، والذي مضاف إليه ، وجملة كنا نعمل صلة ، وكان واسمها ، وجملة نعمل خبر كان (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) كلام مستأنف مسوق لتقرير الإجابة عن الاستفهامين السابقين ، وقد حرف تحقيق ، وخسروا فعل وفاعل ، وأنفسهم مفعول به ، وضل عنهم عطف على خسروا ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بضل ، وما اسم موصول فاعل ، وجملة كانوا يفترون صلة الموصول ، وجملة يفترون خبر كانوا .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

اللغة :

(يغشي) : يغطّي ، وانجلت عنه غَشيةُ الحمّى أي : ملّتها ، ونزلت به غشية الموت ، وغُشي عليه ، وأصابه غُشْيٌ ، قال ذو الرّمة :

وردتْ وأغباشُ السّواد كأنها
سَمادِيرُ غَشْيٍ في العيون النواظرِ

وعلى قلبه غشاوة فما يقبل الحق ، واستغش ثوبك كي لا تسمع ولا ترى ، وكثرت غاشية فلان . وللغين مع الشين فاء وعيناً للفعل معنى يكاد يكون متشابهاً ، وهو التغطية والستر ، وغشّ معروف كأنه أخفى كيده ، وغشم الوالي الرعية وهو غشوم إذا خبطهم بعسفه ، وغشمر السيل : أقبل ، والرجل : ركب رأسه في الحق والباطل فلا يبالي بما صنع ، وهذا من دقيق اللغة فتدبره .

الاعراب :

(إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) كلام مستأنف مسوق لتقرير خلق السموات والأرض . وإن واسمها ، والله خبرها ، والذي اسم موصول في محل رفع نعت لله ، وجملة خلق السموات والأرض صلة ، وفي ستة أيام جار ومجرور متعلقان بخلق (ثم استوى على العرش) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، واستوى فعل ماض ، وفاعله مستتر تقديره هو ، أي : تمكن واستقرّ استقراراً مجرداً عن الكيفية ، وعلى العرش جار ومجرور متعلقان باستوى (يغشي الليل النهار) الجملة حال ، والليل مفعول به أول ليغشي ، والنهار مفعول به ثان ، أو بالعكس ، أي : يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل (يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) الجملة حال من الليل ، لأنه هو المحدّث عنه ، أي : يغشي النهار طالباً له ، ويجوز أن تكون حالاً من النهار ، أي : مطلوباً ،

ويطلبه فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وحثيثاً حال من فاعل يطلبه . أو من مفعوله ، أي : حاثاً أو محثوثاً ، ويجوز أن يعرب نعتاً لمصدر محذوف ، فهو مفعول مطلق ، أي طلباً حثيثاً ، والشمس والقمر والنجوم والألفاظ الثلاثة منصوبة عطفاً على السموات والأرض ، ومسخرات حال منها ، أي : مذللات لما يراد منها من طلوع وأفول ، وبأمره جار ومجرور متعلقان بمسخرات أو بمحذوف حال ، وتكون الباء للمصاحبة ، أي : مصاحبة لأمره غير خارجة عنه في تسخيره (ألا له الخلق والأمر) كلام مستأنف مسوق للتنويه بالرد على القائلين بأن لهذه الأمور تأثيرات في هذا العالم العجيب . وألا أداة استفتاح وتنبيه، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والخلق مبتدأ مؤخر ، والأمر عطف عليه (تبارك الله رب العالمين) استئناف آخر مسوق للتنويه بكثرة خيره تعالى وتبارك وتقديسه وتنزيهه. وتبارك فعل ماض، أي : تقدس وتنزه ، وهو فعل جامد لا يتصرف ، أي لا يأتي منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل ، والله فاعل ، ورب العالمين صفة أو بدل من الله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) كلام مستأنف مسوق للتنويه بأن الدعاء يجب أن يكون مصروفاً إليه تعالى وحده . وادعوا فعل أمر ، والواو فاعل ، وربكم مفعول به ، وتضرعاً نصب على الحال ، أي : ذوي تضرع ، وخفية عطف عليه ، ويجوز أن يعرب صفة لمصدر محذوف ، أي ادعوه دعاء تضرع ودعاء خفية ، وأيهما أفضل ؟ هناك خلاف يرجع إليه في المطولات . ويجوز أن يعربا مفعولاً لأجله ، وجملة إنه لا يحب المعتدين تعليلية داخلة في حكم الاستئنافية ، لا محل لها ، ومعنى الاعتداء هنا تجاوز الحد ، وجملة لا يحب المعتدين خبر « إن » .

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) ﴾

اللغـة :

(بُشْراً) بضمّ الباء وسكون الشين جمع بشير ، أي مبشرات . وفيه أربع قراءات سبعية ، والثانية بُشُراً بضمتين ، والثالثة نُشُراً بالنون وبضمتين ، والرابعة نَشْراً بفتح النون وسكون الشين ، ومعنى نشراً متفرقة .

(أقلت) : حملت ورفعت ، واشتقاق الإقلال من القلة ، لأن الرافع المطيق يرى الذي يرفعه قليلاً .

(نكداً) النكد : بكسر الكاف الذي لا خير فيه ، أو الذي اشتدّ وعسر ، وقوم أنكاد ومناكيد ، قال أبو الطيب :

لاتشترِ العبدَ إلا والعصا معه ... إنّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ

الاعراب :

(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) كلام مستأنف مسوق لتحذير البشر من الفساد في الأرض . ولا ناهية ، وتفسدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتفسدوا ، وبعد ظرف متعلق بتفسدوا أيضاً ، وإصلاحها مضاف إليه (وادعوه خوفاً وطمعاً) عطف على ما تقدم ، وخوفاً وطمعاً منصوبان على الحال ، أي : خائفين وطامعين ، أو على أنهما صفة لمصدر محذوف ، أو على أنهما مفعولان لأجلهما (إن رحمت الله قريب من المحسنين) الجملة تعليل لما ذكر ، وإن واسمها ، وقريب خبرها ، ومن المحسنين جار ومجرور متعلقان بقريب (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) الواو عاطفة ، والكلام معطوف على ما قبله ، وهو : إن ربكم الخ ، وهو مبتدأ ، والذي اسم موصول في محل رفع خبر ، وجملة يرسل الرياح صلة لا محل لها ، وبشراً حال ، أي : مبشرات بالخصب والنماء ، فهو من المفعول به ، وبين ظرف مكان متعلق بيرسل ، وإضافته الى يدي مجاز مرسل ، (حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت) حتى حرف غاية وجر ، والغاية للإرسال ، وإذا ظرف زمان مستقبل ، وجملة أقلت في محل جر بالإضافة ، والظرف متعلق بسقناه الذي هو جواب الشرط ، وسحاباً مفعول به ، وثقالاً صفة ، وجملة سقناه لا محل لها ، ولبلد جار ومجرور متعلقان بسقناه ، وميت صفة لبلد (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) الفاء عاطفة ، وأنزلنا فعل وفاعل ، وبه جار ومجرور متعلقان بأنزلنا ، والباء للسببية ،

والضمير يعود على البلد الميت ، أو السحاب ، فعلى الأول تكون الباء للظرفية بمعنى أنزلنا في ذلك البلد الميت الماء ، وعلى الثاني تكون الباء للسببية ، أي فأنزلنا الماء بسبب السحاب ، والماء مفعول به ، والفاء عاطفة ، وأخرجنا عطف على أنزلنا ، والضمير في « به » يعود على الماء أو البلد أو السحاب أيضاً كما تقدم ، ومن كل الثمرات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة للمفعول به المحذوف ، أي : رزقاً أو نباتاً (كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) كلام مستأنف مسوق بأسلوب بلاغي على طريق التشبيه بمعنى أن من قدر على إخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على إحياء الموتى . وكذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف نعت لمصدر محذوف ، فهو مفعول مطلق مقدم ، ونخرج الموتى فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وجملة الرجاء حالية ، وجملة تذكرون خبر لعل (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه) كلام مستأنف مسوق لتتميم التشبيه . والبلد مبتدأ ، والطيب صفة ، وجملة يخرج نباته خبر ، وبإذن ربه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، كأنه قيل : يخرج نباته حسناً وافياً ، لأنه في مقابلة قوله : « نكداً » فيما بعد ، ففي الكلام حذف لفهم المعنى ، ولدلالة البلد الطيب ، ولمقابلتها بقوله : نكداً (والذي خبث لا يخرج إلا نكداً) الواو عاطفة ، والذي مبتدأ ، وهو وصف لمحذوف ، أي البلد الذي خبث ، وجملة خبث صلة ، وجملة لا يخرج خبر ، وإلا أداة حصر لتقدم النفي ، ونكداً حال ، أي : عسراً مبطئاً ، ويجوز أن ينتصب على المصدرية ، أي أنه نعت لمصدر محذوف ، أي : إلا خروجاً نكداً (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) كذلك نعت لمصدر محذوف ، وقد تقدم إعراب نظائر له ، والآيات مفعول نصرف ، ولقوم جار ومجرور متعلقان بنصرف ، وجملة يشكرون نعت لقوم .

البلاغـة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله : « بين يدي رحمته » التي هي الغيث، والعلاقة هي السببية ، لأن اليد سبب الإنعام ، والإنعام الرحمة .

٢ ـ التشبيه المرسل في قوله : « كذلك نخرج الموتى » . وقد تقدمت الإشارة إليه في الإعراب .

الفوائـد :

قال الزمخشري : « وإنما ذكّر « قريب » على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم ، أو لأنه صفة موصوف محذوف ، أي : شيء قريب ، على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول ، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي » وقال أبو عبيدة : تذكير « قريب » على تذكير المكان ، أي : مكان قريب . ورد عليه الأخفش فقال : هذا خطأ ، ولو كان كما قال لكان « قريب » منصوب ، كما تقول إن زيداً قريباً منك . وقال الفراء : إن القريب إذا كان بمعنى المسافة يذكر ويؤنث ، وإن كان بمعنى النسب فيؤنث بلا اختلاف بينهم ، فيقال : دارك منا قريب ، وفلانة منا قريب ، قال تعالى : « لعل الساعة تكون قريباً » . ومنه قول امرىء القيس :

لك الويل إن أمسى ولا أمّ هاشم

قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

اللغة :

(الملأ) : الأشراف والسادة ، وقيل : الرجال ليس معهم نساء . وفي المصباح : « الملأ مهموز : أشراف القوم ، سموا بذلك لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي ، أو لأنهم يملئون العيون أبهة والصدور هيبة ، والجمع أملاء ، مثل سبب وأسباب » . وفي الأساس : وقام به الملأ والأملاء : الأشراف الذين يتمالئون في النوائب .

قال :

وقال لها الأملاءُ من كل معشر وخيرُ أقاويلِ الرجال سديدُها

وما كان هذا الأمر عن ملأٍ منّا : أي مسالأة ومشاورة . ومنه هو مليء بكذا : مضطلع به . وعليها مَلاءة الحسن . قال ابن ميّادة :

بذّتهم ميالة تميد ملاءة الحسن لها جديد

وجمّش فتى من العرب حضرية فتشاحّت عليه ، فقال لها : والله مالك ملاءة الحسن ولا عموده ولا برنسه ، فما هذا الامتناع ؟

الاعراب :

(لقد أرسلنا نوحاً الى قومه) كلام مستأنف مسوق لذكر قصص عن الأنبياء السابقين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وليتأسّى بمن قبله ، فلا يتحيّفه يأس ، ولا يخالجه فتور أو وهن في أداء رسالته . واللام جواب للقسم المحذوف ، ولا يكاد العرب ينطقون بهذه اللام إلا مع قد ، وأرسلنا نوحاً فعل وفاعل ومفعول به ، وإلى قومه جار ومجرور متعلقان بأرسلنا (فقال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) الفاء عاطفة ، ويا أداة نـداء ، وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة بدليل الكسرة ، واعبدوا فعل أمر ، والواو فاعله : والله مفعوله ، وما نافية ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن حرف جر زائد ، وإله مبتدأ مؤخر محلاً ، وغيره صفة لـ « إله » على المحل ، كأنه قيل : مالكم إله غيره ، وجملة اعبدوا الله في محل نصب مقول القول ، وجملة مالكم من إله غيره استئنافية (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) الجملة تعليل للأمر بالعبادة لا محل لها ، وإن واسمها ، وجملة أخاف خبرها ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بأخاف ، وعذاب مفعول به ، ويوم مضاف إليه ، وعظيم صفة (قال الملأ من

قومه : إنا لنراك في ضلال مبين) كلام مستأنف مسوق لبيان جواب قومه . وقال الملأ فعـل وفاعـل ، ومن قومه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، ونراك فعـل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، والجملة خبر « إن » ، وفي ضلال جار ومجرور متعلقان بنراك على أنه مفعول به ثان للرؤية ، والرؤية هنا قلبية ، ومبين صفة (قال : يا قوم ليس بي ضلالة) كلام مستأنف مسوق لبيان ردّ نوح عليهم ، وهو من أحسن الكلام وأبلغه . ليس فعل ماض ناقص ، وبي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقـدّم ، وضلالة اسمها المؤخر . (ولكني رسول من رب العالمين) الواو عاطفة ، ولكن واسمها ، وقد جاءت في أحسن موقع لأنها بين نقيضين ، ورسول خبر لكن ، ومن رب العالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسول (أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكـم) كلام مستأنف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامها ومهمتها ، ويجوز أن تكون الجملة صفة ثانية لرسول، ولكنه راعى الضمير السابق الذي للمتكلم ، فقال : أبلغكم ، ولو راعى الاسم الظاهر بعده لقال : يبلغكم ، والكاف مفعول أبلغكم الأول ، ورسالات ربي مفعوله الثاني ، وأنصح لكم عطف على أبلغكم ، ومعلوم أن « نصح » يتعدى بنفسه وباللام ، يقال نصحه ونصح له (وأعلم من الله مالا تعلمون) عطف عـلى أبلغكم ، ومن الله جـار ومجرور متعلقان بأعلم ، ولا بد من تقدير محذوف ، أي : جهته ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة لا تعلمون صلة الموصول لا محل لها (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم) عطف على ما تقدم مسوق في أسلوب الاستفهام الإنكاري في الهمزة ، والواو عاطفة ، وعجبتم معطوف على محذوف لا بد من تقديره ، أي : أكذبتم

وعجبتم ، وأن حرف مصدري ونصب ، وهي مع مدخولها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي : من أن جاءكم ، وذكر فاعل ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذكر أو بجاءكم ، وعلى رجل صفة لذكر ، ولا بد من تقدير محذوف ، أي : على لسان رجل ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرجل ، أي من جملتكم ومن جنسكم ، لأنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ، ويقولون : « لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين » (لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) اللام علة للمجيء ، وينذركم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، ولتتقوا عطف على لينذركم ، وجملة الرجاء حالية ، وجملة ترحمون خبر لعل . جعل العلل لمجيء الذكر على لسان رجل منهم ثلاثاً : أولاها لينذركم ، وثانيتها لتتقوا ، وثالثتها لعلكم ترحمون . وهو ترتيب حسن بالغ موقعه من الإجادة والحسن (فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك) الفاء الفصيحة لأنها وقعت جواب شرط محذوف ، أي : إذا أردت أن تعلم مغبة أمرهم فقد كذبوه . وكذبوه فعل وفاعل ومفعول به ، وفأنجيناه عطف على فكذبوه ، والواو للمعية ، والذين اسم موصول في محل نصب مفعول معه ، ولك أن تعطفه على الهاء ، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول ، أي : استقروا معه في الفلك ، وفي الفلك جار ومجرور متعلقان بما في الملك من الاستقرار ، أي بمتعلق الظرف أو بأنجيناه (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) عطف على ما تقدم ، وأغرقنا الذين فعل وفاعل ومفعول به ، وجملة كذبوا صلة ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا (إنهم كانوا قوماً عمين) الجملة تعليل لما سبق من هلاكهم ، أي : هلكوا لعمى في بصيرتهم . وإن واسمها ، وجملة كانوا خبرها ، وقوماً خبر كانوا ، وعمين صفة لـ « قوماً » .

البلاغــة :

١ ـ المجاز المرسل :

في قوله تعالى : « إنا لنراك في ضلال مبين » وقوله : « ليس بي ضلالة » فقد جعل الضلال ظرفاً والضلال ليس ظرفاً يحل فيه الانسان . لأنه معنى من المعاني ، وإنما يحل في مكانه فاستعمال الضلال في مكانه مجاز مرسل أُطلق فيه الحال وأُريد المحل ، فعلاقته الحاليَّة ، وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال وإيغاله فيه ، حتى كأنه مستقر في ظلماته لا يتزحزح عنها . وزادوا في المبالغة بأن أكدوا ذلك بأن صدّروا الجملة بأن وزادوا اللام في خبرها .

٢ ـ نفي الأخصّ والأعمّ :

وأردف ذلك بقوله : « ليس بي ضلالة » للإطاحة بما زعموه ، وتفنيد ما توهموه ، وهو من أحسن الرد وأبلغه وأفلجه للخصم ، لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة ، فضلاً عن أن يحيط به الضلال ، فلم يقل : ضلال ، كما قالوا ، كما يقتضيه السياق . وقد توثّب خيال الزمخشري فقرر أن الضلالة أخص من الضلال ، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه ، كأنه قال : ليس بي شيء من الضلال ، كما لو قيل لك : ألك تمر ؟ فقلت : مالي ثمرة . ولكن الزمخشري غفل عن نقطة هامة جداً في هذا البحث العظيم ، لأن نفي الأخص أعم من نفي الأعم ، فلا يستلزمه ضرورة أن الأعم لا يستلزم الأخص ، بخلاف العكس ، ألا ترى أنك إذا قلت : هذا ليس بإنسان ، لم يستلزم ذلك أن لا يكون حيواناً ، ولو قلت : هذا ليس بحيوان ،لاستلزم أن لا يكون إنساناً .

فنفي الأعم كما ترى أبلغ من نفي الأخص ، إذا تقرر هذا فالتحقيق في الجواب أن يقال : الضلالة أدنى من الضلال وأقل ، لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة منه ، وأما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه ، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى ، لا من حيث كونه أخص بل من حيث التنبيه بالأدنى على الأعلى ، كما قررنا في مستهل هذا البحث .

الفوائد :

١ ـ الاسم إذا كان سبقه الضمير :

كل اسم سبقه ضمير حاضر من متكلم أو مخاطب يجوز فيه وجهان ، أولهما : مراعاة الضمير السابق ، وثانيهما مراعاة الاسم الظاهر ، تقول : أنا رجل أفعل كذا ، مراعاة للضمير « أنا » ، وان شئت قلت : يفعل كذا ، مراعاة لرجل . ومثله : أنت رجل تفعل العجائب ، ويفعل العجائب ، بالخطاب والغيبة . قال الإمام علي بن أبي طالب :

أنا الذي سمّتن أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره

قاله حين بارز اليهودي « مرحبا » يوم خيبر فقال اليهودي :

قد علمت خيبر أنّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب

فأجابه علي بذلك . وكانت أمه فاطمة بنت أسد سمته كاسم أبيها ، لأن حيدرة من أسماء الأسد . فلما حضر أبو طالب سماه علياً . وسمّيَ الأسد حيدرة لشدة انحداره على من يصول عليه ، والليث اسم جامد للأسد ، واشتقوا منه : لايَثَهُ أي : عامله معاملة الليث .

والغاب بيته الذي يغيب فيه . وكان الظاهر أن يقول : إن الذي سمته أمه ، ليطابق الضمير مرجعه ، وهو الموصول في الغيبة ، ولكنه أتى بضمير المتكلم ذهاباً الى المعنى ، وحسنه تقدم ضمير المتكلم ، أي : أنا الشجاع الذي ظهرت عليّ أمارات الشجاعة من صغري فسمتني أمي باسم الأسد . ولا أكذبها ظناً .

وقد استدرك ابن جني على أبي الطيب المتنبي قوله :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي وأسمعتْ كلماتي من به صممُ

عدولاً عن لفظ الغيبة ، ولكن الآية الكريمة كفيلة بتسويغ ما استعمله أبو الطيب .

٢ ـ اللام الداخلة على قد :

لا يكاد العرب ينطقون بهذه اللام إلا مع « قد » ، وقل عنهم نحو قول امرىء القيس :

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صال

وذلك لأنه لما كانت الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها كانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى « قد » عند استماع المخاطب كلمة القسم ، وقد جرى ابن الرومي الشاعر العباسي على غرار امرىء القيس بقوله :

لرأينا مستيقظين أموراً حسبنا أن تكون رؤيا منام

وقيل : إذا أجيب القسم بماض متصرف مثبت فإن كان قريباً من

الحال جيء باللام وقد جميعاً ، نحو : « تالله لقد آثرك الله علينا » ، وإن كان بعيداً جيء باللام وحدها ، كقول امرىء القيس الآنف الذكر وقول ابن الرومي •

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

اللغة :

(سفاهة) : جهالة وخفة حلم وسخافة عقل •

الاعراب :

(وإلى عاد أخاهم هوداً) الواو حرف عطف ، والى عاد جار ومجرور متعلقان بالفعل المعطوف على أرسلنا ، وأخاهم مفعول به لأرسلنا ، وهوداً بدل مطابق من « أخاهم » (قال : يا قوم اعبدوا الله) حذف العاطف من « قال » خلافاً للآية الأولى في قصة نوح ، والسر في ذلك أن العاطف ينتظم الجمل حتى يصيرها كالجملة الواحدة ، فاجتنب لإرادة استقلال كل واحدة منها في معناها • وجملة النداء والأمر مقول

القول (مالكم من إله غيره) الجملة مستأنفة ، وقد تقدم إعراب نظيرها بحروفه (أفلا تتقون) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والاستعباد لعدم اتقائهم العذاب بعد ما علموا ما حل بقوم نوح . والفاء للعطف على مقدر ، أي : ألا تتفكرون ؟ أو أتغفلون فلا تتقون ؟ ولا نافية ، وتتقون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل (قال الملأ الذين كفروا من قومه) كلام مستأنف مسوق لبيان ماذا أجابه قومه على دعوته . وقال الملأ فعل وفاعل ، والذين نعت ، وجملة كفروا صلة ، ومن قومه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، ووصف الملأ هنا ولم يصف الملأ في قصة نوح ، لأنه كان في أشراف هود من آمن به ، منهم فيما يروى مرثد بن سعد الذي أسلم ، وكان يكتم إسلامه ،فأريدت التفرقة بالوصف ، ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن . ويجوز أن يكون إيراد الوصف تسجيلاً للذمّ ، ونعتهم بالكفران المجرد والإنحاء عليهم بما يتبرأ منه العقلاء (إنا لنراك في سفاهة) جملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول قول الملأ . وإن واسمها،واللام المزحلقة، وجملة نراك خبر إن ، وفي سفاهة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو مفعول به ثان إن كانت الرؤية قلبية ، ولعلها الأولى (وإنا لنظنك من الكاذبين) عطف على ما تقدم ، وقد سبق إعراب مثيله (قال يا قوم ليس بي سفاهة) كلام مستأنف مساق لبيان جواب هود ، وما بعده مقول لقوله ، وليس فعل ماض ناقص ، وبي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم وسفاهة اسمها المؤخر (ولكني رسول من رب العالمين) الواو حالية ، ولكن واسمها ، ورسول خبرها ، وهو استدراك على ما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في الغاية القصوى من الرشد ، ومن رب العالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسول (أبلغكم رسالات ربي) سبق إعرابها

قريباً (وانا لكم ناصح أمين) الواو عاطفة ، وأنا مبتدأ ، ولكم جار ومجرور متعلقان بناصح ، وناصح خبر أنا الأول . وأمين خبر أنا الثاني، ويجوز إعرابه صفة لناصح •

البلاغـة :

١ ـ المجاز المرسل :

في جعـــل السفاهـــة ظرفاً عـــلى طريق المجــاز المرسل ، وعلاقته الحالّية كما تقدم في آية نوح ، وهي « إنا لنراك في ضلال مبين » • ويقال في تصدير الجملة بإن وزيادة اللام المزحلقة في خبرها ما قيل هناك ، فجدّد به عهداً •

٢ ـ العدول إلى الاسمية :

أتى في قصة هود بالجملة الاسمية ، فقــال : « وانا لكم ناصح أمين » ، وأتى في قصة نوح بالجملة الفعلية ، حيث قال : « وأنصح لكم » ، وذلك لأن صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة ، وكان نوح يكرر دعاءه ليلاً ونهــاراً من غــير تراخ ، فناسب التعبير بالفعلية ، وأما هود فلم يكن كذلك وقتاً بعد وقت ، فلهذا عبر عنه بالاسمية •

٣ ـ الكناية :

وذلك في قوله : « قال : يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين » ، فقد كنى عن تكذيبهم بقوله لهود عليه السلام : إنا لنراك في سفاهة وقد تقدم البحث عنها كثيراً فجدد به عهداً •

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

اللغــة :

(بسطة) : بفتح الباء : أي قوةً وطولاً ، وفي معاجم اللغة : البسطة : بفتح الباء التوسع والطول والكمال ، وبسطة العيش : سعته •

(آلاء) جمع مفرده إِلْي بكسر الهمزة وسكون اللام كحمــل وأحمال ، أو أُلْي بضم الهمزة وسكون اللام كقفل وأقفال ، وإِلَى بكسر الهمزة وفتح اللام كعنب وأعناب ، أو أَلَى بفتح الهمزة واللام كقفا وأقفاء •

الاعراب :

(أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) الهمزة للاستفهام الإنكاري المراد به النهي ، أي : لا تعجبوا وتدبروا في أمركم • والواو حرف عطف ، وعجبتم فعل ماض معطوف عــلى محذوف دل عليه سياق الكلام ، أي : أفكذبتم أو عجبتم ، والمحذوف مستأنف مسوق لنهيهم عن الإمعان فيما هم عليه ، وأن جاءكم مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بعجبتم ، أي: أوعجبتم من مجيء ذكر من ربكم ، وذكر فاعل جاءكم ، ومن ربكم

جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذكر ، وعلى رجل جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذكر ، أي : مقول على لسان رجل ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحـذوف صفة لرجـل ، ولينذركم اللام لام التعليل ، وينذركم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والمصدر مجرور باللام ، والجار والمجرور متعلقان بجاءكم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) الواو عاطفة ، والجملة منسوقة على ما قبلها لبيان ترتيب أحكـام المناصحة والأمانة والإنذار ، وإذ نصب على المفعولية لا على الظرفية ، أي : واذكروا وقت الجعل المذكور، لأن المقام مقام تجسيد واستحضار للصورة بكامل تفاصيلها ، وكأنما هي منصوبة أمامهم يستجلبون منه شتى العظـات والعبر ، والجملة عطف على مقدر على كل حال ، كأنه قيل : لا تعجبوا أو تدبّروا في أمركم واستبصروا واذكروا ، وجملة جعلكم في محل جر بالإضافة ، والكاف مفعول به أول لجعلكم وخلفاء مفعول به ثان ، ومن بعد قوم نوح جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخلفاء (وزادكم في الخلق بسطة) عطف على جعلكم ، وفي الخلق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حـال ، وبسطة مفعول به ثان لزادكم أو تمييز والكاف هي المفعول الأول ، (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) الفاء هي الفصيحة ، لأنها وقعت جواب شرط مقدر ، أي : إذا عرفتم هذا حق المعرفة وتدبرتموه وتبصّرتم في مغابّه وخوافيه ، فاذكروا ، وآلاء الله مفعول به ، وجملة الرجاء حالية ، وجملة تفلحون خبر لعل •

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا

فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٧٢)

اللغـة :

(الدابر) : الآخر ، وقطع الدابر يعني الاستئصال ، لأنه إذا قطع الآخر فقد قطع ما قبله ، فحصل الاستئصال .

الاعراب :

(قالوا : أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) كلام مستأنف مسوق لينكروا عليه مجيئه ، وقد أرادوا المجيء من متعبّده ، أي : المكان الذي اعتزل فيه للعبادة ، أو أنهم لم يريدوا حقيقة المجيء ولكنهم أرادوا به مطلق التعرض والتصدي، كما يقال : ذهب ليشتمني، وليس المراد حقيقة الذهاب ، ولعل هذا أبلغ وأبين . والهمزة للاستفهام الإنكاري ، وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به ، واللام للتعليل ، ونعبد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور متعلقان بجئتنا ، والله مفعوله ، ووحده حال مؤولة ، أي : منفرداً ، ونذر فعل مضارع معطوف على نعبد ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول

به ؛ وكان فعل ماض ناقص ، واسمها مستتر ، وجملة بعبد آباؤنا في محل نصب خبر كان ، وجملة كان وما في حيزها صلة الموصول (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) الفاء الفصيحة ، وات فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول ، وبما جار ومجرور متعلقان بـ « اتنا » وجملة تعدنا صلة الموصول ، وإن شرطية.وكنت فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط،وكان واسمها، ومن الصادقين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وجواب إن محذوف لدلالة ما قبله عليه ، أي : فأتنا . (قال : قد وقع عليكم رجس من ربكم وغضب) كلام مستأنف مسوق لبيان جواب هود لقومه . وقد حرف تحقيق ، ووقع فعل ماض ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بوقع ، ورجس فاعل ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرجس ، وغضب معطوف على رجس ، وجملة قد وما في حيزها مقول القول ، أي : حق عليكم العذاب ووجب ، أو قد نزل عليكم ، جعل المتوقع بمثابة الواقع المتحقق ، ومن هذا الوادي ما يروى عن حسان بن ثابت أن ابنه لسعه زنبور وهو طفل ، فجاء يبكي ، فقال : يا بني ما لك ؟ قال : قد لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة ، فضمه الى صدره وقال له : يا بني قد قلت الشعر (أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، ولاستقباح إنكارهم مجيئه داعياً إياهم الى عبادة الله وترك الأصنام . وتجادلونني فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، وفي أسماء جار ومجرور متعلقان بتجادلونني ، وجملة سميتموها صفة لأسماء ، والواو لاسباغ الضمة ، وأنتم تأكيد ، وآباؤكم عطف على أنتم (ما نزّل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين) جملة ما نزّل صفة ثانية لأسماء ، وبها جار ومجرور متعلقان بنزل ، أو بمحذوف حال ، لأنه

كان في الأصل صفة لسلطان فلما تقدمت أعربت حالاً ، ومن حرف جر زائد ، وسلطان مجرور لفظاً منصوب على المفعولية محلاً ، فانتظروا الفاء الفصيحة ، وانتظروا فعل أمر وفاعل ، وإن واسمها ، ومعكم ظرف متعلق بالمنتظرين،ومن المنتظرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن (فأنجيناه والذين معه برحمة منّا) الفاء الفصيحة ، كما في قوله فانفجرت ، أي : فوقع ما وقع فأنجيناه ، وأنجيناه فعل وفاعل ومفعول به ، والذين عطف على الهاء في أنجيناه ، أو مفعول معه ، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ، وبرحمة جار ومجرور متعلقان بأنجيناه ، ومنّا جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) عطف على أنجيناه ، ودابر مفعول به ، والذين اسم موصول في محل جر بالاضافة ، وجملة كذبوا صلة لا محل لها ، وما كانوا عطف على كذبوا ، ومؤمنين خبر كانوا .

الفوائـد :

قصة عاد :

روى التاريخ أن عاداً قد تبسّطوا في البـلاد ما بين عمان وحضرموت ، وكانت لهم أصنام يعبـدونها ، وهي صدّاء وصمود والهباء ، فبعث الله إليهـم هوداً نبياً من أوسطهـم وأفضلهم حسباً ، فكذّبوه وازدادوا عتوّاً وتجبّراً ، فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا ، وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته المحرّم ، وأهل مكـة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وسيدهم معاوية بن بكر ، فجهّزت عاد الى مكة من أماثلهم سبعين رجلاً ، منهم قيل بن عتر ومرثد بن سعد الذي كان

يكتم إسلامه ، فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر ، وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، فأنزلهم وأكرمهم ، وكانوا أخواله وأصهاره ، فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان .

أسطورة الجرادتين :

وهما قينتان كانتا لمعاوية ، فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمّه ذلك ، وقال : قد هلك أخوالي وأصهاري ، وهؤلاء على ما هم عليه ، وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا ثقل مقامهم عليه ، فذكر ذلك للقينتين فقالتا : قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله ، فقال معاوية بن بكر :

ألا يا قَيْلُ ويحك قم فَهَيْنِمْ
لعلّ اللهَ يسقينا غَماما

فيسقي أرضَ عادٍ إنّ عاداً
قد امسوا ما يُبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا : إن قومكم يتغوّثون من البلاء الذي نزل بهم ، وقد أبطأتم عليهم ، فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم . فقال لهم مرثد بن سعد : والله لا تسقون بدعائكم ، ولكن إن أطعتم نبيكم ، وتبتم إلى الله سُقيتم ، وأظهر إسلامه . فقالوا لمعاوية : احبس عنا مرثداً لا يقدمنّ معنا مكة ، فإنه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة . فقال قَيْلُ بن عتر : اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم ، فأنشأ الله سحاباً ثلاثاً : بيضاء وحمراء وسوداء ، ثم ناداه منادٍ من السماء :

يا قَيْلُ اختر لنفسك ولقومك ! فقال : اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء . فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث ، فاستبشروا بها ، وقالوا : هذا عارض ممطرنا ، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ، ونجا هود والمؤمنون معه ، فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا .

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

اللغـة :

(ثمود) ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة ، وبالصرف بتأويل الحيّ . أو باعتبار الأصل ، لأنـه اسم أبيهم الأكبر ، وهو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح . وقيل : سميت ثمود لقلة مائها ، من الثمد ، وهو الماء القليل ، قال النابغة :

واحكمْ كحكم فتـاة الحي إذ نظرتْ
إلى حمـام شِراعٍ واردِ الثَّمَـدِ

وكانت مساكنهم الحِجْر ، بين الشام والحجاز .

الاعراب :

(وإلى ثمود أخاهم صالحاً) تقدم إعراب نظيرها ، وصالحاً بدل

من « أخاهم » (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) تقدم إعراب نظيرها ، والجملة مقول قوله (قد جاءتكم بينة من ربكم) الجملة مندرجة في مقول قوله ، وجاءتكم فعل ماض ومفعول به ، وبينة فاعل ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بجاءتكم أو بمحذوف صفة لبيّنة (هذه ناقة الله لكم آية) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان البينة . واسم الاشارة مبتدأ ، وناقة الله خبر ، والإضافة لتعظيم أمر الناقة ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان أو حال ، وآية حال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ، ويجوز أن تعرب هذه الجملة بدلاً من بيّنة ، لأنها بمثابة التفسير لها ، وجاز إبدال جملة من مفرد لأنها في قوته (فذروها تأكل في أرض الله) الفاء تفريعية ، لأنها جاءت تفريعاً على كونها آية من آيات الله ، مما يستوجب عدم التعرض لها بسوء ؛ وذروها فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وتأكل فعل مضارع ؛ وهو مجزوم لأنه جواب الطلب ، وفي أرض الله جار ومجرور متعلقان بتأكل أو بقوله : فذروها ، على أنه من باب التنازع (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتمسوها فعل مضارع مجزوم ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به ، وبسوء جار ومجرور متعلقان بتمسوها ، فيأخذكم : الفاء فاء السببية ، ويأخذكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء لأنه جواب النهي ، والكاف مفعول به ، وعذاب فاعل ، وأليم صفة .

﴿ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ

ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

اللغـة :

(تنحتون) في القاموس : « نَحَتَهُ ينحته كيضربه وينصره ويعلمه : بَرَاهُ » .

الاعراب :

(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) عطف على ما تقدم ، وإذ منصوب على المفعولية لا الظرفية ، أي اذكروا وقت الجعل ، وجملة جعلكم في محل جرّ بالإضافة ، والكاف مفعول به أول ، وخلفاء مفعول به ثان ، ومن بعد عـاد جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخلفاء (وبوّأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً) عطف على جعلكم ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان ببوأكم ، وجملة تتخذون حالية من المفعول ، ومن سهولها جـار ومجرور متعلقان بتتخذون أو بمحذوف حال من « قصوراً » ، إذ هو في الأصل صفة لها لو تأخر ، وقصوراً مفعول به ، وسمي القصر قصراً لقصور الفقراء عن تحصيله (وتنحتون الجبال بيوتاً) الواو عاطفة ، وتنحتون فعل مضارع وفاعل ، والجبال يجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض ، أي : من الجبال ، كقولـه تعالى : « واختـار موسى قومـه سبعين رجلاً » ، فيكون « بيوتاً »

مفعولاً به ، ويجوز أن يضمن معنى ما يتعدى لاثنين ، أي : وتتخذون الجبال بيوتاً بالنحت أو تصيرونها بيوتاً بالنحت ، ويجوز أن يكون الجبال هو المفعول به ، و « بيوتاً » حالاً مقدّرة ، كما تقول : خط هذا الثوب قميصاً . وابْرِ هذه القصبة قلماً . وإنما قلنا مقدرة لأن الجبل لا يكون بيتاً في حال النحت ، ولا الثوب قميصاً ، ولا القصبة قلماً في حال الخياطة والبري . و « بيوتاً » وإن لم يكن مشتقاً فإنه في معنى المشتقّ ، أي : مسكونة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الفاء الفصيحة ، واذكروا فعل أمر ، والواو فاعل ، وآلاء الله مفعول به ، والواو حرف عطف ، ولا ناهية ، وتعثوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتعثوا ، ومفسدين حال (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) كلام مستأنف مسوق ليكون جواباً عن استفهام ، وقال الملأ فعل وفاعل ، والذين اسم موصول في محل رفع صفة ، وجملة استكبروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ومن قومه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (للذين استضعفوا لمن آمن منهم) الجار والمجرور متعلقان بقال ، وجملة استضعفوا صلة ، ولمن جار ومجرور متعلقان بمحذوف بدل من الذين استضعفوا ، بإعادة العامل ، وفيه وجهان : أحدهما أنه بدل كل من كل إن عاد الضمير في « منهم » على « قومه » ، ويكون المستضعفون كلهم المؤمنين فقط ، كأنه قيل : قال المتسكبرون للمؤمنين من قوم صالح ، وإما بدل بعض من كلّ إن عاد الضمير على المستضعفين ، ويكون المستضعفون ضربين : مؤمنين وكافرين ، كأنه قيل : قال المستكبرون من الضعفاء دون الكافرين من الضعفاء . ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه) الهمزة للاستفهام التهكمي ، أي : قالوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء ، والجملة

المستفهمة في محل نصب مقول القول ، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي تعلمون ، ومن ربه جار ومجرور متعلقان بمرسل (قالوا : إنّا بما أرسل به مؤمنون) الجملة مستأنفة مسوقة لتكون جوابهم ، وقد استبقوا الحوادث ، فمقتضى السياق أن يقولوا : نعم أو نعلم أنه مرسل . وإن واسمها ، وبما جار ومجرور متعلقان بالخبر « مؤمنون »، وجملة أرسل صلة ، وإن وما بعدها جملة في محل نصب مقول القول ، وبه جار ومجرور متعلقان بأرسل .

البلاغة :

في هذه الآية فن طريف اسمه فنّ التغاير ، وقد مرّ طرف منه ، ونعيد الآن تعريفه للذكرى ، وهو تغاير المذهبين إما في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئاً أو يذمه ، أو يذمّ ما مدحه غيره وبالعكس ، أو يفضل شيئاً أو يذمه أو يذم ما مدحه غيره وبالعكس ، أو يفضل شيئاً على شيء ، ثم يعود فيجعل المفضول فاضلاً والفاضل مفضولاً ، فقد غاير بعضهم في باب الطاعة والعصيان بعد التغاير في مقالهم واعتقادهم في نيّاتهم ، وهذا ما يغاير به الإنسان فيه غيره .

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا

تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

اللغـة :

(فعقروا الناقـة) العقر أصله كشف العراقيب في الإبل وهو ـ كما قال الأزهري ـ أن يضرب قوائم البعير أو الناقة فيقع ، وكانت هذه سنتهم في الذبح ، ثم أطلق على كل نحر عقر ، وإن لم يكن فيه كشف عراقيب ، تسميته للشيء بما يلازمه غالباً ، إطلاقاً للسبب على مسببه . وقال ابن قتيبة : العقر : القتل كيف كان ، يقال عقرتها فهي معقورة ، وقيل : العقر الجرح .

(عتوا) تولوا عن أمر ربهم واستكبروا عن الامتثال له .

(جاثمين) : جثم : أي لزم مكانه ولم يبرح ، أو وقع على صدره . وقال أبو عبيدة : الجثوم للناس وللطير كالبروك للإبل .

الاعراب :

(قال الذين استكبروا) فعل وفاعل وصلة الموصول (إنا بالذي آمنتم به كافرون) تقدم إعراب نظيره ، والجملة مقول قولهم ، ولم يقولوا : إنا بما أرسل به كافرون ، كما هو ظاهر السياق ، اظهاراً لمخالفتهم ، وإصراراً على عنادهم ، وتحاشياً مما يوهم ظاهره إثباتهم لرسالته ، وهم يجحدونها (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم) الفاء الفصيحة ، وعقروا الناقة فعل وفاعل ومفعول به ، وعقروا عطف على

عتوا ، وعن أمر ربهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : مستكبرين أو صادرين عما يوحيه العتو إليهم ، ومثله : « وما فعلته عن أمري » ، وأسند العقر الى الجميع ، لأنه كان برضاهم ، وإن لم يباشر القيام به إلا بعضهم (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) عطف على ما تقدم ، وجملة ائتنا في محل نصب مقول القول ، وبما جار ومجرور متعلقان بائتنا ، وجملة تعدنا صلة الموصول ، وإن شرطية ، والجواب محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فائتنا ، ومن المرسلين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنت (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) الفاء عاطفة ، وأخذتهم الرجفة فعل ومفعول به وفاعل ، فأصبحوا عطف على فأخذتهم ، والواو اسم أصبحوا ، وفي دارهم جار ومجرور متعلقان بجاثمين ، وجاثمين خبر أصبحوا (فتولى عنهم وقال : يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي) الفاء عاطفة للتعقيب ، والظاهر أنه كان مشاهداً بعينه ما حصل لهم ، فتولى مغتماً متحزناً لإصرارهم على الكفر . وعنهم جار ومجرور متعلقان بتولى ، وقال عطف على فتولى ، ويا حرف نداء ، وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ، ولقد اللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأبلغتكم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول ، ورسالة ربي مفعول به ثان (ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) عطف على أبلغتكم ، ولكم جار ومجرور متعلقان بنصحت ، والواو حالية ، ولكن حرف استدراك مخفف مهمل ، ولا نافية ، وجملة لا تحبون الناصحين حالية ، لأنها حكاية حال ماضية .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ

مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

الاعراب :

(ولوطاً إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة) الواو عاطفة على ما تقدم من القصص ، أي : واذكر لوطاً في ذلك الوقت . ولوطاً مفعول به لفعل محذوف ، أي : واذكر لوطاً ، وإذ ظرف مبدل من قوله : « ولوطاً » ، أي : واذكر وقت قال لقومه ، وجملة قال في محل جر بالإضافة ، ولقومه جار ومجرور متعلقان بقال ، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي ، وتأتون الفاحشة فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل نصب مقول القول (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) هذه الجملة يصح فيها أن تكون مستأنفة مسوقة لتأكيد النكر وتشديد التوبيخ والتقريع ، فإن مباشرة القبيح قبيحة ، واختراعه أقبح ، ويصح أن تكون حالية إما من الفاعل بمعنى أتأتونها مبتدئين بها ، وإما من المفعول به بمعنى أتأتونها مبتدأ بها غير مسبوقة من غيركم . وسبقكم فعل ماض ومفعول به ، وبها جار ومجرور متعلقان بسبقكم ، أو بمحذوف حال ، أي : ما سبقكم أحد مصاحباً لها ، أي ملتبساً بها ، ومن حرف جر زائد ، وأحد فاعل سبقكم ، ومن العالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان النوع من الفاحشة التي ابتدعوها ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وجملة تأتون خبر إن ، والرجال مفعول به ، وشهوة مفعول لأجله ، أي : لا دافع لكم إلا الشهوة المجردة ، وهو ذم بليغ ، لأنه إلحاق لهم بالبهيمية المرتطمة

بالأقذار ، ويجوز أن تعرب حالاً بمعنى مشتهين ، أي : تابعين لدواعي الشهوة وحوافزها ، غير آبهين لسماجتها . ومن دون النساء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الواو في « تأتون » ، أي ، متجاوزين النساء ، أو من الرجال (بل أنتم قوم مسرفون) بل حرف إضراب عن الإنكار الى الإخبار عنهم بالحال التي توجب اقتران الفضائح والمذام . وأنتم مبتدأ ، وقوم خبر ، ومسرفون صفة .

الفوائد :

(بل) تكون للإضراب والعطف والعدول عن شيء الى آخر ، إن وقعت بعد كلام مثبت ، خبراً كان أو أمراً ، أو للاستدراك بمنزلة « لكن » إن وقعت بعد نفي أو نهي . ولا يعطف بها إلا بشرط أن يكون معطوفها مفرداً غير جملة ، وهي إن وقعت بعد الإيجاب أو الأمر كان معناها سلب الحكم عما قبلها ، حتى كأنه مسكوت عنه ، وجعله لما بعدها ، نحو : قام علي بل خالد ، ونحو : ليقم عليّ بل سعيد ، وإن وقعت بعد النفي أو النهي كان معناها إثبات النفي أو النهي لما قبلها ، وجعل ضده لما بعدها ، نحو : ما قام علي بل خالد ، ونحو : لا يذهب عليّ بل خالد . وإن تلاها جملة لم تكن للعطف بل تكون حرف ابتداء مفيداً للإضراب الإبطالي أو الانتقالي . فالأول كقوله تعالى « وقالوا : اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون » ، أي : بل هم عباد . والثاني كما في الآية الآنفة . وقد تزاد قبلها « لا » بعد إثبات أو نفي ، فالأول كقول الشاعر :

وجهك البدرُ لا بل الشمسُ لو لم
يقض للشمس كسفة أو أفولُ

والثاني كقول الآخر :

وما هجرتك لا بل زادني شغفاً هجر وبعد تراخ لا إلى أجل

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

اللغة :

(الغابرين) : الباقين ، أي : الذين غبروا في ديارهم ، أي بقوا فيها . والتذكير لتغليب الذكور على الإناث . وكانت امرأته كافرة مولية لأهل سَدُوم ، بالدال المهملة ، وقيل : هي بالمعجمة . وهي مدينة واقعة على شاطىء بحيرة طبرية .

الاعراب :

(وما كان جواب قومه إلا أن قالوا :) الواو عاطفة ، وما نافية ، وكان فعل ماض ناقص ، وجواب خبرها المقدم ، وقومه مضاف إليه ، وإلا أداة حصر . وأن المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر اسم كان المؤخر ، أي : إلا قولهم (أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)

الجملة في محل نصب مقول قولهم ، ومن قريتكم جار ومجرور متعلقان بأخرجوهم ، وإن واسمها ، وأناس خبرها ، والجملة تعليلية لا محل لها ، أوردها تعبيراً عن سخريتهم واستهزائهم بلوط وقومه ، وجملة يتطهرون صفة لأناس (فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) الفاء عاطفة على محذوف مفهوم من سياق الكلام ، أي: فحل عليهم العذاب فأنجيناه. وأنجيناه فعل وفاعل ومفعول به ، وأهله عطف على الهاء ، أو مفعول معه، وإلا أداة استثناء ، وأهله مستثنى ، وجملة كانت من الغابرين استئنافية مسوقة للرد على سؤال نشأ عن استثنائها ، كأنه قيل: فماذا كانت حالها ؟ فقيل : كانت من الغابرين . أي الذين غبروا في ديارهم ، أي : بقوا فيها فهلكوا (وأمطرنا عليهم مطراً) الواو عاطفة ، وأمطر فعل ماض ، مثل مطر ، ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بأمطرنا ، ومطراً مفعول به ، لأنه يراد به الحجارة ، ولا يراد به المطر أصلاً . وضمن أمطرنا معنى أرسلنا ، ولذلك عُدّيَ بعلى ، ولو أراد المصدر لقال : إمطاراً ، كما هو القياس (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) الفاء استئنافية ، وانظر فعل أمر ، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم ، وعاقبة اسمها ، والمجرمين مضاف إليه .

الفوائد :

شجر خلاف بين أهل اللغة حول مطر وأمطر ، فقال أبو عبيدة : يقال : مطر في الرحمة ، وأمطر في العذاب . وهذا مردود بقوله تعالى : « هذا عارض ممطرنا » ، فإنهم إنما عنوا الرحمة بذلك ، وقال الزمخشري : « أي فرق بين مطر وأمطر » ؟ وأجاب عن هذا السؤال قائلاً : يقال : مطر تهم السماء ، وواد ممطور . وفي نوابغ الكلم :

حَرَىٌّ مَسْطُور" ، حَرَىٌّ أن يكون غيرَ مسطورٍ » ، وحرى الأول بمعنى ناحية وجانب ، والثاني بمعنى جدير وحقيق ، ومسطور الأول مصاب بالمطر ؛ والثاني بمعنى مذهوب فيه . « ومعنى مطرتهم : أصابتهم بالمطر ؛ كقوله : غاثتهم وبلتهم وجادتهم ورهمتهم ، ويقال : أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته إليهم إرسال المطر ، « فأمطر علينا حجارة من السماء » ، « وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » ، ومعنى « وأمطرنا عليهم مطراً » وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً ، يعني الحجارة » . وغاية الزمخشري من ذلك كله الرد على من يقول : مطرت السماء في الخير ، وأمطرت في الشر ، ويتوهم أنها تفرقة وضعية ، فبيّن أن « أمطرت » معناه أرسلت شيئاً على نحو المطر وإن لم يكن ماء ؛ حتى أرسل الله من السماء أنواعاً من الخيرات والأرزاق مثلاً كالمن والسلوى لجاز أن يقال فيه : أمطرت السماء خيرات ، أي : أرسلتها إرسال المطر ، فليس للشر خصوصية في هذه الصيغة الرباعية ، ولكن اتفق أن السماء لم ترسل شيئاً سوى المطر ، وإلا كان عذاباً ، فظن الواقع اتفاقاً مقصوداً في الوضع ، فنبه الزمخشري على تحقيق الأمر فيه .

وممن فرّق بين الثلاثي والرباعي الفيروزبادي صاحب القاموس ، قال : وأمطرهم الله لا يقال إلا في العذاب .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

اللغة :

(مدين) : اسم أعجمي ، وهو اسم قبيلة ، سموا باسم أبيهم مدين بن إبراهيم ، وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين ، وهو اسم قبيلة ، فهو أخوهم في النسب ، وليس من أنبياء بني إسرائيل . ومدين أيضاً اسم قرية شعيب ، فهو اسم مشترك بين القرية والقبيلة وأبيها .

(تبخسوا) : تنقصوا ، يقال : بخسته حقه إذا نقصته إياه ، وفي المثل : تحسبها حمقاء وهي باخس . ومن غريب أمر الباء والخاء أنهما إذا اجتمعا فاء وعيناً للكلمة عبرتا عن التأثير في الأشياء ، فمن ذلك البخت ، وهو الحظ ، وأثره أشهر من أن يذكر ، وبخ لك كلمة إعجاب ومدح للشيء ، وهي بالكسر والتنوين ، وقد تشدد الخاء وتكرر ،

فيقال : بخٍ بخٍ ، وتبنيان عندئذ على السكون ، وبخر الثوب أحدث فيه رائحة طيبة ، والبخر بفتحتين نتن الفم ، فهو من الأضداد . والبخار وهو الماء في الحالة الغازية ، وكل ما ارتفع من السوائل الحارة كالدخان . وأثره في تسيير القواطر وغيرها مشهور متعارف ، وبخص عينه قلعها ، وبخع نفسه أهلكها ، وبخل أمسك ومنع .

الاعراب :

(وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) تكررت هذه الآية مراراً وقد تقدم إعرابها (قد جاءتكم بينة من ربكم) الجملة داخلة في حيز القول ، منصوبة به ، وبينة فاعل جاءتكم ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبينة (فأوفوا الكيل والميزان) الفاء الفصيحة ، وأوفوا فعل أمر ، والواو فاعل ، والكيل مفعول به ، والميزان عطف على الكيل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتبخسوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، والواو فاعله ، والناس مفعول به ، وأشياءهم مفعول به ثان ، يقال : بخسته حقه إذا أنقصته إياه (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) عطف على ما تقدم ، ولا ناهية ، وتفسدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتفسدوا ، وبعد إصلاحها ظرف زمان متعلق بمحذوف حال ، ولا بد من تقدير مضاف ، أي : إصلاح أهلها (ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) الجملة مستأنفة ، واسم الإشارة مبتدأ ، وخير خبر ، ولكم جار ومجرور متعلقان بخير ، وإن شرطية ، وكنتم كان واسمها في محل جزم فعل الشرط ، ومؤمنين خبر كنتم ، وجواب إن محذوف ، أي : فبادروا الى الايمان (ولا تقعدوا

بكل صراط توعـدون) عطف أيضاً ، وبكل جـار ومجرور متعلقان بتقعدوا ، وصراط مضاف إليه ، وجملة توعدون في محل نصب عـلى الحال، أي : ولا تقعدوا موعدين (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) عطف أيضاً ، وعن سبيل الله جـار ومجرور متعلقان بتصدون ، ومن مفعول لتصدون ، وجملة آمن به صلة ، وبه جار ومجرور متعلقان بآمن (وتبغونها عوجاً) وتبغونها فعل وفاعل ومفعول به ، وعوجاً حال وقـع فيها المصدر موضع الاسم المشتق ، أي : معوجة . ويجوز أن تكون الهـاء في محـل نصب بنزع الخافض ، وعوجـاً مفعول به . وهو قول سليم تقدم في آل عمران ، فجدد عهداً به (واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم) عطف أيضاً ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن في محل نصب مفعول به ، أي : واذكروا شاكرين وقت كونكم قليلاً عددكم . ويجوز أن تكون ظرفاً ، والمفعول به محذوفاً ، فيكون الظرف معمولاً لذلك المحذوف ، أي : واذكروا نعمته عيكم في ذلك الوقت ، وجملة كنتم في محل جر بالإضافة، وكان واسمها وخبرها ، فكثركم عطف على كنتم، أي : كثركم بالغنى بعد الفقر ، وبالقدرة بعد الضعف (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) عطف أيضاً ، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم ، وعاقبة المفسدين اسمها ، وقد علق الاستفهام النظر فالجملة في محـل نصب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقـان بانظروا (وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وكان واسمها ، منكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة ، وجملة آمنوا خبر كان ، وبالذي جار ومجرور متعلقان بآمنوا ، وجملة أرسلت به صلة (وطائفة لم يؤمنوا) طائفة عطف على طائفة الأولى ، وجملة لم يؤمنوا معطوفة على جملة آمنوا التي هي خبر كان ، من عطف الاسم وعطف الخبر على الخبر ، وحذف متعلق لم يؤمنوا

اكتفاء بمتعلق آمنوا (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وحتى حرف غاية وجر ، ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والجار والمجرور متعلقان باصبروا ، وبيننا ظرف متعلق بيحكم (وهو خير الحاكمين) الواو للحال أو الاستئناف ، وهو مبتدأ ، وخير الحاكمين خبره •

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

اللغـة :

(لتعودن) : لفعل « عاد » في لغة العرب استعمالان : أحدهما وهو الأصل : الرجوع الى ما كان عليه من الحال الأول ، وثانيهما : استعمالها بمعنى صار ، وحينئذ ترفع الاسم وتنصب الخبر • وقد جرينا على الإعرابين •

الاعراب :

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه) تقدم هذا الاعراب بنصه ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان ما قالوه بعد ما سمعوا من المواعظ (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) اللام موطئة للقسم ، ونخرجنك فعل مضارع مبني على الفتح ، والكاف مفعول به ، والذين عطف على الكاف أو مفعول معه ، وجملة آمنوا صلة ، ومعك ظرف مكان متعلق بالإخراج لا بالإيمان ، وتوسيط النداء باسم شعيب زيادة بيان إغراقهم في الوقاحة والطغيان ، ومن قريتنا جار ومجرور متعلقان بنخرجنك (أو لتعودن في ملتنا) أو عاطفة ، ولتعودن عطف على جواب القسم الأول ، أي : والله لنخرجنك والمؤمنين أو لتعودن ، وتعودن هنا معرب لأنه لم يتصل مباشرة بنون التوكيد الثقيلة ، وأصله تعودونن ، فحذفت النون لتوالي الأمثال ، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، والواو إما فاعل وإما اسم تعود على الاستعمالين ، وفي ملتنا جار ومجرور متعلقان بتعودن أو بمحذوف خبر تعودن (قال أولو كنا كارهين) جملة القول مستأنفة مسوقة لبيان ردّ شعيب عليه السلام ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، أي إنكار ، ولو شرطية لمجرد الربط لا لانتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه ، وكان واسمها وخبرها ، وجملة لو كنا كارهين في محل نصب حال من ضمير الفعل المقدر ، أي : أنعود ولو كنا كارهين (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم) الجملة مستأنفة مسوقة للتعجب من اصرارهم على موقفهم ، وقد حرف تحقيق ، وافترينا فعل وفاعل ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترينا ، وكذباً مفعول به أو صفة لمصدر محذوف ، وإن شرطية ، وعدنا في ملتكم في محل جزم فعل الشرط ، وتقدم إعراب الباقي على

الاستعمالين ، وجواب إنْ محذوف دل عليه ما قبله ، أي : فقد افترينا الكذب (بعد إذ نجانا الله منها) بعد ظرف زمان متعلق بمحذوف حال ، والظرف مضاف الى ظرف آخر ، وجملة نجانا في محل جر بالإضافة والله فاعل ، ومنها جار ومجرور متعلقان بنجانا (وما يكون لنا أن نعود فيها) الواو استئنافية مسوقة لاستبعاد العود ، وما نافية ، ويكون فعل مضارع ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وأنْ وما في حيزها هو اسم يكون ، وفيها جار ومجرور متعلقان بنعود أو بمحذوف خبرها ، على الاستعمالين (إلا أن يشاء الله ربنا) في هذا الاستثناء وجهان : أحدهما أنه متصل ، فعلى هذا يكون الاستثناء من أعم الأوقات أو الأحوال ، وثانيهما أنه منقطع ، فيكون التقدير : لكن إذا شاء الله العود ، والله فاعل يشاء ، وربنا بدل من الله (وسع ربنا كل شيء علماً) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان سعة علم ربنا ، ووسع فعل ماض ، وربنا فاعل ، وكل شيء مفعول به ، وعلماً تمييز محوّل عن الفاعل ، أي وسع علمه كل شيء (على الله توكلنا) الجملة في موضع نصب على الحال ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلنا ، وتوكلنا فعل وفاعل (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) الجملة مستأنفة ، وربنا منادى مضاف ، وافتح فعل أمر ، وبيننا ظرف مكان متعلق بافتح ، أي : احكم بيننا وبين قومنا ، والواو للحال أو للاستئناف أيضاً ، وأنت مبتدأ ، وخير الفاتحين خبر •

الفوائد :

اشتملت هاتان الآيتان على : كثير من الفوائد نلخصها فيما يلي :

١ ـ الشبهة في العَوْد :

إذا كانت « عاد » على معناها الأصلي فكيف يحسن أن يقال : « أو لتعودنّ » أي : ترجعنّ الى حالتكم الأولى ، مع أن شعيباً عليه السلام لم يكن قط على دينهم ولا في ملتهم ؟ وقد أجيب عن هذه الشبهة بأمور :

١ ـ إن هذا القول من رؤسائهم قصدوا به التلبيس والإيهام على العوام بأنه كان على دينهم وفي ملتهم .

٢ ـ أن يراد بعوده رجوعه الى حاله قبل بعثته ، وهي السكوت لأنه قبل أن يبعث يخفي إيمانه وهو ساكت .

٣ ـ تغليب الجماعة على الواحد ، لأنهم لما أصحبوه مع قومه في الإخراج أجروا عليهم حكم العود الى الملة تغليباً لهم عليه .

على أن استعمال عاد بمعنى صار لا يستدعي العود الى حالة سابقة بل العكس من ذلك ، وهو الانتقال من حالة سابقة الى حال مؤتنفة ، وحينئذ تندفع الشبهة تماماً .

وثمة وجه لطيف فني لردّ الشبهة ليس بعيداً وهو أن تبقى عاد على معناها الأصلي ، وهو أن يكون الكلام من وادي قوله تعالى : « الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » والإخراج يستدعي دخولا سابقاً فيما وقع الإخراج منه ، ونحن نعلم أن المؤمن

الناشىء في الإيمان المترعرع على ذراه لم يدخل قط في ظلمة الكفر ولا كان فيها ، وكذلك الكافر الأصلي لم يدخل قط في نور الايمان ولا كان فيه ، ولكن لما كان الايمان والكفر من الأفعال الاختيارية كان تعبيراً عن السبب بالمسبب لإقامة حجة الله على عباده .

٢ ـ لزوم ما لا يلزم :

وفي الآية الأولى لزوم مالا يلزم وهي قوله تعالى : « لنخرجنك يا شعيب والذين معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا » فقد لزمت التاء قبل النون ، وهذا ما يسمى « لزوم مالا يلزم » ، وهو أن يلتزم الشاعر في شعره والناثر في نثره حرفاً أو حرفين فصاعداً قبل حرف الرّويّ على قدر طاقته ، ومقدار قوة عارضته ، مشروطاً بعدم الكلفة . وسيرد في القرآن الكثير منه .

أبو العلاء المعرّي والتلزوم :

وقد قال أبو العلاء :

كُثَيِّرٌ أنا في حرفي أهبتله   في التاء يلزم حرفاً غير يلتزم

فقد أرخ شاعرنا الفيلسوف في بيته الفنّ الذي أحبه ونذر له نفسه أولا وهو «لزوم مالا يلزم» . ومعنى البيت أنه حذا حذو كثير عزة الذي التزم اللام في تائيته التي يقول في مستهلها :

خليليّ هذا ربعُ عَزَّةَ فاعقلا   قَلُوصيكما ثم احللا حيثُ حلّتِ

وهذه القصيدة المستجادة تعدّ حسب رواية القالي خمسة وثلاثين بيتاً ، بناها من أولها الى آخرها على التزام حرف معين قبل الرّويّ ، وهو أمر لم يسبق إليه شاعر من شعراء العرب في استخدام هذا النوع، فقلّده الشعراء ، وهل أراد المعري ذلك ؟ الجواب : لا ، ومن رأينا أن المعري في اقتدائه بكثير عزّة لم يفعل ذلك ، لأن كثّيراً أول من استخدم هذا الفن ـ كما توهم فريق من علماء البيان ـ بل لأن لزوم مالا يلزم لم يرد إلا نادراً في شعر العرب قبل عصر كثّير ، كما أنه ورد في نبذ ومقطوعات قصيرة ، أما كثّير فقد نظم أشهر وأطول قصيدة لزومية تناقلتها الرواة . وقد أكثر شعراء العرب قبل كثير وبعده من التزام مالا يلزم قبل تاء التأنيث هذه .

هذا وقد بلغ أبو العلاء الغاية في لزومياته ، فقد بنى قافية على دارهم ، صدارهم ، ملتزماً فيها أربعة أحرف ، وبنى أخرى على ضرائرهم ، صرائرهم ، سرائرهم ، ملتزماً فيها خمسة أحرف . ويطول بنا الحديث إن أردنا الاستشهاد فحسبنا ما تقدم .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي

﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

اللغـة :

(يغنوا) مضارع غني بالمكان أقام به فهو غان . والمغنى المنزل ، والجمع المغاني ، قال الطائي :

غنينا زمانـاً بالتصعلك والغـنى
وكـلاً سقاناه بكاسيهما الـدهرُ
فما زادنا بغيـاً عـلى ذي قرابـة
غنانـا ولا أزرى بأحسابنا الفقـرُ

(آسى) : أصله أأسى بهمزتين ، قلبت الثانية ألفاً . وفي المصباح: أَسِيَ أَسَىً من باب تعب : حزن .

الاعراب :

(وقال الملأ الذين كفروا من قومه) تقدم إعرابها (لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذن لخاسرون) الجملة القسمية في محل نصب مقول قولهم، واللام موطئة للقسم ، وإن شرطية ، واتبعتم شعيباً فعل وفاعل ومفعول به ، وإن واسمها ، وإذن حرف جواب وجزاء مهمل ، واللام المزحلقة ، وخاسرون خبر إن ، وجملة إنكم جواب القسم لا محل لها ، وهي سادّة مسد جواب الشرط كما هي القاعدة في اجتماع شرط وقسم (فأخذتهم

الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) الفاء عاطفة ، وأخذتهم الرجفة فعل ومفعول به وفاعل، فأصبحوا عطف على فأخذتهم، والواو اسم أصبحوا وجاثمين خبرها ، وفي دارهم جار ومجرور متعلقان بجاثمين (الذين كذبوا شعيباً كأنْ لم يغنوا فيها) جملة مستأنفة لبيان حقيقة هؤلاء المكذبين . والذين مبتدأ ، وجملة كذبوا شعيباً صلة ، وكأنْ مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، وجملة لم يغنوا فيها خبرها (الذين كذّبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) الذين مبتدأ ، وجملة كذبوا شعيباً صلة ، وجملة كانوا خبر الذين ، وهذا التكرير في المبتدأ والخبر مبالغة في الردّ على أشياعهم وتسفيه آرائهم ، والايذان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين ، وأسند الى الموصول تعظيماً لغير السامعين ، فإن خسران مكذبيه يدل على سعادة مصدقه ، ويلزمه تعظيم شعيب عليه السلام الذي هو غير المتكلم والمخاطب في هذا المقام (فتولى عنهم وقال : يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي) الفاء عاطفة ، وتولى فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بتولى ، وقال عطف على تولى ، وجملة لقد أبلغتكم رسالات ربي مقول القول ، ورسالات مفعول به ثان لأبلغتكم (ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) عطف على ما سبق ، والفاء استئنافية ، وكيف اسم استفهام معناه النفي في محل نصب حال ، وآسى فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره أنا ، وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بآسى ، وكافرين صفة لقوم .

البلاغة :

في الآية وصف لحال النفس في ترددها فقد اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال : كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن

عليهم لكفرهم وتماديهم في الطغيان ، واستحقاقهم لما نزل بهم ؟ ثم يتخلل ذلك العودة عليهم بالملامة ، يريد لقد أعذر من أنذر ، وبلغت أقصى ما يستطيعه الغيور على قومه من الارتطام في بوادي الجهل المتشعبة ، ومهالكه الموبقة .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٩٦) ﴾

اللغة :

(عفوا) : كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم : عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت . ويقال : عفا : كثر ، وعفا : درس ، فهو من أسماء الأضداد . وفي المصباح أنه يتعدى ولا يتعدى ، ويتعدى أيضاً بالهمزة ، فيقال : أعفيته .

الاعراب :

(وما أرسلنا في قرية من نبي) الواو استئنافية ، والكلام

مستأنف مسوق لبيان أحوال الأمم بصورة مجملة لتكون مع القصة نذيراً للمنذرين . وما نافية ، وأرسلنا فعل وفاعل ، ومن حرف جر زائد ، ونبيّ مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به (إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضّرّعون) إلا أداة حصر ، فالاستثناء مفرّغ من أعم الأحوال ، فجملة أخذنا في محل نصب على الحال بتقدير « قد » كما هو الشرط في وقوع الماضي حالاً ، وقد تقـدّم بحثه . والتقدير : وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في حال من الأحوال إلا حال كوننا قد أخذنا . وأهلها مفعول به ، وبالبأساء جار ومجرور متعلقان بأخذنا ، والضراء عطف على البأساء ، ولعلهم لعل واسمها ، وجملة يضّرّعون خبرها ، وجملة لعلهم يضرعون حالية . (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) ثم حرف عطف وتراخ ، وبدلنا عطف على أخذنا منتظم في حكمه . ومكان مفعول به لبدلنا ، والسيئة مضاف إليه ، والحسنة مفعول به ثان ، وهذا ما منع من نصبه عـلى الظرفية ، فالحسنة هي المأخوذة الحاصلة ، ومكان السيئة هو المتروك الذاهب ، وهو الذي تصحبه الباء في مثل هذا التركيب ، وقد تقدم تحقيق ذلك في البقرة (حتى عفوا وقالوا : قد مسّ آباءنا الضراء والسراء) حتى حرف غاية وجر ، وعفوا فعل ماض وفاعله، والمصدر المؤول المجرور بأن متعلقان ببدلنا ، وقالوا عطف على عفوا ، وجملة قد مس مقول القول ، وآباءنا مفعول به ، والضراء والسراء عطف عليه (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) فأخذناهم عطف على عفوا ، وبغتة حال أو صفة لمصدر محذوف ، وهم الواو حالية ، وهم مبتدأ ، وجملة لا يشعرون خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب حال (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) الواو إستئنافية ، ولو شرطية لمجرد الربط ، وأن واسمها ، وجملة آمنوا خبرها ، وأن وما بعدها

فاعل لفعل محذوف ، أي : ثبت إيمانهم ، ولفتحنا اللام واقعة في جواب لو ، وفتحنا فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بفتحنا ، وبركات مفعول به ، ومن السماء والأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبركات (ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) الواو حالية ، ولكن حرف استدراك مهمل ، وكذبوا فعل وفاعل ، والجملة نصب على الحال ، فأخذناهم الفاء عاطفة ، وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به ، وبما جار ومجرور متعلقان بأخذناهم ، وما مصدرية أو موصولة ، وكان واسمها ، وجملة يكسبون خبر ، وجملة الكون صلة « ما » أو المصدر المؤول ، لا محل له بعد الموصول الحرفي •

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

اللغة :

(بياتاً) البيات يكون بمعنى البيتوتة ، يقال : بات بياتاً ، وقد يكون بمعنى التبييت ، كالسلام بمعنى التسليم ، يقال بيته العدو بياتاً ، فيجوز أن يراد يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات ، أو مبيتاً أو مبيتين • والبيات الهجوم على الأعداء ليلاً •

(الضحى) : اشتداد الشمس وامتداد النهار ، يقال : ضحي ، ويقال : ضُحى وضَحاء ، إذا ضممته قصرته ، وإذا فتحته مددته .

الاعراب :

(أفأمن أهــل القرى) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي ، والفاء عاطفة على أخذناهم بغتة ، وما بينها وهو قوله : « ولو أن أهل القرى » اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، وقد تقدّم أن مثل هذا التركيب يكون حرف العطف في نية التقديم ، وإنما تأخر ، وتقدمت عليه الهمزة لقوة تصدرها في أول الكلام . وأمن أهل القرى فعل وفاعل (أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون) أن المصدرية وما في حيزها مفعول أمن ، وبأسنا فاعل يأتيهم ، وبياتاً حال أو ظرف ، والواو حالية ، وهم نائمون مبتدأ وخبر ، والجملة نصب على الحال من الضمير في يأتيهم (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) عطف عــلى الجملة السابقــة مماثلة لها في الاعراب ، وضحىً ظرف زمان متعلق بيأتيهم (أفأمنوا مكر الله) تقدم إعرابها ، والتكرير لزيادة النكــير والتوبيخ ، وقد تقدم القول في المراد بمكر الله (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) الفاء عاطفة ، ولا نافية ، ويأمن مكر الله فعل ومفعول به ، وإلا أداة حصر ، والقوم فاعل ، والخاسرون صفة .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

اللغـة :

(يهد) : يبين ، من هدى يهدي .

الاعراب :

(أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ومعنى يهدي : أن يتبين وهي مجزومة بـ « لم » وللذين متعلقان بيهد ، وجملة يرثون الأرض صلة ، ومن بعد أهلها جار ومجرور متعلقان بيرثون (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أن هنا هي المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، وجملة نشاء خبر ، وأن وما بعدها فاعل يهد ، ويجوز أن يكون فاعل « يهد » مستتراً هو ضمير « الله » أو ضميراً عائداً على المفهوم من سياق الكلام ، أي : أ ولم يهد ما جرى للأمم السابقة ، وعندئذ تكون أن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل المفعول ، والتقدير على الوجه الأول : أولم يهد الله ويبين للوارثين مآلهم وعاقبة أمرهم بإصابتنا إياهم بذنوبهم ، ويكون المفعول به محذوفاً كما قدرناه . وعلى الوجه الثاني يكون التقدير : أولم يبين ويوضح الله أوماجرى

تلازم إصابتنا إياهم لو شئنا ذلك . وأصبناهم فعل وفاعل ومفعول به ؛ وبذنوبهم جار ومجرور متعلقان به (ونطبع على قلوبهم) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة ؛ ولا يجوز عطفه على جواب « لو » لأنه يؤدي الى كون الطبع منفياً بمقتضى « لو » مع أنه ثابت لهم ، وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان بنطبع (فهم لا يسمعون) الفاء عاطفة لتعقيب عدم السمع بعد الطبع على القلب ، وهم مبتدأ ؛ وجملة لا يسمعون خبره (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) تلك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ ؛ والقرى بدل من تلك ، وجملة نقص خبر تلك . ويجوز أن تكون القرى هي الخبر وجملة نقص حالية ؛ على حد قوله تعالى : « هذا بعلي شيخاً » ؛ وعليك جار ومجرور متعلقان بنقص، ومن أنبائها جار ومجرور متعلقان بنقص أيضاً ، ومن للتبعيض ، أي : بعض أنبائها ، ولها أنباء أخرى لم نقصها عليك ، وجملة الإشارة استئنافية مسوقة لبيان أن هؤلاء لا تجدي فيهم النصائح والعبر ، ولا تؤثر فيهم المواعظ ؛ فماتوا مصرين على عنادهم ، لم تلن لهم شكيمة ، ولم يهدأ لهم عناد (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) الواو استئنافية أو عاطفة ، واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجاءتهم فعل ومفعول به ، رسلهم فاعل ، وبالبينات جار ومجرور متعلقان بجاءتهم (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) الفاء عاطفة ، وما نافية ، وكان واسمها ؛ واللام للجحود ؛ ويؤمنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود ، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف ، أي فما كانوا مريدين ليؤمنوا ، وبما جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا ، وما اسم موصول أو مصدرية ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بكذبوا ، وعلى كون « ما » موصولة فالعائد محذوف ، وهو مجرور ، كقوله تعالى في سورة يونس : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا

به » ؛ وهو من اتحاد المتعلق معنى ، وبيان كونه من ذلك أن مجموع « ما كانوا ليؤمنوا » بمعنى « كذبوا به » ، فاتحد المتعلقان معنىً .
ويمكن أن يقال : قد تعدى قوله تعالى : « ليؤمنوا » بالياء ، ويؤمن نقيض يكذب ، فأجراه مجراه ، لأنهم قد يحملون الشيء على نقيضه ، كما يحمل على نظيره (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) الكاف مع مدخولها صفة لمصدر محذوف ، أي : مثل ذلك الطبع على قلوب أهل القرى المنتفى عنهم الايمان كذلك يطبع الله على قلوب الكفرة الآتين بعدهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الواو معترضة ، والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية ، وما نافية ، ووجدنا فعل وفاعل ، ولأكثرهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعهد ، ومن حرف جر زائد ، وعهد مفعول به محلاً لوجدنا ، ويجوز أن يكون لأكثرهم مفعولاً ثانياً لوجدنا ، بترجيح أنها علمية لا وجدانية (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) الواو عاطفة ، وإن مخففة من الثقيلة غير عاملة على قلة، ويجوز أن تكون عاملة واسمها ضمير الشأن، وسيأتي حكمها في باب الفوائد ، ووجدنا أكثرهم فعل وفاعل ومفعول به ، واللام الفارقة ، وفاسقين مفعول به ثان لوجدنا .

الفوائد :

إذا خففت « إن » المكسورة الهمزة أهملت وجوباً إن وليها فعل ، كقوله تعالى : « وإن نظنك لمن الكاذبين » ، فإن وليها اسم فالغالب إهمالها أيضاً ، نحو : إنْ أنت لصادق ، ويقل إعمالها ، نحو : إنْ زيداً لمنطلقٌ . ومتى خففت وأهملت لزمتها اللام المفتوحة وجوباً تفرقة بينها وبين « إن » النافية وتسمى اللام الفارقة .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

الاعراب :

(ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها) ثم : حرف عطف وتراخ ، وبعثنا فعل وفاعل ، من بعدهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، والضمير للرسل أو للأمم ، وموسى مفعول به ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان ببعثنا ، والى فرعون جار ومجرور متعلقان ببعثنا أيضاً ، وملئه عطف على فرعون ، أي الى قومه ، فظلموا الفاء للعطف والتعقيب ، وبها جار ومجرور متعلقان بظلموا ، وأجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من شعبة واحدة ، (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) تقدم إعراب نظيرها فجدد به عهداً (وقال موسى يافرعون إني رسول من رب العالمين) الواو استئنافية ، والجملة مسوقة لتفصيل ما أجمله من قبل . ويا حرف نداء للتوسط ، وفرعون منادى مفرد علم مبني على الضم ، وهو لقبه ، واسمه الحقيقي الوليد بن مصعب

ابن الريان ، أما كنيته فأبو مرة ، وإن واسمها ومن رب العالمين خبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) حقيق خبر لمبتدأ محذوف ، أي : أنا حقيق ، بمعنى جدير ، والجملة استئنافية ، وعلى أن لا أقول جار ومجرور متعلقان بحقيق ، لأنه فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بأقول ، وإلا أداة حصر ، والحق صفة لمصدر محذوف ، أي : إلا القول الحق ، ويجوز أن يكون مفعولاً به لأنه يتضمن معنى جملة (قد جئتكم ببينة من ربكم) الجلة صفة لرسول ، وقد حرف تحقيق ، وجئتكم فعل وفاعل ومفعول به ، وببينة جار ومجرور متعلقان بجئتكم ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبينة (فأرسل معي بني إسرائيل) الفاء الفصيحة ، أي : إذا استمعت كلامي وثبت الى الرشد فخلِّ أمرهم واترك سبيلهم حتى يذهبوا معي . وأرسل فعل أمر ، ومعي ظرف متعلق بأرسل ، وبني إسرائيل مفعول به ، وغاية موسى تحريرهم من العبودية وتخليصهم من ربقة الأسر والهوان (قال : إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين) جملة قال استئنافية لطلب فرعون الإتيان بآية من ربه ، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول ، وإن شرطية ، وكان واسمها ، وجملة جئت خبر كنت ، وبآية جار ومجرور متعلقان بجئت ، والفاء رابطة للجواب ، وأت فعل أمر ، وبها جار ومجرور متعلقان به ، وكنت كان واسمها في محل جزم فعل الشرط ، ومن الصادقين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنت ، وجواب إنْ محذوف لدلالة ما قبله عليه ، أي : فأت بها .

البلاغة :

من سنن العرب في كلامهم القلب ، وهو ضربان : الأول قلب

الحقيقة الى المجاز لوجه من المبالغة ، وقد تشبث أبو الطيب المتنبي بأهدابه حين قال :

والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به
وللسّيوفِ كما للناس آجال

والمراد بشقاء السيف انقطاعه في أضلاع المضروب ، على حد قوله في بيت آخر :

طوالُ الرُّدَيْنيّاتِ يقصِفُها دمي
وبيضُ السُّرَيْجيّاتِ يقطَعُها لحمي

والضرب الثاني ضرب معرّى عن هذا المعنى البليغ ، كقولهم : خرق الثوب المسار ، وأشباهه .

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾

الاعراب :

(فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) الفاء عاطفة للتعقيب ، وألقى فعل ماض ، وعصاه مفعول به ، فإذا الفاء عاطفة أيضاً ، وإذا الفجائية ، وقد تقدم القول فيها ، وإن النحاة ذهبوا فيها ثلاثة مذاهب : ظرف مكان أو زمان أو حرف ، وهي مبتــدأ ، وثعبان خبر ، ومبين صفة (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) الواو عاطفة ، ونزع يده فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ، أي : أخرجها من جيبه ، وهو طوق قميصه ، والفــاء عاطفة ، وإذا فجائية ، وهي مبتدأ ، وبيضاء خبر ، وللناظرين جار ومجرور متعلقان ببيضاء ، والمعنى : فإذا هي بيضاء للنظّارة بياضاً عجيباً باهراً خارقاً للعادة ، مــع أنه كان آدم شديد الأدمة ، أي السمرة . ولك أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف صفة لبيضاء (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم) كلام مستأنف مسوق ليعلن الملأ من قومه عجبهــم ، ولا منافاة بين ما ورد هنا من صدور الكلام عنهم وما ورد في سورة الشعراء من عزوه الى فرعون ، فقد يكون هو القائل فحكوا قوله . وقال الملأ فعل وفاعل ، ومن قوم فرعون جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وساحر خبر ، وعليم صفة ، والجملة في محل نصب مقول القول (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون) جملة يريد صفة ثانية لساحر ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به ليريد ، ويخرجكم فعل مضارع منصوب بأن ، ومن أرضكم جار ومجرور متعلقان بيخرجكم ، والفاء عاطفة ، وماذا اسم استفهام مفعول مقدم لتأمرون ، أو « ما » مبتدأ و « ذا » اسم موصول خبرها ، وجملة تأمرون لا محل لها ، وقد تقدم القول مشبعاً في « ماذا » وإعرابها

(قالوا أرجه وأخاه) الكلام مستأنف مسوق لبيان رد الملأ من قومه . وجملة أرجه نصب مقول القول،وأرجه فعل أمر، أي:أرجه وأخره،وقد حذفت الهمزة تسهيلاً ، والهاء مفعول به ، وأخاه عطف على الهاء ، ولك أن تنصبها على أنها مفعول معه (وأرسل في المدائن حاشرين) الواو عاطفة ، وأرسل فعل أمر ، وفي المدائن جار ومجرور متعلقان بأرسل ، وحاشرين صفة لمفعول به محذوف ، أي : رجالاً حاشرين السحرة ، وقيل : هو منصوب على الحالية ، ومفعول حاشرين محذوف، أي : السحرة ، والمدائن جمع مدينة ، فميمها أصلية وياؤها زائدة ، مشتقة من مدن يمدن مدونا : أي أقام ، وإذا كانت الياء زائدة في المفرد تقلب همزة في الجمع (يأتوك بكل ساحر عليم) يأتوك فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ، والواو فاعل ، والكاف مفعول به ، وبكل جار ومجرور متعلقان بيأتوك ، وساحر مضاف إليه ، وعليم صفة .

الفوائد :

تقدم القول مستوفى في « إذا » الفجائية ، ونورد هنا المسألة الزُّنْبُورِيَّة ، وهي مناظرة جرت بين سيبويه والكسائي . وكان من خبرهما أن سيبويه قدم على البرامكة ، فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما ، فجعل لذلك يوماً . فلما حضر سيبويه تقدم إليه الفراء وخلف ، فقال سيبويه : لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما فحضر الكسائي فقال له : تسألني أو أسألك ؟ فقال له سيبويه : سل أنت . فسأله عن المسألة الزنبورية ، وهي : قالت العرب : « قد كنت أظنُّ أن العقرب أشد لسعاً من الزنبور فإذا هو هي » . وقالوا أيضاً : « فإذا هو إياها » .

فقال سيبويه : « لا يجوز النصب » فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائي : العرب ببابك ، قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون . فقال يحيى وجعفر : أنصفت ، فأُحضروا فوافقوا الكسائي ، فاستكان سيبويه ، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم ، فخرج الى فارس فأقام بها حتى مات ، ولم يعد الى البصرة . فيقال : إن العرب قد ارشوا على ذلك ، وأنهم علموا بمنزلة الكسائي عند الرشيد .

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

الاعراب :

(وجاء السحرة فرعون) فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة مستأنفة (قالوا : إن لنا لأجراً) قالوا : فعل وفاعل ، والجملة مستأنفة مسوقة لإيراد جوابهم على تقدير : سأل : « ما قالوا » ، وتنكير الأجر يقصد به المبالغة في الكثرة . وإن حرف مشبه بالفعل ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم ، واللام المزحلقة ، وأجراً

خبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول (إن كنا نحن الغالبين) إن شرطية ، وكان واسمها ، ونحن تأكيد لـ « نا » ، ويجوز أن يكون ضمير فصل أو عماد ، والغالبين خبر ، وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه (قال نعم وإنكم لمن المقربين) الكلام مستأنف مسوق لإيراد جواب فرعون • ونعم حرف جواب تضمن تحقيق ما طلبوه من أجر كثير ، وإنكم الواو عاطفة على محذوف سدّ مسدّه حرف الجواب ، كأنه قال : نعم إن لكم لأجراً ، وإنكم إن واسمها ، واللام المزحلقة ، ومن المقربين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن (قالوا : يا موسى إما أن تلقي) جملة مستأنفة تضمنت مخاطبة السحرة لموسى ، وفيه الكثير من الأدب الرفيع المتبادل بين أبناء المهنة الواحدة ، كما يفعل أصحاب الصناعات إذا التقوا • وإما حرف شرط تضمن معنى التخيير ، وفيه يتجلى حسن أدب منهم • وأن مصدرية مؤوّلة مع مافي حيزها بمصدر مرفوع على أنه مبتدأ خبره محذوف ، والتقدير : إما إلقاؤك مبدوء به ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : وإما أمرك إلقاء ، ويجوز أن يكون المصدر منصوباً بفعل محذوف ، أي : افعل إما إلقاءنا وإما إلقاءك (وإما أن نكون نحن الملقين) عطف على ما تقدم (قال : ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم) جملة ألقوا في محل نصب مقول قوله وجملة قال استئنافية والفاء استئنافية ولما رابطة أو حينية وألقوا فعل وفاعل وجملة سحروا جواب لما وأعين الناس مفعول به واسترهبوهم عطف على سحروا كأنهم استدعوا رهبتهم (وجاءوا بسحر عظيم) عطف أيضاً وبسحر جار ومجرور متعلقان بجاءوا وعظيم صفة لسحر •

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا

يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾

اللغة :

(تلقف) مضارع لقِف ، كعلم يعلم ، يقال : لقِفْتُ الشيءَ ألقَفُه لقفاً وتلقّفته أتلقّفه تلقّفاً إذا أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعته . ويقال : لقف ولقم بمعنى واحد .

(يأفكون) : الإفك : في الأصل قلب الشيء عن وجهه ، ومنه قيل للكذاب : أفّاك ، لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل .

الاعراب :

(وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) الواو استئنافية ، وأوحينا فعل وفاعل ، والى موسى جار ومجرور متعلقان بأوحينا ، و « أن » يجوز أن تكون مفسرة لوقوعها بعد ما فيه معنى القول دون حروفه ، ويجوز أن تكون أن مصدرية ، فتكون هي وما بعدها مفعول أوحينا ، وألق فعل أمر ، وعصاك مفعول به لألق (فإذا هي تلقف ما يأفكون) الفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ، والتقدير : فألقاها فإذا هي ، وإذا الفجائية ، وهي ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، وجملة تلقف خبر ، و « ما » يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي ، والعائد محذوف ، أي : الذي يأفكونه ، ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع

ما بعدها بمصدر منصوب على المفعولية لتلقف ، وجملة يأفكون لا محل لها على كل حال (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) الفاء عاطفة ، ووقع الحق فعل وفاعل ، وبطل فعل ماض ، و « ما » موصولة أو مصدرية ، وهي في محل رفع فاعل ، أو مع مافي حيزها . وكان واسمها ، وجملة يعملون خبرها (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) الفاء عاطفة : غلبوا فعل ماض مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية ، أي : غلبوا في المكان الذي وقع فيه سحرهم ، وانقلبوا عطف على غلبوا ، وصاغرين حال (وألقي السحرة ساجدين) عطف على ما قبله ، والسحرة نائب فاعل لألقي ؛ وساجدين حال من السحرة (قالوا : آمنا برب العالمين) الجملة مستأنفة لامحل لها ، ويجوز أن تكون حالية ، أي : ألقوا حال كونهم ساجدين قائلين ، وجملة آمنا في محل نصب مقول القول ، وبرب العالمين جار ومجرور متعلقان بآمنا (ربّ موسى وهارون) رب بدل من رب العالمين أو نعت له ، وقدموا موسى على هارون ــ وإن كان هارون أسنّ منه ــ لأمرين : أولهما ارتفاعه عليه بالرتبة ، ولأنه وقع فاصلة ، ومراعاة الفواصل تكاد تكون مطردة في القرآن .

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا

جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

اللغــة :

(خلاف) : يكــاد المفسرون يجمعــون عــلى أن المعنى هــو أن يقطع من كل شقٍّ طرفاً فيقطع اليد اليمنى والرجــل اليسرى • وقالوا : إن أول من قطع من خلاف وصلب هو فرعون • وفي اللغــة خالفه خلافاً بكسر الخاء ومخالفة : ضـــد وافقه ، وخــالف بين رجليــه قدّم إحداهما وأخر الأخرى ، فلعله مأخوذ من هذا المعنى • ويبعد قول من فسره بالمخالفة أي : لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم لأجل مخالفتكم إياي • فتكون « من » تعليليــة لأن هـــذا يتنافى مــع أسلوب القرآن البليغ •

(تنقم) في المصباح : نقَمت عليه أمرَه ونقَمتُ منه نَقْماً من باب ضرب ، ونُقوماً • ونقِمته أنقَمُه من باب تعِب لغة : إذا عِبته وكرهته أشد الكراهة لسوء فعله •

الاعراب :

(قال فرعون : آمنتم به قبل أن آذن لكم) جملة قال فرعون استئنافية مسوقة للإنكار على السحرة ، موبخاً لهم على ما فعلوه • وجملة آمنتم في محل نصب مقول القول ، وهي بهمزة واحدة وبعدها الألف التي هي فاء الكلمة ، وهي إحدى القراءات الأربع في هــذه الكلمة • وتحتمل الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ ، وتحتمل الاستفهام

المحذوف لفهم المعنى ، وبه جار ومجرور متعلقان بآمنتم وقبل ظرف زمان متعلق بآمنتم أيضاً ، وأن وما في حيزها مصدر مضاف ، وآذن أصله أأذن وهو فعل مضارع منصوب بأن ، والهمزة الأولى هي همزة المتكلم التي تدخل على المضارع ، والثانية قلبت ألفاً لوقوعها ساكنة بعد همزة أخرى ، ولكم جار ومجرور متعلقان بآذن ، وجملة آمنتم في محل نصب مقول قوله (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) كلام مستأنف مسوق أتى به فرعون ليؤكد لهم أن إيمانهم يقوم على تواطؤ بينهم وبين موسى ، وعقب الكلام بأنه قوي ، فجنح الى التهديد • وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، ومكر خبرها ، وجملة مكرتموه صفة لمكر ، وفي المدينة جار ومجرور متعلقان بمكرتموه (لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) اللام للتعليل ، وتخرجوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بمكرتموه ، ومنها جار ومجرور متعلقان بتخرجوا ، وأهلها مفعول به ، والفاء الفصيحة ، وسوف حرف استقبال ، وتعلمون فعل مضارع وفاعل ، ومفعوله محذوف للعلم به ، أي : تعلمون ما يحل بكم من قوارع العذاب (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اللام موطئة للقسم ، وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح ، والجملة لا محل لها لأنها جواب قسم مفسرة للإبهام الناشىء عن حذف المفعول به ، وأيديكم مفعول به ، وأرجلكم عطف على أيديكم ، ومن خلاف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : مختلفة ، ويجوز أن تكون « من » للتعليل ، فيتعلق الجار والمجرور بنفس الفعل (ثم لأصلبنكم أجمعين) ثم حرف عطف وتراخ، لأصلبنكم عطف على لأقطعن ، وأجمعين تأكيد للكاف (قالوا : إنا الى ربنا منقلبون) كلام مستأنف مسوق للإدلاء بجوابهم عند تهديده إياهم

بأنهم لا يبالون بالموت لانقلابهم الى ربهم ، ورحمته وأنهم ميتون منقلبون الى ربهم ، فما تفعل الا مالا بد منه ، وإن وما بعدها مقول القول ، وإنا : إن واسمها ، والى ربنا متعلقان بمنقلبون ، ومنقلبون خبر إن • (وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) الواو عاطفة ، والكلام منسوق على ما تقدم من جوابهم : وما نافية ، وتنقم فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، ومنا جار ومجرور متعلقان بتنقم ، أي : ما تعيب علينا إلا إيماننا ، وإلا أداة حصر ، وأن مصدرية ، وهي مع مدخولها مصدر مفعول تنقم ، ويجوز أن يكون المصدر مفعولاً من أجله ، فهو استثناء مفرّغ على كل حال ، وبآيات ربنا جار ومجرور متعلقان بآمنا ، ولما رابطة أو حينية ، وجملة جاءتنا لا محل لها أو في محل جر بالإضافة (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين) كلام مستأنف تحولوا فيه عن خطابه الى الفزع لله وتفويض الأمور إليه • وربنا منادى مضاف ، وأفرغ فعل دعاء تأدّباً ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفرغ ، وصبراً مفعول به ، وتوفنا عطف على أفرغ ، ومسلمين حال ، ومعنى الإفراغ هنا الصب ، أي : صبّ علينا أجراً واسعاً يفيض علينا ويغمرنا كما يصب الماء ، وجواب « لما » محذوف تقديره : لما جاءتنا آمنا بها من غير تردد • وجملة الجواب لا محل لها على كل حال •

البلاغة :

في هذه الآية فنّ طريف وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، أو المدح في معرض الذم • وهو نوعان :

١ ـ أن يستثنى من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح لذلك

الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم ، وهذا النوع هو المشهور ، ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

ومنه الآية التي نحن بصددها ، وقد مرت آية في المائدة مماثلة لها أيضاً .

٢ ـ أن تثبت لشيء صفة مدح ، وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لذلك الشيء نحو : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش . ومنه قول النابغة أيضاً :

فتى كمُلَتْ أوصافه غير أنه جوادٌ فما يُبقي على المال باقيا

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

اللغــة :

(نستحيي) أي : نستبقي نساءهم للخدمة •

الاعراب :

(وقال الملأ من قوم فرعون) الواو استئنافية أو عاطفة ، والكلام مستأنف لبيان ما قاله ملأ فرعون وتحريضهم على موسى وقومه ، أو عطف على ما تقدم • وقال الملأ فعل وفاعــل ، ومن قوم فرعون جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الملأ (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك) الاستفهام إنكاري لتحريض فرعون على موسى وقومه ، وتذر فعل مضارع ، وفاعله مستتر ، والجملة مقول القول ، وموسى مفعول به ، وقومه عطف على موسى ، واللام للتعليل ، ويفسدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور وهو لام التعليل والمصدر المؤول بعدها متعلقان بتذر ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيفسدوا ، ويذرك : يجوز أن يكون معطوفاً عــلى يفسدوا فينصب مثله ، ويجوز أن تكون الواو للمعية ويذكرك منصوب بأن مضمرة بعد الواو في جواب الاستفهام ، والكاف مفعول به ، وآلهتك عطف على الضمير أو مفعول معه ، والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين في الأرض وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك ؟ (قال : سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم) جملة القول مستأنفة مسوقة لحكاية حال فرعون بعد فرقه من إلحاق أي مكروه بموسى عليه السلام ، وعدل الى إعادة القتل والإثخان في قومه ، وقرىء سنقتّل بالتشديد وضمّ النون ، أما مع التخفيف فتكون النون مفتوحة ، وجملة سنقتل نصب على أنها قول قوله ، وأبناءهم مفعول به ،

ونستحيي نساءهم عطف (وإنا فوقهم قاهرون) الواو عاطفة أو حالية ، وإن واسمها ، وقاهرون خبرها ، والظرف متعلق بقاهرون أو بمحذوف حال ، (قال موسى لقومه : استعينوا بالله) جملة مستأنفة مسوقة لحكاية قول موسى لقومه طالباً منهم الاستعانة بالله ، وجملة استعينوا في محل نصب مقول القول (واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) عطف على استعينوا ، وان واسمها ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، والجملة لا محل لها لأنها تعليلية ، وجملة يورثها في محل نصب على الحال من لفظ الجلالة أو خبر بعد خبر لإن ، ومن اسم موصول مفعول به ثان ليورثها ، والعاقبة الواو استئنافية ، والعاقبة مبتدأ ، وللمتقين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (قالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) كلام مستأنف مسوق لبيان ما قاله قوم موسى ، ويتذمرون منه ، لما كانوا يمتهنون فيه من ضروب الخدم ، ويسامون به من ألوان العذاب قبل مولد موسى عليه السلام ، وبعد مولده ، فقد كان فرعون وقومه يستخدمونهم في الأعمال الشاقة . وجملة أوذينا في محل نصب مقول قولهم ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بأوذينا ، وأنْ وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالإضافة ، ومن بعد عطف على من قبل ، وما مصدرية ، مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالإضافة (قال عسى ربكم أن يهلك عدوّكم) جملة مستأنفة مسوقة لبيان جواب موسى عليه السلام ، على تذمر قومه به جرياً على طبيعتهم ، وجملة الرجاء في محل نصب مقول قوله ، وفيه رمز الى البشارة بإهلاك فرعون . وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء ، وربكم اسمها ، وأن يهلك مصدر مؤول في محل نصب خبرها ، وعدوكم مفعول به (ويستخلفكم في الأرض) عطف على ما تقدم (فينظر كيف تعملون) الفاء عاطفة للتعقيب ، وينظر

عطف على يستخلفكم ، وكيف استفهام في موضع نصب على الحالية أو المفعولية المطلقة .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

اللغـة :

(السنون) : جمع سنة ، وهي اثنا عشر شهراً ، وتجمع على سنين وسنوات وسنهات ، وتصغيرها على سنيّة وسنينة وسنيهة ، والنسبة اليها سنويّ وسنهيّ ، والجمع يعرب بالحروف إلحاقاً بجمع المذكر السالم . وربما أعرب بالحركات . والسنة أيضاً : الجدب والقحط ، وقد اشتقوا منها ، فقالوا : أسنت القوم بمعنى أجدبوا وأقحطوا .

(يطّيّروا) الأصل : يتطيروا ، فأدغمت التاء في الطاء لمقاربتها لها ، والتطيّر كما في معاجم اللغة : التشاؤم ،وأصله أن يفرق المال ويطير بين القوم ، فيطير لكل واحد حظه وما يخصه ، ثم أطلق على الحظ والنصيب السيء بالغلبة .

الاعراب :

(ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في تفصيل كيفية إهلاكهم وما سبته من أحداث • واللام جواب قسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وأخذنا فعل وفاعل ، وآل فرعون مفعول به ، وبالسنين جار ومجرور متعلقان بأخذنا (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) الواو عاطفة ، ونقص عطف على السنين ، ومن الثمرات جار ومجرور متعلقان بنقص ، والمراد اتلاف الغلة بالآفات المختلفة ، ولعل واسمها ، وجملة يذكرون خبرها ، وجملة لعلهم يتذكرون حالية (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا : لنا هذه) الفاء عاطفة ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة جاءتهم الحسنة في محل جر بالإضافة ، والمراد ما يصيبهم من الرخاء والخصب ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهذه اسم إشارة في محلّ رفع مبتدأ مؤخر ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول قولهم (وإن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى ومن معه) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وتصبهم فعل الشرط ، والهاء مفعول به ، وسيئة فاعل ، ويطيروا جواب الشرط ، وبموسى جار ومجرور متعلقان بيطـّيّروا ، ومن عطف على موسى ، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الأعراب لأنه صلة الموصول (ألا إنما طائرهم عند الله) ألا أداة استفتاح وتنبيه ، وإنما كافة ومكفوفة ، وطائرهم مبتدأ، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ، والجملة مستأنفة مسوقة من قبله تعالى للرد على افتنائهم ، وأن ما أصابهم هو جزاء وفاق لأعمالهم السيئة المسجلة عنده (ولكن أكثرهم لا يعلمون) الواو حالية ، ولكن واسمها ، والجملة نصب على

الحال ، وجملة لا يعلمون خبر لكنّ (وقالوا : مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها) الواو عاطفة ، وقالوا فعل وفاعل ، ومهما اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، وتأتنا فعل الشرط ومفعول به ، وبه جار ومجرور متعلقان بتأتنا ، ومن آية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، ولتسحرنا اللام للتعليل ، وتسحرنا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، ونا مفعول به ، والجار والمجرور « لام التعليل والمصدر المؤول بعدها » متعلقان بتأتنا وبها جار ومجرور متعلقان بتسحرنا (فما نحن لك بمؤمنين) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وما نافية حجازية ، ونحن واسمها ، ولك جار ومجرور متعلقان بمؤمنين ، والباء حرف جر زائد ، ومؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر « ما » . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر مهما .

البلاغة :

في تعريف الحسنة وتنكير السيئة فنّ عجيب من فنون علم المعاني، فقد عرّف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بأحداثها ، ونكّر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورتها ، ولعدم القصد إليها ، إلا بالتبع . وفي الحسنة والسيئة طباق جميل .

الفوائد :

١ ــ الطيَرَة : أوردنا في باب اللغة المفهوم اللغوي للطيرة ، ثم اصطلح علماء النفس على معنى أثبت لها ، فاعتبروها مرضاً من شعبة أمراض الخوف الناشيء عن ضعف الأعصاب واختلالها ، إلا أنها خوف

خاص له بواعثه وأعراضه ، وأولها ضعف الأعصاب ، فالرجل السليم لا يتطيّر ولا يتشاءم ، لأنه ينتظر من الدنيا خيراً ، ولا يحس النفرة بينه وبينها ، ومن ثم لا يحس الخوف ولا التطيّر منها ، ويمكن أن نعتبر الطيرة أنها تشاؤم مؤقت استدعته ظروف طارئة ، وجوّ يلائم حالات اليأس والتشاؤم العارضة ، فاذا بالمتطيّر يتسلف الفزع من الشر قبل وقوعه .

ابن الرومي شاعر التطيّر :

ومن شعرائنا الذين اشتهروا بالطّيرة ابن الرومي ، فقد كان يشعر من قرارة نفسه أنه فروقة حذور ، وهو في الوقت نفسه يشعر أن حذره لا يدفع عنه ما هو مراد به ، ولكنه يرى أنه لا مندوحة له عنه للاعتصام به ، وليستشعر الأمن الذاهب والقلق الواجف :

فآمَنُ ما يكونُ المرءُ يوماً إذا لبسَ الحِذارَ من الخُطوبِ

ويرى بعض النقاد أن من روافد الطّيرة في ابن الرومي ذوق الجمال وتداعي الخواطر ، ذلك أن النفس المطبوعة على استذواق الجمال تفرح وتهلل للمناظر المغرية الأخاذة ، وبالعكس تنفر وتنقبض من المناظر الدميمة الشوهاء ، أما تداعي الخواطر فصاحبه فريسة للنوازع عرضة للتأويلات التي لا مسوّغ لها يستخرج من الكلمات المهموسة ، أو الفكر الطارئة أموراً يحذر منها المرء ويخاف ، فقد كان ابن الرومي يتطير من صديقه جعفر في حال مرضه ، ولكنه لم يتطير منه قبل المرض ، ودعواه أن جعفراً مشتق من الجوع والفرار ، والخان يذكّره بالخيانة :

فكم خانِ سَفْرٍ خانَ فانقضَّ فوقهمْ
كما انقضَّ صقر الـدجن فوق الأرانب

وقال في ابن طالب الكاتب :

وهـل أشبهَ المِرِّيـخ إلا وفعلُهُ
لفعـل نذير السوء شبـه مقـارب

وهـل يتمارى الناسُ في شؤم كاتبٍ
لعينيـه لونُ السيفِ والسيفُ قـاصبُ

ويُدعى أبوه طـالباً وكفاكـمُ
به طِـيرَةً أن المنيّـةَ طالِبُ

ألا فاهربوا من طـالبٍ وابنِ طـالبٍ
فمن طالبٍ مثليْهِمَا طـارَ هارِبُ

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفـال ويكره الطيرة ، روي مرفوعاً: « إذا ظننتم فلا تحققوا،... وإذا تطيرتم فامضوا وعـلى الله فتوكلوا » . ومن طرائف المتطـيّرين ما يروى أن النجوم تساقطت في زمن أحـد الخلفاء ، فتطـير من ذلك ، وأحضر المنجمين والعلماء ، فما أجابوا بشيء ، فقال شاعر :

هـذي النجوم تساقطت ... لرجوم أعداء الأمـير

فتفاءل به ، وأمر له بصلة سنية .

٢ ـ القول في مهما : قال سيبويه : وسألت الخليل عن « مهما » فقال : هي « ما » أدخلت معها « ما » ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى . وقد استدل بعض العلماء على أنها حرف بقول زهير بن أبي سُلْمى :

ومهما تكنْ عندَ امرىءٍ من خَلِيقةٍ
وإنْ خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

فأعرب هؤلاء « خليقة » اسماً لتكن ، ومن زائدة ، فتعيَّن خلو الفعل من الضمير ، ولم يكن لـ « مهما » محل من الإعراب ، إذ لا يليق بها إلا الابتداء ، والابتداء متعذّر لعدم وجود رابط ، وإذا ثبت أن لا موضع لها تعين كونها حرفاً ، والتحقيق أن اسم تكن مستتر ، ومن خليقة تفسير لمهما ، ومهما مبتدأ ، والجملة خبر ، وفي الآية الضميران في « به » و « بها » راجعان لمهما ، إلا أن أحدهما ذكّر على اللفظ ، والآخر أنّث على المعنى ، لأنه في معنى الآية .

وهذا الذي أنكره الزمخشري من أن « مهما » لا تأتي ظرف كان، قد ذهب إليه ابن مالك ، ذكره في التسهيل وغيره من تصانيفه ، إلا أنه لم يقصر مدلولها على أنها ظرف زمان ، بل قال : وقد ترد «ما»و«مهما» ظرفي زمان ، وقال في أرجوزته الطويلة المسماة بالشافية الكافية : :

وقد أتت مهما وما ظرفين في شواهد من يعتضد بها كفى

وقال في شرح البيت : جميع النحويين يجعلون « ما » و « مهما » مثل « من » في التجرد عن الظرف ، مع أن استعمالهما ظرفين ثابت في استعمال الفصحاء من العرب ، وأنشد أبياتاً عن العرب زعم فيها أن

ما ومهما ظرفا زمان ، وكفانا الرد عليه ابنه الشيخ بدر الدين بن محمد، وقد تأولنا نحن بعضها ، وذكرنا ذلك في كتاب التكميل لشرح التسهيل من تآليفنا ، وكفاه رداً نقله عن جميع النحويين خلاف ما قاله ، لكن من يعاني علماً يحتاج الى مثوله بين يدي الشيوخ ، وأما من فسر «مهما» في الآية بأنها ظرف زمان فهو كما قال الزمخشري ملحد في آيات الله ٠

وعبارة الزمخشري :

« وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرّفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ، ويحسب « مهما » بمعنى « متى ما » ويقول مهما جئتني أعطيتك ، وهذا من وضعه وليس من كلام واضعي العربية في شيء ، ثم يذهب فيفسر : مهما تأتني به من آية، بمعنى الوقت فيلحدّ في آيات الله ، وهو لا يشعر ، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه » ٠

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ

﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

اللغـة :

(الطوفان): اختلفت فيه أقوال علماء اللغة فقال بعضهم : هو اسم جنس كقمح وقمحة وشعير وشعيرة . وقيل بل هو مصدر كالنقصان والرجحان ، وهذا قول المبرّد . وهو يطلق في اللغة على الماء أو السيل المغرق ، وعلى شدة ظلام الليل ، وعلى الموت الذريع الجارف . والطوفان من كل شيء مهما كان كثيراً .

(الجراد) : جمع جرادة ، الذكر والأنثى فيه سواء ، يقال : جرادة ذكر وجرادة أنثى ، كنملة وحمامة . وهي صنفان الطيار وهو الذي يطير غالباً والزحّاف .

(القمل) : اختلفت فيه الأقوال كثيراً فقيل : هو القِرْدان وقيل : دابة تشبهها أصغر منها ، وقيل : هو السوس الذي يخرج من الحنطة ، وقيل : هو نوع من الجراد أصغر منه وقيل : هو القَمْل بفتح القاف الذي يكون في بدن الانسان وثيابه ، فيكون فيه لغتان .

(الضفادع) : جمع ضفدَع بوزن درهم ، ويجوز كسر داله فيصير بزنة زِبْرِج ؛ والضفدع مؤنث وليس بمذكّر ، فعلى هذا يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف فيقال : ضفدع ذكر وضفدع أنثى ، والجمع ضفادع وضفادي .

(الرِّجْز) : العذاب .

الاعراب :

(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم) الفاء عاطفة ، وأرسلنا فعل وفاعل ، وعليهم : جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ، والطوفان مفعول به ، وما بعده عطف عليه (آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) آيات حال من الخمسة المذكورات ، ومفصلات صفة ، فاستكبروا عطف على أرسلنا ، وكانوا قوماً مجرمين كان واسمها ، وقوماً خبرها ، ومجرمين صفة (ولما وقع عليهم الرجز) الواو عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، ووقع فعل ماض ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بوقع ، والرجز فاعل ، وجملة وقع لا محل لها أو في محل جر بالإضافة (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) جملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ويا حرف نداء ، وموسى منادى مفرد علم ، وادع فعل أمر ، ولنا جار ومجرور متعلقان بـ « ادع » ، وربك مفعول به ، وبما جار ومجرور متعلقان بـ « ادع » وما مصدرية أو موصولة ، وجملة عهد لا محل لها على كل حال ، وعندك ظرف مكان متعلق بعهد (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك) اللام موطئة للقسم ، وإن شرطية وكشفت فعل ماض وفاعل وهو في محل جزم فعل الشرط ، وعنا جار ومجرور متعلقان بكشفت ، والرجز مفعول به ، ولنؤمنن : اللام جواب للقسم ، ونؤمنن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والجملة لا محل لها لأنها جواب للقسم ، ولك جار ومجرور متعلقان بنؤمننّ (ولنرسلن معك بني إسرائيل) عطف على ما تقدم ، ومعك ظرف مكان متعلق بنرسلن ، وبني إسرائيل مفعول به (فلما كشفنا عنهم الرجز) الفاء عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، وجملة كشفنا لا محل لها أو في محل جر بالإضافة ،

وكشفنا فعل وفاعل ، والرجز مفعول به ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بكشفنا (الى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون) الى أجل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وهم مبتدأ ، وبالغوه خبر ، والجملة الاسمية صفة لأجل ، وإذا الفجائية وقد تقدم أننا اخترنا الحرفية لها وجهاً ، وهم مبتدأ ، وجملة ينكثون خبره ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وقد استدل سيبويه بهذه الآية على أن « لما » حرف وجوب لوجوب ، أي رابطة لا ظرف بمعنى حين ـ كما زعم بعضهم ـ لافتقاره الى عامل فيه ، ولا يحتمل إضماراً ، ولا يعمل ما بعد إذا الفجائية فيما قبلها (فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم) فانتقمنا عطف ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بانتقمنا ، فأغرقناهم عطف أيضاً ، وفي اليم جار ومجرور متعلقان بأغرقناهم (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) بأنهم الباء وما في حيزها جار ومجرور متعلقان بأغرقناهم ، ومعنى الباء السببية ، أي : بسبب أنهم ، وجملة كذبوا خبر أن ، وكانوا عطف على كذبوا ، وعنها جار ومجرور متعلقان بغافلين ، وغافلين خبر كانوا .

البلاغة :

سر استعمال القمّل :

وردت لفظة « القمّل » في آية من القرآن حسنة مستساغة ، وقد وردت في بيت للفرزدق غير حسنة مستهجنة ، وهو :

مِنْ عِزِّهِ احتجزتْ كُلَيْبٌ عنده
زَرْباً كأنهمُ لديهِ القُمَّلُ

وإنما حسنت هذه اللفظة في الآية دون البيت لأنها جاءت في الآية

مندرجة في ضمن كلام متناسب ، ولم ينقطع الكلام عندها ، وجاءت في الشعر قافية ، أي : آخراً انقطع الكلام عندها ، فقد تضمنت الآية خمسة ألفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وأحسن هذه الألفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم ، فلما وردت هذه الألفاظ الخمسة بجملتها قدم منها الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخراً ، وجعلت لفظة القمل والضفادع في الوسط ، ليطرق السمع أولاً الحسن من الألفاظ الخمسة ، وينتهي إليه آخراً . ثم إن لفظة « الدم » أحسن من لفظتي « الطوفان » و « الجراد » ، وأخف في الاستعمال ، ومن أجل ذلك جيء بها آخراً . ومراعاة مثل هذه الأسرار والدقائق في استعمال الألفاظ ليس من القدرة البشرية .

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

اللغـة :

(كلمت ربك) نصّوا عـلى رسم هـذه بالتاء المجزورة (أي المبسوطة) وماعداها في القرآن بالهاء على الأصل ، والمراد بالكلمة وعده تعالى لهم بقوله : « ونريد أن نمنّ » الخ •

(يعرشون) : بضم الراء وكسرها ، وقد قرىء بهما في السبع • أي يرفعون من البنيان تمهيداً للشروع في قصة بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون من أنواع الكفر وأنماط التعنت والشطط مما لا تزال شواهده نواطق بحقائقهم •

الاعراب :

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشـارق الأرض ومغاربهـا) الواو عاطفـة أو استئنافية ، وأورثنا القوم فعل وفاعل ومفعول به ، والذين صفة للقوم ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وجملة يستضعفون خبر كانوا ، ويستضعفون فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، مشارق الأرض مفعول به ثان ، ومغاربها عطف على مشارق (التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) التي اسم موصول صفـة للمشارق والمغـارب ، وجملة باركنا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وفيها جار ومجرور متعلقان بباركنا ، وتمت كلمة ربك عطف عـلى « أورثنا » ، وكلمة فاعل ، والحسنى صفة لكلمة ، وعلى بني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بتمت وبما جـار ومجرور متعلقان بصبروا (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) الواو عاطفة ، ودمرنا فعل وفاعل ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة كان صلة ، واسم كان

ضمير مستتر ، وجملة يصنع خبر كان ، وفرعون فاعله ، وقومه عطف على فرعون ، و « ما » عطف على « ما » الأولى ، وجملة كانوا يعرشون صلة « ما » وجملة يعرشون خبر كانوا (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق للشروع في قصة بني إسرائيل وما أحدثوه من بدع للاعتبار والاتعاظ بحال الإنسان المفطور على الشرّ . وببني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بجاوزنا ، والبحر مفعول به ، ويجوز أن يتعلق « ببني » بمحذوف حال (فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) فأتوا عطف على جاوزنا ، وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بأتوا ، وجملة يعكفون صفة لقوم ، وعلى أصنام جار ومجرور متعلقان بيعكفون ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأصنام (قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) كلام مستأنف مسوق لبيان تعنتهم وافتئاتهم وطلبهم الآلهة ورؤية الله جهرة ، وغير ذلك من أنواع المعاصي . وجملة اجعل مقول القول ، ولنا جار ومجرور متعلقان باجعل ، أو بمحذوف مفعول به أول ، وإلهاً مفعول به ثان . وكما الكاف حرف جر ، وما اسم موصول بمعنى الذي ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة ، وآلهة بدل من الضمير المستكن في « لهم » والتقدير : كالذي استقر هو لهم آلهة ، والكاف ومجرورها صفة لإلهاً ، واختار الزمخشري أن تكون « ما » كافة للكاف ، فهي كافة ومكفوفة ، ولذلك وقعت الجملة بعدها (قال : إنكم قوم تجهلون) كلام مستأنف لبيان جواب موسى لهم ، وإن واسمها وخبرها ، وجملة تجهلون صفة لقوم ، وجملة إنكم مقول القول .

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ

ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

اللغــة :

(متبّر) مكسّر ، فهو اسم مفعول من تبر ، أي : دمّر وأهلك ، والمصدر التتبير . ومنه التبر وهو كسارة الذهب ، لتهالك الناس عليه.

الاعراب :

(إن هؤلاء متبر ما هم فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان مصيرهم الذي يئولون إليه . وإن حرف مشبه بالفعل ، وهؤلاء اسم إشارة اسم إن ، ومتبر يجوز أن يكون خبر إن ، وما اسم موصول في محل رفع نائب فاعل لمتبر ، وهم فيه مبتدأ وخبر ، والجملة لامحل لها لإنها صلة ، ويجوز أن يكون الموصول مبتدأ ، ومتبر خبره المقدم عليه ، والجملة خبر إن (وباطل ما كانوا يعملون) الواو حرف عطف ، وباطل خبر مقدم ، وما مبتدأ مؤخر ، وكانوا يعملون من كان واسمها وخبرها صلة « ما » ، ولك أن تعطف « باطل » على « متبر » وتجعل « ما » فاعلاً لباطل لأنه اسم فاعل (قال : أغير الله أبغيكم إلهاً) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان شئون الله الموجبة لتخصيص العبادة به . والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي ، وغير مفعول به لفعل

محذوف ، أي : أأطلب لكم معبوداً غير المستحق للعبادة ؟ وجملة أبغيكم مقول القول ، وإلهاً تمييز أو حال ، ويجوز أن يكون « غير » مفعولاً مقدماً لأبغيكم ، والكاف منصوبة بنزع الخافض ، أي : أأبغي لكم غير الله ؟ ويجوز على هذا الوجه إعراب « غير » حالاً وإلهاً هو المفعول به (وهو فضّلكم على العالمين) الواو حالية ، وهو مبتدأ ، وجملة فضلكم خبر ، والجملة كلها حالية ، وعلى العالمين جار ومجرور متعلقان بفضلكم ، ويجوز أن تكون الواو للاستئناف ، والجملة مستأنفة لامحل لها من الإعراب (وإذ أنجيناكم من آل فرعون) الواو عاطفة أو استئنافية ، وإذ مفعول به لفعل محذوف ، تقديره : اذكروا وقت أنجيناكم ، وجملة أنجيناكم في محل جر بالإضافة ، ومن آل جار ومجرور متعلقان بأنجيناكم ، وفرعون مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة لمنعه من الصرف (يسومونكم سوء العذاب) الجملة نصب على الحال من آل فرعون ، ويسومونكم فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول ، وسوء العذاب مفعول به ثان (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) جملة يقتلونكم بدل من جملة يسومونكم ، ويستحيون نساءكم جملة معطوفة عليها (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) الواو حالية أو استئنافية ، وفي ذلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وبلاء مبتدأ مؤخر ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبلاء ، وعظيم صفة ثانية .

﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا

نَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

الاعراب :

(وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتفصيل ما أجمله في سورة البقرة ، وهو قوله تعالى : « وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة » ، وواعدنا موسى فعل وفاعل ومفعول به ، وثلاثين مفعول به ثان لواعدنا ، وفيه حذف مضاف تقديره : تمام ثلاثين ، وليلة تمييز ؛ وذلك ليصومها حتى نكلمه ، وأتممناها عطف على واعدنا ، وبعشر جار ومجرور متعلقان بأتممناها (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) الفاء عاطفة ، وتم ميقات فعل وفاعل ، وربه مضاف إليه ، وأربعين حال ؛ أي تمّ بالغاً هذا العدد ، وليلة تمييز ، وسيأتي في باب الفوائد تعليل نصبها على الحال . وقيل : هو مفعول « تم » لأن معناه بلغ ، ولا يصح أن يكون ظرفاً للتمام ، لأن التمام إنما هو بآخر جزء من تلك الأزمنة (وقال موسى لأخيه هارون) الواو عاطفة ، وقال موسى فعل وفاعل ، ولأخيه جار ومجرور متعلقان

بقال . وهارون : بدل من أخيه أو عطف بيان (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) الجملة مقول قول موسى ، واخلفني فعل أمر ومفعول به ، وفي قومي جار ومجرور متعلقان باخلفني ، وأصلح عطف على اخلفني ، ولا تتبع الواو حرف عطف ، ولا الناهية وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وسبيل المفسدين مفعول به (ولما جاء موسى لميقاتنا) الواو عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، متضمنة معنى الشرط ، وجملة جاء موسى لا محل لها . أو في محل جر بالإضافة ، ولميقاتنا جار ومجرور متعلقان بجاء ؛ واللام للاختصاص ، كما تقول : أتيته لعشر خلون من الشهر (وكلمه ربه قال : رب أرني أنظر إليك) وكلمه ربه عطف على جاء ، وربه فاعل كلمه . وجملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ورب منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ، وأرني فعل أمر للدعاء ، وفاعله مستتر ، والنون للوقاية ، والياء مفعول به أول ، ومفعول الرؤية الثاني محذوف تقديره : نفسك ، وأنظر فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وجملة الطلب وجوابه مقول القول ، وإليك جار ومجرور متعلقان بأنظر (قال لن تراني) الجملة مقول القول، ولن حرف نفي ونصب واستقبال، وتراني فعل مضارع منصوب بلن والياء مفعول به (ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) الواو عاطفة ، ولكن حرف استدراك مخفف مهمل ، وانظر فعل أمر ، والى الجبل جار ومجرور متعلقان بانظر ، فإن الفاء عاطفة ، وإن شرطية ، واستقر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، ومكانه ظرف مكان متعلق باستقر ، فسوف الفاء رابطة لجواب الشرط ، وسوف حرف استقبال ، وتراني فعل مضارع ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً) الفاء عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، وتجلى ربه فعل وفاعل ،

وللجبل جار ومجرور متعلقان بتجلى ، وجعله فعل ومفعول به ، والجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ودكاً مفعول به ثان لجعله ، لأنه مصدر بمعنى مفعول ، أي : مدكوك ، ويجوز نصبه على المصدرية، إذ التقدير : دكه دكاً (وخرّ موسى صعقاً) صعقاً حال (فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) الفاء عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، وجملة أفاق لا محل لها ، أو في محل جر بالإضافة ، وجملة قال لا محل لها ، وسبحانك مفعول مطلق لفعل محذوف ، وتبت فعل وفاعل ، وإليك جار ومجرور متعلقان بتبت ، وأنا الواو عاطفة . وأنا مبتدأ ، وأول المؤمنين خبر .

الفوائد :

رؤية الله في الآخرة :

استدل الزمخشري وغيره من أئمة المعتزلة على عدم رؤية الله تعالى في الآخر بـ « لن » ، قالوا : هي للتأكيد والتأبيد . ورد عليهم علماء السنة ، وشجر خلاف طويل حول ذلك ، وجر إلى التهاتر والتراشق بالحساب العسير والتهم ، مما لا يتسع المجال له في كتابنا . فارجع إليه في المطولات .

﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

الاعراب :

(قال : يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) كلام مستأنف مسوق لتسلية موسى عليه السلام على ما فاته من الرؤية، وجملة النداء في محل نصب مقول القول ، وإن واسمها ، وجملة اصطفيتك خبر ، وعلى الناس جار ومجرور متعلقان باصطفيتك ، وبرسالاتي جار ومجرور متعلقان باصطفيتك أيضاً ، وجمع الرسالة لأن الذي أرسل به ضروب وأنواع مختلفة ، وبكلامي عطف على برسالاتي ، وقدم الرسالة تنويهاً بالترقي إلى الأشرف ، لأن مكالمته مزية خاصة له ، وأعاد حرف الجر تنويهاً بمغايرة الاصطفاء للكلام (فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) الفاء الفصيحة ، والجملة بعدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة آتيتك صلة « ما » ، وكن من الشاكرين عطف على خذ ، ومن الشاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « كن » (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) الواو استئنافية ، وكتبنا فعل وفاعل ، وله جار ومجرور متعلقان بكتبنا ، وفي

الألواح جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، ومن كل شيء جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ، والمراد ألواح التوراة (موعظة وتفصيلاً لكل شيء) موعظة بدل من محل « من كل شيء » ، لأنه مفعول به كما تقدم ، ويجوز إعراب « موعظة » مفعولاً من أجله ، أي : كتبنا له تلك الأشياء للموعظة والتفصيل ، ولكل شيء جار ومجرور متعلقان بـ « تفصيلاً » أو صفة له (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) الفاء الفصيحة أو عاطفة لمحذوف على كتبنا ، والتقدير : فقلنا خذها ، وخذ فعل أمر ، والهاء مفعول به . وبقوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل خذها، وجملة امر عطف على خذها ، وقومك مفعول به ، ويأخذوا فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ، وخص الأحسن بالأخذ ، وكل ما فيها مطلوب ، مبالغة في التحري وحسن الأخذ واختيار الأسدّ المحكم ، أو ان التفضيل غير مراد كقولهم : الصيف أحر من الشتاء ، أي هو في حرّه أبلغ من الشتاء في برده ،فتفضيل حرارة الصيف على برد الشتاء غير مراد ، فلما أريد بالأحسن المأمور به ــ لكونه أبلغ في الحسن من المنهي عنه في القبح ــ كان اللازم أن لا يجوز الأخذ بالمنهي عنه ، وسأريكم دار الفاسقين جملة مستأنفة مسوقة للتأكيد للأمر بالأخذ بالأحسن والحث عليه ، فهي بمثابة التعليل ، ولا يخفى مافي الالتفات من زيادة في التأكيد والمبالغة للأخذ بالأحسن . أما دار الفاسقين فقيل : هي دار فرعون وأتباعه ، للاعتبار بها ، وقيل : هي غير ذلك ، ولا محل للاجتهاد هنا (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) كلام مستأنف مسوق للتحذير من الاستكبار الصارف للأذهان عن التفكير الحق . وعن آياتي جار ومجرور متعلقان بأصرف ، والذين اسم موصول في محل نصب مفعول

به، وجملة يتكبرون صلة، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيتكبرون، وبغير الحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الذين يتكبرون ، أي : حال كونهم ملتبسين بالدين غير الحقّ (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، ويروا فعل الشرط ، والواو فاعل ، وكل آية مفعول به ، وجملة لا يؤمنوا جواب الشرط ، وبها جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً) عطف على ما تقدّم ، وسبيلاً مفعول به ثان (وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً) عطف على ما سبق أيضاً (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اسم الاشارة في محل رفع أو نصب : فالرفع على أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ، أي : ذلك الصرف بسبب تكذيبهم ، والنصب على أنه بمعنى صرفهم عن ذلك الصرف بعينه ، فجعله مصدراً مفعولاً به ، وعلى كل حال فالجملة ابتدائية لا محل لها ، وجملة كذبوا خبر أن ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا ، وكانوا عطف على كذبوا ، والواو اسم كان ، وعنها جار ومجرور متعلقان بغافلين ، وغافلين خبر كانوا .

البلاغة :

١ ـ الالتفات في قوله : « سأريكم دار الفاسقين » لاسترعاء الاهتمام كما أسلفنا .

٢ ـ الطباق بين سبيل الرشد وسبيل الغيّ . ولما كانت المقابلة بينهما بالسلب ظهر حسنها بصورة واضحة .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ

يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾

اللغة :

(حليهم) : جمع حَلْي كثدي وثُدِيّ ، وأصله حلويّ ، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء وأدغمت في الياء وكسرت اللام لأجل الياء . والحلي اسم لما يتحلى به من الذهب والفضة .

(خُوار) : بضم الخاء كما هي القاعدة الأغلبية في أسماء الأصوات ، إما على وزن فُعال أو فَعيل كزئير .

الاعراب :

(والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة لبيان نمط آخر من عصيانهم وافتئاتهم على الله . واسم الموصول في محل رفع مبتدأ ، وجملة كذبوا بآياتنا صلة ، ولقاء الآخرة عطف على بآياتنا ، وجملة حبطت أعمالهم خبر المبتدأ (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) الهمزة للاستفهام ، المراد به النفي ، ولذلك دخلت بعدها « إلا » ، ويجزون فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، وإلا أداة حصر ، وما اسم موصول

في محل نصب مفعول به ثان ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وجملة يعملون خبر ، ولا أرى داعياً لتقدير محذوف ، كما قال الواحدي ، ونصه : « وهنا لا بد من تقدير محذوف ، أي إلا بما كانوا ، أو على ما كانوا ، أو جزاء ما كانوا » . قلت : والجزاء المقابل أوضح ، فلا داعي لهذا التكلف . (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لسرد نمط آخر من أنماط تجنيهم ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، من عطف قصة على قصة . وقوم موسى فاعل ، ومن بعده جار ومجرور متعلقان باتخذ ، ومن حليهم جار ومجرور متعلقان باتخذ ، أو بمحذوف في موضع الحال ، لأنه لو تأخر لكان صفة ، كما هي القاعدة . وعجلاً مفعول به ، وجسداً بدل ، وأتى بهذا البدل دفعاً لتوهم أنه صورة عجل منقوشة ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وخوار مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب صفة لقوله : « عجلاً » (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً) كلام مستأنف مسوق لتقريعهم على سوء اختيارهم ، وإمعانهم في ركوب متن الشطط . والهمزة للاستفهام الإنكاري ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، والواو فاعل يروا ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا ، وجملة لا يكلمهم خبر ، ولا يهديهم سبيلاً عطف على لا يكلمهم ، وسبيلاً مفعول به ثان ، أو منصوب بنزع الخافض (اتخذوه وكانوا ظالمين) جملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال نشأ من سياق الكلام ، أي : فكيف اتخذوه ؟ والواو عاطفة ، وكان واسمها ، وظالمين خبرها .

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) ﴾.

اللغة :

(سُقط في أيديهم) : اضطربت أقوال أهل اللغة في أصل هذه الكلمة ، وهي تستعمل للندم والتحيّر . فقال أبو مروان اللغوي : قول العرب : سقط في يده مما أعياني معناه . وقال الواحدي : قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن سقط في يده : ندم . وأنه يستعمل في صفة النادم . فأما القول في مأخذه وأصله فلم أر لأحد من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه . وقال الزّجّاج : قوله تعالى : « سُقط في أيديهم » : بمعنى ندموا ، وهذه اللفظة لم تسمع قبل القرآن ، ولم تعرفها العرب في النظم والنثر ، جاهلية وإسلاماً . فلما سمعوه خفي عليهم وجه استعماله ، لأنه لم يقرع أسماعهم ، فقال أبو نواس : « في نشوة قد سقطت منها يدي » وهو العالم النحرير

فأخطأ في استعماله . وعبارة الفراء : يجوز سقط وأسقط ، وترك الهمزة هو الأكثر الأجود ، وسقط بالفتح والبناء للفاعل لغة قليلة ، قال الأخفش : وقد قرىء بها في الشواذ كأنه أضمر الندم ، أي : سقط الندم في أيديهم . وقال المطرزي : سقط في يده مثل يضرب للنادم المتحيّر ، ومعناه ندم . لأن من شأن من اشتد ندمه أن يعضّ يده فتصير يده مسقوطاً فيها ، كأن فاه وقع فيها . هذا وترى مزيداً من القول في هذه اللفظة في باب البلاغة .

الاعراب :

(ولمّا سقط في أيديهم) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مصيرهم بعد ارتكاب جريرتهم . ولما رابطة أو حينية ، وسقط بالبناء للمجهول ، وفي أيديهم قائم مقام نائب الفاعل ، وفي بمعنى على ، أي : على أيديهم (ورأوا أنهم قد ضلوا) عطف على سقط في أيديهم ، وأن وما في حيزها سدت مسدّ مفعولي رأوا ، لأنها بمعنى علموا ، وجملة قد ضلوا خبر أن (قالوا : لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) جملة قالوا لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ، واللام موطئة للقسم ، وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويرحمنا فعل مضارع مجزوم بلم ، ونا مفعول به ، وربنا فاعل مؤخر ، ويغفر الواو حرف عطف ، وجملة يغفر عطف على يرحمنا ، ولنا جار ومجرور متعلقان بيغفر (لنكوننّ من الخاسرين) اللام جواب للقسم ، ونكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، وجملة جواب القسم لا محل لها ، وجملة القسم في محل نصب مقول القول ، ومن الخاسرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر نكونن (ولما رجع

موسى الى قومه غضبان أسفاً) الواو استئنافية ، أو عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، وجملة رجع موسى لا محل لها ، أو في محل جر بالإضافة ، والى قومه جار ومجرور متعلقان برجع ، وغضبان حال أولى ، وأسفاً حال ثانية من موسى (قال بئسما خلفتموني من بعدي) بئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وجوباً هنا خاصة . وما نكرة موصوفة في محل نصب تمييز ، والمعنى خلافة ، وجملة خلفتموني صفة لما ، والمخصوص بالذم محذوف أي : خلافتكم، ومن بعدي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (أعجلتم أمر ربكم) الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريعي ، وعجلتم أي : سبقتم فعل وفاعل، وأمر ربكم مفعول به ، وكلها تتمة مقولهم (وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه) الواو عاطفة ، وألقى عطف على قال ، والمراد هنا استيلاء الغضب ، وأخذ عطف على ألقى ، وبرأس جار ومجرور متعلقان بأخذ ، وأخيه مضاف إليه ، وجملة يجره إليه حال من ضمير موسى المستتر في أخذ ، أي : أخذه جارّاً برأسه إليه (قال ابن أمّ) ابن أمّ اسمان مبنيان على الفتح لتركبهما تركيب الأعداد ، مثل خمسة عشر أو الظروف مثل صباح مساء ، فعلى هذا ليس ابن مضاف لأم بل هو مركب معها ، فحركتهما حركة بناء . وذهب الكوفيون الى أن ابن مضاف لأمّ ، وأمّ مضاف الى ياء المتكلم ، وقد قلبت ألفاً كما تقلب في المنادى المضاف الى ياء المتكلم ، ثم حذفت الألف واجتزيء عنها بالفتحة كما يجتزأ بالياء عن الكسرة ، وحينئذ فحركة ابن حركة إعراب ، وهو مضاف لأمّ ، فهي في محل جر بالإضافة ، وعلى كل فحرف النداء محذوف أي : يا ابن ام ، وانما اقتصر في خطابه على الأم مع أنه شقيقه لأن ذكر الأم أعطف لقلبه (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) الجملة بمثابة التعليل لما عاملوه به . وإن واسمها ، وجملة استضعفوني خبرها ،

وكادوا عطف على استضعفوني ، والواو اسم كاد ، وجملة يقتلونني خبرها (فلا تشمت بي الأعـداء) الفاء الفصيحة ، أي : إذا علمت عذري فلا تسرّ الأعداء بما تفعل بي من المكروه ، وبي جار ومجرور متعلقان بتشمت ، والأعداء مفعول به (ولا تجعلني من القوم الظالمين) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتجعلني فعل مضارع مجزوم بلا ، ومع ظرف مكان متعلق بتجعلني ، والقوم مضاف إليه والظالمين صفة (قال : رب اغفر لي ولأخي) الجملة مستأنفة مسوقة لطلب المغفرة له ولأخيه ، ورب منادى محذوف منه حرف النداء ، واغفر فعل دعاء ، ولي جار ومجرور متعلقان باغفر ، ولأخي عطف على « لي » (وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) عطف على اغفر ، وفي رحمتك جار ومجرور متعلقـان بأدخلنا ، وأنت الواو حالية أو استئنافية ، وأنت مبتدأ ، وأرحم الراحمين خبر .

البلاغة :

الكناية في قوله : « سقط في أيديهم » عن الندم فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عضّ بفمه على أصابعه ، فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم ، فأطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية . وقال الزمخشري : « ولما سقط في أيديهم : ولما اشتد ندمهم ، وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعضّ يده غماً فتصير يـده مسقوطاً فيها لأن فاه قد وقـع فيها » . وقال القطب في شرح الكشاف : إنه عـلى تفسير الزّجّاج استعارة تمثيلية ، لأنه شبه حال الندم في القلب بحال الشيء في اليد ، وقيل : هو على تفسيره ، استعارة بالكناية في الندم بتشبيهه ما يرى في العين .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) ﴾

الاعراب :

(إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) كلام مستأنف ، مسوق لإخبار موسى بما سينالهم بعد هذه الكبائر المتتابعة ، وإن واسمها ، وجملة اتخذوا العجل لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة سينالهم خبر إن ، وغضب فاعل ، ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب ، وذلة عطف على غضب ، وفي الحياة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذلة ، والدنيا صفة للحياة (وكذلك نجزي المفترين) أي : مثل ذلك الجزاء نجزيهم ، وقد تقدمت له نظائر كثيرة (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا) عطف على الذين السابقة أو مبتدأ ، وجملة عملوا السيئات صلة ، ثم تابوا عطف على عملوا ، ومن بعدها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وآمنوا عطف على عملوا (إن ربك من بعدها لغفور

رحيم) إن واسمها ، ومن بعدها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، واللام المزحلقة ، وغفور خبر أول لإنّ ، ورحيم خبر ثان ، والجملة كلها خبر الذين (ولما سكت عن موسى الغضب) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان المبالغة ، ولما رابطة أو حينية ، وقد تكررت مراراً ، وسكت الغضب فعل وفاعل ، وعن موسى جار ومجرور متعلقان بسكت ، وجملة سكت لا محل لها أو في محل جر بالإضافة (أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والواو حالية ، وفي نسختها جرر ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وهدى مبتدأ مؤخر ، ورحمة عطف على هدى ، وللذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وهم مبتدأ ، وجملة يرهبون خبر ، ولربهم جار ومجرور متعلقان بيرهبون ، ودخلت اللام لتقوية المفعول به لأن تأخر الفعل يكسبه ضعفاً ، ونحوه : للرؤيا تعبرون ، وقال الكسائي : إنها زائدة . وقال المبرد : هي متعلقة بمصدر الفعل المذكور ، والتقدير للذين رهبتهم لربهم يرهبون ، وجملة هم لربهم يرهبون صلة .

البلاغة :

في قوله : « ولما سكت عن موسى الغضب » استعارتان :

١ ـ استعارة تصريحية تبعية :

بتشبيه السكون بالسكوت .

٢ ـ استعارة مكنية :

في تشبيه الغضب بإنسان ناطق يغري موسى ويقول له : قل

لقومك كذا وكذا ، وألق الألواح ، وخذ برأس أخيك . ثم يقطع الإغراء ويترك الكلام .

أقسام أخرى للاستعارة :

وقد تقدم القول في الاستعارة ، ونعود هنا فنقول : إن هذه الاستعارة ، وهي إسناد السكوت الى الغضب فيها ، هي استعارة معقول للمشاركة في أمر معقول ، وهي واحدة من خمس للاستعارات : فالمستعار السكوت ، والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، والمعنى « ولما زال عن موسى الغضب » لأن حقيقة السكوت زوال الكلام وحقيقة زوال الغضب عدم ما يدل عليه من الكلام أو غيره في تلك الحال ، وغضب موسى إنما عرف هنالك من قوله : « بئسما خلفتموني من بعدي » فإن هذا الكلام كان مقدمة إلقاء الألواح ، ولما زال الكلام الدال على الغضب ، حسنت استعارة السكوت للغضب ، ولا يلزم من سكوت الغضب حصول الرضا ، فإن موسى لم يرض بمعصيتهم ولا ببقائهم على المعصية حتى تحصل التوبة ، ولهذا أخبر سبحانه عنه بسكوت الغضب دون حصول الرضا ، وهذه الاستعارة ألطف الاستعارات الخمس لأنها استعارة معقول لمعقول للمشاركة في أمر معقول .

الأقسام الأربعة الأخرى :

أما الأقسام الأربعة الأخرى فهي :

٢ ـ استعارة المحسوس للمحسوس للاشتراك في أمر معقول ، وهو الاستعارة المركبة من الكثيف اللطيف ، ومثالها قوله تعالى :

« إذ أرسلنا عليهم الريحَ العقيمَ » فإن المستعار له : الريح ، والمستعار منه : ذات النتاج ، والمستعار العقيم ، وهو عدم النتاج ، والمشاركة بين المستعار لهوالمستعار منه في عدم النتاجوهو شيء معقول.

٣ ـ استعارة المحسوس للمعقول وهي ألطف من المركّبة . ومثالها قوله تعالى : « بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » . فالقذف والدفع مستعاران ، وهما محسوسان ، والحق والباطل مستعار لهما ، وهما معقولان ، ومثله قوله تعالى : « ضُربتْ عليهم الذلة أين ما ثقِفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » فالمستعار الحبل وهو محسوس ، والمستعار له العهد وهو معقول ، والمشاركة بينهما في الاتصال ، لأن العهد يصل بين المعاهد والمسلم كما يصل الحبل بين المرتبطين ، وهو شيء محسوس ، ومن هذا القسم قوله تعالى : « فاصدع بما تؤْمر » ، فالمستعار منه الزجاجة ، والمستعار الصدع وهو الشقّ ، والمستعار له هو عقوق المكلفين ، والمعنى صرّح بجميع ما أوحي إليك ، وبين كل ما أمرت ببيانه ، وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت ، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب ، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التّقبّض والانبساط ، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدوعة من المطروقة في باطنها . يروى أن بعض الأعراب لما سمع هذه اللفظات الثلاث سجد فقيل : لم سجدت ؟ فقال : سجدت لفصاحة هذا الكلام .

٤ ـ استعارة المعقول للمحسوس بالاشتراك في أمر معقول . ومثالها قوله تعالى : « إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية » فالمستعار له كثرة الماء وهي حسيّة ، والمستعار منه التكبر وهو عقلي ، والجامع

الاستعلاء المفرط ، وهو عقلي أيضاً • وستأتي للاستعارة أبحاث أخرى في محلها من هذا الكتاب •

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

اللغـة :

(هدنا) تبنا ورجعنا عن المعصية وجئناك معتذرين منها ، من هاد يهود إذا رجع ، وأصل الهود : الرجوع برفق ، وبه سميت اليهود ، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم ، وبعده صار اسم ذم لازماً لهم أبداً يتّسمون به الى الأبد ، والهود جمع هائد وهو التائب . ولبعضهم:

يا راكب الذّنب هدهد واسجد كأنك هـدهـد

شبه ملازمته للذنب بملازمة الراكب للمركوب ، وشبه الساجد بالهدهد ، لكثرة ما يطرق برأسه الى الأرض .

(الأمي) : نسبة الى الأم ، كأنه باقٍ على حالته التي ولد عليها . والمراد به الذي لا يقرأ الخط ولا يكتب ، وهذا الوصف مما اختصّ به محمد صلى الله عليه وسلم ، ويجوز أن تكون نسبته الى الأمة ، وهي أمة العرب ، وذلك لأن العرب لا تحسب ولا تكتب ، ويجوز أن يكون نسبة الى الأم مصدر أمّ يؤمّ ، أي قصد يقصد ، والمعنى على هذا : أن هذا النبي العربي الكريم مقصود لكلّ أحد ، فإن قيل : كان ينبغي أن يقال في النسبة أَمّيّ بفتح الهمزة ، قلنا إنه من تغيير النسب . وسيأتي مزيد من هذا الوصف في باب الفوائد .

(الإصر) : الثقل الـذي يأصر صاحبه ، أي يحبسه عن الحركة

لثقله . والمراد بالإصر هنا العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل أن يعملوا بأحكام التوراة .

(الأغلال) : جمع غلّ ، والغل بالضمّ طوق من حديد يجعل في العنق .

الاعراب :

(واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا) كلام مستأنف مسوق لسرد قصة الذين لم يعبدوا العجل ، وقد أمره الله باختيار سبعين منهم . والتفاصيل في المطوّلات . واختار موسى فعل وفاعل ، وقومه منصوب بنزع الخافض ، أي من قومه ، فحذف الجار وأوصل الفعل ، وسبعين مفعول به لاختار ، وقد تقدم حديث الأفعال التي تعدت الى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بوساطة حرف الجر ، وهي مقصورة على السماع ، وهي : اختار واستغفر وأمر وكنى ، ودعا وزوج وصدق ، ثم يحذف حرف الجر ويتعدى إليه الفعل ، فتقول : اخترت زيداً من الرجال ، واخترت زيداً الرجال ، قال الشاعر :

اخترتُكَ الناسَ إذْ رثّتْ خلائقُهم
واعتلّ من كان يُرجى عنده السؤلُ

ورجلاً تمييز ، لميقاتنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال : أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه للاعتذار عن عبادة العجل (فلما أخذتهم الرجفة) الفاء عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، وقد تقدم إعرابها كثيراً ، وأخذتهم الرجفة فعل ومفعول به وفاعل (قال : ربّ لو شئت

أهلكتهم من قبل وإياي) جملة القول مستأنفة لبيان ما قاله موسى ، وجملة النداء في محل نصب مقول القول ، ولو شرطية ، وشئت فعل وفاعل ، والمفعول به محذوف ، أي لو شئت إهلاكهم ، وأهلكتهم فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بأهلكتهم ، وإياي ضمير منفصل معطوف على الهاء (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) الاستفهام هنا معناه النفي مع الاستعطاف ، أي : لا يمكن أن تعذبنا بما فعل غيرنا . وللمبرد عبارة جميلة قال : « والمراد بالاستفهام استفهام الإعظام ، كأنه يقول ، وقد علم موسى أنه لا يهلك أحد بذنب غيره ، ولكنه من وادي قول عيسى : « إن تعذبهم فانهم عبادك » . وتهلكنا فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وبما جار ومجرور متعلقان بتهلكنا ، وما موصولة أو مصدرية ، أي بسبب الذي فعله السفهاء أو بسبب فعل السفهاء ، ومنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (إن هي إلا فتنتك) إن نافية ، وهي مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وفتنتك أي : ابتلاؤك خبر (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) الجملة حالية ، أي : مضلاً بها وهادياً ، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وكذلك « من » الثانية (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) أنت مبتدأ ، وولينا خبر ، فاغفر الفاء الفصيحة ، واغفر فعل أمر للدعاء ، ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر ، وارحمنا عطف على اغفر ، وأنت الواو حالية أو استئنافية ، وأنت مبتدأ ، وخير الغافرين خبر (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) واكتب عطف على فاغفر ، ولنا جار ومجرور متعلقان باكتب ، وفي هذه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وحسنة مفعول به ، وفي الآخرة عطف على « في هذه الدنيا » ، واكتفى بالمفعول الأول ، أي : وفي الآخرة حسنة (إنا هدنا إليك) الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل

الدعاء ، لأن ذلك مما يوجب قبوله • وإن واسمها ، وجملة هدنا إليك خبر إن (قال عذابي أصيب به من أشاء) الجملة مستأنفة مسوقة لمعرفة جواب الله • وعذابي مبتدأ ، خبره جملة أصيب ، وإما خبر لمبتدأ محذوف ، وجملة أصيب حالية ، وبه جار ومجرور ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة أشاء صلة (ورحمتي وسعت كل شيء) عطف على الجملة السابقة (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الفاء استئنافية، والجملة مستأنفةمسوقة للتعريض بقومه،والسين حرف استقبال .واكتبها فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وللذين جار ومجرور متعلقان بأكتبها ، وجملة يتقون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة ويؤتون الزكاة عطف على جملة يتقون (والذين هم بآياتنا يؤمنون) والذين عطف على الذين السابقة ، وهم مبتدأ ، وجملة يؤمنون خبر ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بيؤمنون ، والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة الموصول (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) الذين نعت للذين أو بدل منه ، وجملة يتبعون صلة الموصول ، والرسول مفعول به والنبي صفة أولى والأمي صفة ثانية ، والذي صفة ثالثة ، وجملة يجدونه لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ومكتوباً مفعول به ثان ليجدونه ، وعندهم ظرف متعلق بـ « مكتوباً » ، وفي التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) الجملة حالية ، وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بيأمرهم ، وينهاهم عن المنكر عطف على الجملة السابقة (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) عطف على ما تقدم (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) عطف أيضاً ، وإصرهم مفعول به ، والأغلال عطف على إصرهم ، والتي نعت للأغلال ، وجملة كانت عليهم صلة ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانت (فالذين

آمنوا به وعزّروه ونصروه) الفاء : استئنافية ، والذين مبتدأ ، وجملة آمنوا صلة ، وبه جار ومجرور متعلقان بآمنوا ، وعزروه ونصروه معطوفان على آمنوا (واتبعوا النور الذي أنزل معه) واتبعوا عطف أيضاً ، والنور مفعول به ، والذي نعت ، وجملة أنزل صلة ، ومعه ظرف مكان متعلق بأنزل (أولئك هم المفلحون) الجملة الاسمية خبر اسم الموصول ، واسم الاشارة مبتدأ ، وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان ، والمفلحون خبر أولئك ، أو خبر « هم » ، والجملة الاسمية خبر أولئك .

الفوائد :

معنى الأُميّ :

تكلمنا في باب اللغة بإسهاب عن معنى الأمّيّ ، وتتساءل الآن مع المتسائلين : هل كان النبي يعرف القراءة والكتابة ؟ أما أكثر المستشرقين فيقولون : إن كلمة « أُمّيّ » التي وصف بها النبي غامضة ، ولا تدل دلالة قاطعة على أنه لم يكن يعرف القراءة ، ويرجحون أن تكون نسبة إلى كلمة أمّة ، كما ذكرنا ذلك في حينه .

أراجيف دائرة المعارف الاسلامية :

أما دائرة المعارف الإسلامية فتثير إشكالاً آخر ، وهو أنه ورد في سورة العنكبوت الآية : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » قالت : « وهي تدل على أنه تعلم القراءة في الكبر ، أي : بعد نزول القرآن ، وإن كان التعبير غامضاً » . وواضح أن التعبير ليس غامضاً ، ولكن التخريج الذي خرّجته الدائرة

فاسد ؛ فلفظ الآية صريح كل الصراحة ، واضح كل الوضوح ـ كما سيأتي في حينه ـ وهو يدل ، بلا لبس ، على أن أهل مكة عرفوا قبل نزول الوحي عليه أنه لم يكن يتلو كتاباً ، ولا يكتب بيمينه ، ولو أنه كان كذلك إذن لارتاب المبطلون بأن يذكروا أنه كان يخلو الى نفسه ، فيكتب القرآن ويعدّه ، ثم يخرج للناس فيتلوه عليهم •

وآية أخرى أوردتها دائرة المعارف الإسلامية وهي : « وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » ولا يفهم من هذه الآية شيء مما أريد حمله عليها ، إذ أنها تدل ببساطة على أن كفار قريش كانوا يدّعون أن رسول الله يكتب ما يملى عليه من أساطير الأولين ، وليس كل ما يدعي الكفار صواباً ، بل هذا هو هجوم صريح وافتئات واضح يقصد منه التجريح وإضعاف شأن القرآن • ولعلّ القرآن نفسه تولى الكشف عن هذه الأراجيف في الآية السابقة لها وهي : « وقال الذين كفروا إنْ هذا إلا إفكٌ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً ، وقالوا : أساطيرُ الأولينَ اكتتبها فهي تملى عليه بُكرةً وأصيلاً ، قل : أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً » •

الباجه جي ودعوى عدم الأمّيّة :

وليست دائرة المعارف الإسلامية وغيرها من كتب المستشرقين وحدها التي تحاول اثارة هذه الشبهات ، فقد تناثرت في كتب المسلمين إشارات تلمح الى هذا الموضوع ، فقد ذكر ابن كثير : « ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجيّ ومن تابعه أن النبي عليه السلام كتب يوم الحديبية : « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله » ،

فإنما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : « ثم أخذ فكتب » ، وهذه محمولة على الرواية الأخرى : « ثم أمر فكتب » ، ولهذا اشتد النكير على من قال بقول الباجيّ ، وتبرءوا منه ، وأنشدوا في ذلك أقوالاً وخطبوا به في محافلهم . على أن القول الفصل في هذا ما ورد في القرآن نفسه ، فقد أكد في مواضع كثيرة أن القرآن أُنزل على قلب رسول الله ، وأنه كُلّف بحفظه ، وبأن يحفظه المسلمون لا أن يكتبوه، « فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدّقاً لما بين يديه » ، وإذن فلم يكن النبي يكتب ما يوحى إليه ، ولا نعلم على وجه دقيق كيف كان يكتب القرآن في العهد المكي .

قصة إسلام عمر :

ولكننا نذكر الرواية الشائعة التي تقصّ إسلام عمر بن الخطاب أنه وجد في يد أخته فاطمة صحيفة فيها آيات من القرآن ، وعلى الرغم من أن هناك روايات أخرى تهمل قصة فاطمة وما حدث بينها وبين عمر ، إلا أن من الممكن أن نعتمد عليها في أن نعلم أنه كانت هناك صحف تكتب فيها أجزاء من القرآن ، سواء أكانت هذه الصحف عند فاطمه أخت عمر أو عند غيرها . وكلمة صحيفة لا تدل على الورق الذي نعرفه اليوم ؛ ولكنها — على كل حال — شيء خفيف الحمل يكتب عليه في سهولة . وقد وردت في القرآن كلمة صحيفة ، مثل قوله تعالى : « في صحف مكرّمة مرفوعة مطهرة » . على أن الحفظ كان أساس العلم بالقرآن ، وليست التلاوة من صحف مسطورة ، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم .

هذا وسيرد المزيد من هذا المبحث الدقيق في مواضيع معينة من هذا الكتاب •

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

اللغــة :

(أسباطاً) : جمع سبط ، وهو ولد الولد ، فهو كالحفيد • هذا هو المفهوم اللغوي ، وتخصيص السبط بولد البنت والحفيد بولد الابن

أمر عرفي • وفي القاموس وغيره : ولد الولد ، ويغلب على ولد البنت ، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن • والسبط من اليهود بمنزلة القبيلة من العرب •

(انبجست) : في المصباح : بَجَسَ الماء بَجْساً من باب قتل بمعنى فجرته فانفجر • وقال غيره : الانبجاس هو الانفتاح بسعة وكثرة، قال العجاج :

وانحلبتْ عينـاهُ من فرط الأَسى

وَكِيفَ غَرْبَيْ دالـجٍ تَبَجَّسَا

والوَكِيفُ : مصدر نصب بانحلبت ، لأن معنـاه وكفت ، والغَرْب الدلو العظيمة ، والدالج من يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض ، يقول : انصبّتْ دموع عينيه من شدة الحـزن كانصباب دلوَيْ رجـل مفرغ لهمـا في الحوض ، تفجّرا بسعة ، وفيه تشبيه العينين بالغَرْبَـيْنِ •

(المن) : هو التَّرَنْجَبِين ، وهو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج ، من الفجر الى طلوع الشمس ، فيأخذ كل إنسان صاعاً •

(السلوى) : هو الطير السُّمَانَى بتخفيف الميم المقصورة والقصر بوزن حبارى ، وهو نوع من الطيور القواطـع ، للواحد والجمع ، وقيل : الواحدة سُمَاناة ، وهو المعروف عندنا بالفري ، ويسمى أيضاً السلوى ، ويجمع على سُمَانَيَات •

الاعراب :

(قل : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) كلام مستأنف مسوق لتوجيه الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم . وجملة النداء في محل نصب مقول القول ، وقد تقدم إعرابها ، وإن واسمها ، ورسول الله خبرها ، وإليكم جار ومجرور متعلقان برسول ، وجميعاً حال من ضمير إليكم (الذي له ملك السموات والأرض) اسم الموصول نعت لله ، ويجوز أن تقطعه فترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم ، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (لا إله إلا هو) هذه الجملة لا محل لها لأنها بدل من الصلة قبلها ، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلة مع اختلاف الآراء (يحيي ويميت) الجملة بدل أيضاً فلا محل لها (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته) الفاء الفصيحة ، وآمنوا فعل أمر ، وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ، ورسوله عطف على الله ، والنبي صفة ، وكذلك الأميّ ، وكذلك وجملة يؤمن بالله لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وكلماته عطف على الله ، والمراد بها ما أنزل عليه (واتبعوه لعلكم تهتدون) عطف على آمنوا ، ولعل واسمها ، وجملة تهتدون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) الواو استئنافية ، ومن قوم موسى جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم ، وأمة مبتدأ مؤخر ، وجملة يهدون بالحق صفة لحكاية الحال الماضية ، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : ملتبسين بالحق ، وبه جار ومجرور متعلقان بيعدلون (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً) الواو عاطفة ، وقطعناهم فعل وفاعل ومفعول به ،

واثنتي عشرة حال من مفعول قطعناهم ، أي : فرقناهم معدودين بهذا العـدد ، وجوز الزمخشري وأبو البقاء أن يكون قطعناهـم بمعنى صيرناهم ، فيكون اثنتي عشرة مفعولاً به ثانياً ، وأسباطاً بـدل من اثنتي عشرة ، أي فرقة . قال أبو إسحق الزّجاج : ولا يجوز أن يكون تمييزاً ، لأنه لو كان تمييزاً لكان مفرداً . وسيأتي مزيد من القول فيه في باب الفوائد . وأمماً بدل من « أسباطاً » ، فهو بدل من البدل وهو الأسباط (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه) عطف على قطعناهم ، والى موسى جار ومجرور متعلقـان بأوحينا ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بأوحينا أيضاً، وجملة استسقاه قومه في محل جر بالإضافة، واستسقاه قومه فعل ومفعول به وفاعل (أن اضرب بعصاك الحجر) يجوز أن تكون « أن » هي المفسرة للإيحاء ، لأن فيه معنى القول دون حروفـه ، وأن تكون المصدرية ، وقد تقدم نظـيرها ، وبعصاك جار ومجرور متعلقان باضرب ، والحجر مفعول به (فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً) الفـاء الفصيحـة ، أي : فضرب فانبجست ، ومنه جار ومجرور متعلقان بانبجست ، واثنتا عشرة فاعل انبجست ، وعيناً تمييز (قد علم كل أناس مشربهم) الجملة مستأنفة لا محل لها ، وقد حرف تحقيق ، وعلم كل أناس فعل وفاعل ، وأناس مضاف إليه ، وهو اسم جمع ، واحده إنسان ، وقيل : هو جمع تكسير له ، ومشربهم مفعول به (وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى) وظللنا فعل وفاعل ، وعليهم جار ومجرور متعلقـان بظللنا ، والغمام مفعول به ، أنزلنا عطف على ظللنا ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بأنزلنا والمن مفعول به ، والسلوى عطف على المنّ (كلوا من طيبات ما رزقناكم) جملة كلوا في محل نصب مقول قول محذوف ، أي : وقلنا ، وكلوا فعل أمر ، والواو فاعل ، ومن طيبات جار ومجرور متعلقان بكلوا ،

وما اسم موصول في محل جر بالإضافة لطيبات ، وجملة رزقناكم لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الواو استئنافية ، وما نافية ، وظلمونا فعل وفاعل ومفعول به ، والواو حالية ، ولكن مهملة مخففة ، وكان واسمها ، وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون ، وجملة يظلمون في محل نصب خبر كانوا .

الفوائد :

بين الزمخشري وأبي حيان :

قال الزمخشري : فإن قلت مميز ماعدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعاً ؟ وهلاّ قيل : اثني عشر سبطاً ؟ قلت : لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً ، لأن المراد : وقطّعناهم اثنتي عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط لا سبط ، فوضع « أسباطاً » موضع « قبيلة » ، ونظيره : « بين رماحي مالك ونهشل » .

وردّ أبو حيّان هذا التنظير بقوله : ليس نظيره ، لأن هذا من تثنية الجمع ، وهو لا يجوز إلا في الضرورة . وكأنه يشير الى أنه لو لم يلحظ في الجمع كونه أريد به نوع من الرماح لم يصح تثنيته ، كذلك هنا ، لحظ الأسباط ـ وإن كان جمعاً ـ معنى القبيلة ، فميز به كما يميز بالمفرد » :

رأي الحوفي :

وقال الحوفيّ : « يجوز أن يكون على الحذف ، والتقدير : اثنتي عشرة فرقة ، ويكون « أسباطاً » نعتاً لفرقة ، ثم حذف الموصوف

وأقيمت الصفة مقامه » . ونظير وصف التمييز المفرد بالجمع مراعاة للمعنى قول عنترة .

فيها اثنتان وأربعون حَلُوبةً سوداً كخافية الغراب الأَسحمِ

ولم يقل سوداء .

رأي التّوضيح والتّصريح :

وفي التوضيح والتصريح : « وأما قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » فـ « أسباطاً » ليس تمييز لأنه جمع ، وإنما هو بدل من « اثنتي عشرة » بدل كلّ من كلّ ، والتمييز محذوف ، أي : اثنتي عشرة فرقة ، ولو كان « أسباطاً » تمييزاً عن اثنتي عشرة لذكر العددان ولقيل : اثني عشر ، بتذكيرهما وتجريدهما من علامة التأنيث ، لأن السبط ـ واحد الأسباط ـ مذكر .

رأي ابن مالك :

وزعم ابن مالك في شرح الكافية أنه لا حذف ، وأن « أسباطاً » تمييز ، وإن ذكرا مما رجح حكم التأنيث في « أسباطاً » لكونه وصف بـ « أمماً » ، جمع أمة ، كما رجحه أي التأنيث في « شخوص » ذكر « كاعبان ومعصر » في قول عمر بن أبي ربيعة :

فكـــان مجنّي دون من كنت أتّقي

ثلاث شخوص كاعبـــان ومعصـــر

وكان القياس « ثلاثة شخوص » ، لأن الشخص مذكر ، ولكنه

لما فسره بكاعبان ومعصر ـ وهما مؤنثان ـ رجح تأنيثه ، وما ذكره الناظم في الآيـة مخالف لما قاله في شرح التسهيـل : إن « أسباطاً » بدل لا تمييز » •

هذا القول بالبدلية من اثنتي عشرة مشكل على قولهم : إن المبدل منه في نية الطرح غالباً ، ولو قيل : وقطعناها أسباطاً ، لفاتت فائدة كمية العدد ، وحمله على غير الغالب ، ولا يجوز تخريج القرآن عليه • والقول بأنه تمييز مشكل على قولهم : إن تمييز العدد المركب مفرد ، و « أسباطاً » جمع ، وقال الحوفي « يجوز أن يكون « أسباطاً » نعت لفرقة ، ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، و « أمماً » نعت لـ « أسباطاً » وأنث العدد وهو واقع على الأسباط وهو مذكر ، لأنه بمعنى فرقة وأمة ، كقوله : ثلاثة أنفس ، يعني رجالا » اهـ • فارتكب الوصف بالجامد ، والكثير خلافه • وذهب الفراء الى جواز جمع التمييز ، وظاهر الآية يشهد له •

٢ ـ حكم العدد المركب :

«أحد عشر » الى « تسعة عشر » مبني ، إلا اثني عشر ، وحكم آخر شطريه حكم نون التثنية ، ولذلك لا يضاف إضافة أخواته ، فلا يقال : هذه اثنا عشرك ، كما قيل : هذه أحد عشرك • أما « اثنا عشر » فإن الأسم الأول معرب ، لأن الاسم الثاني حلّ منه محل النون ، فجرى التغيير على الألف مع الاسم الذي بني معه ، كما جرى التغيير عليها مع النون ، وتقول في تأنيث هذه المركبات : إحدى عشرة واثنتا عشرة أو ثنتا عشرة وثلاث عشرة وثماني عشرة ، تثبت علامة التأنيث في أحد الشطرين لتنزلهما منزلة شيء واحد ، وتعرب اثنتين كما أعربت الاثنين•

وشين العشرة يسكّنها أهل الحجاز ويكسرها بنو تميم . والعرب على فتح الياء ، « ثماني عشرة » ومنهم من يسكّنها .

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وإذ قيل لهم : اسكنوا هذه القرية) الواو عاطفة ، والظرف متعلق باذكر محذوفاً ، وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف اليها ، ولهم جار ومجرور متعلقان بقيل ، وجملة اسكنوا في محل نصب مقول القول ، وهذه اسم إشارة في محل نصب مفعول به على السعة ، والقرية بدل . وقد مرت هذه الآية بلفظها مع تغيير قليل في البقرة . ولا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض ، ولا تناقض بين قوله : « اسكنوا هذه القرية وكلوا منها » وبين قوله : « فكلوا » لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها . وسواء قدموا الحطّة على دخول الباب أو أخّروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما . وترك ذكر الرغد لا يناقض

بإثباته (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطـّة) تقدم إعرابها في البقرة ، فجدد به عهداً ، وحطة قلنا إنها خبر لمبتـدأ محذوف ، أي : مسألتنا حطة ، أي : أن تحطّ عنا خطايانا (وادخلوا الباب سجـّداً نغفر لكم خطيئاتكم) تقدم إعرابها في سورة البقرة أيضاً فلا داعي للإعادة .

(سنزيد المحسنين) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به (فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم) الفاء عاطفة ، وبدل الذين فعل وفاعل ، وجملة ظلموا صلة الموصول لا محـل لها ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وفي الكلام حذف ، والمحذوف هو المفعول الثاني لبدّل ، وتقديره : بالذي قيل لهم ، وقولاً مفعول به ، وغير صفة والذي اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وجملة قيل لهم صلة لا محل لها ، أي قالوا : حبة بدل حطـّة ، ولا داعي لهم الى ذلك إلا قصد السخرية من موسى وإغاظته (فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون) فأرسلنا عطف على فبدّل ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وبما جار ومجرور متعلقـان بأرسنا ، الباء سببية ، وما اسم موصول أو مصدرية ، وكانوا كان واسمها ، وجملة يظلمون خبرها .

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا

مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

اللغـة :

(حاضرة البحر) مجاورة له ، وقريبة منـه ، وراكبة لشاطئه . واختلف في هذه القرية فقيل : هي أيلة ، وقيل : مدين ، وقيل : طبريا . والعرب تسمي المدينة قرية . وعن أبي عمـرو بن العـلاء : ما رأيت قرويّين أفصح من الحسن والحجاج . يعني رجلين من أهل المدن . وفي ضمن هذا السؤال فائدة جليلة ، وهي تعريف اليهود بأن ذلك مما يعلمه رسول الله ، وأن اطلاعه لا يكون إلا بإخبار من الله سبحانه ، فيكون دليلاً على صدقه .

(يعدون) : يعتدون أو يتجاوزون .

(سبتهم) السبت : مصدر سبتت اليهود إذا عظّمت سبتها بترك الصيد والاشتغـال بالتعبد . والسبت في اللغة : القطـع . فكأنهم باختيارهم يوم السبت عيداً قد اختاروا ما فيه قطيعتهم . يقال : سبتوا سبتاً من باب ضرب ، وأسبتوا بالألف لغة فيه .

(شرّعاً) : جمع شارع ، من شرع عليه إذا دنا وأشرف ، أي : تأتيهم ظاهرة على وجه الماء ، طافية فوقه ، قريبة من الساحل .

(بئيس) : شديد ، فعيل من بؤس يبؤس إذا اشتد .

(عتوا) تكبّروا .

(خاسئين) : صاغرين .

الاعراب :

(واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الواو عاطفة ، واسألهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ، وعن القرية جار ومجرور متعلقان باسألهم ، والتي اسم موصول نعت للقرية ، وجملة كانت لا محل لها لأنها صلة الموصول ، واسم كانت مستتر ، أي : هي ، وحاضرة البحر خبر كانت (إذ يعدون في السبت) إذ ظرف متعلق بالمضاف المحذوف والذي تقديره : عن حال القرية ويعدون فعل مضارع وفاعله والجملة في محل جر بالاضافة (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم)الظرف بدل من الظرف السابق أو متعلق بيعدون أي إذ عدوا في السبت إذ أتتهم وجملة تأتيهم في محل جر بالإضافة ، وحيتانهم فاعل تأتيهم ، وشرعاً حال من حيتانهم ، ويوم عطف على إذ ، وجملة لا يسبتون في محل جر بالإضافة (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) الكاف ومجروره في موضع نصب على أنه مفعول مطلق ، أي : مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ، ويجوز أن يكون حالاً ، أي : لا يأتي مثل ذلك الإتيان ، والأول أرجح . والباء سببية ، وما مصدرية ، أي : نبلوهم بسبب فسقهم ، وجملة يفسقون

خبر كانوا (وإذ قالت أمة منهم) عطف على إذ يعدون ، وحكمه حكمه في الإعراب ، أي : بدل من المحذوف ، وهو حال القرية وخبرها أو أهلها ، وجملة قالت في محل جر بالإضافة ، وأمة فاعل ، ومنهم : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأمة (لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً) اللام حرف جر ، وما الاستفهامية حذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها ، وقد تقدم بحثها ، والعلة في هذا الحذف الفرق بين الاستفهام والخبر ، والجار والمجرور متعلقان بتعظون ، وقوماً مفعول به لتعظون ، والله مبتدأ ، ومهلكهم خبر، والجملة الاسمية صفة « قوماً » ، وأو حرف عطف ، ومعذبهم عطف على مهلكهم ، وعذاباً مفعول مطلق ، وشديداً صفة (قالوا : معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) جملة القول مستأنفة ، مسوقة لبيان جوابهم . ومعذرة : قرأ حفص وحده بالنصب . وفيه ثلاثة أوجه قوية : الأول أنها مفعول لأجله ، أي : وعظناهم لأجل المعذرة . والثاني أنها منتصبة نصب المصدر بفعل مقدر من لفظها ، أي : نعتذر معذرة . والثالث أنها منتصبة انتصاب المفعول به ، لأن المعذرة تتضمن كلاماً ، والمفرد المتضمن لكلام إذا وقع بعد القول نصب نصب المفعول به ، كقلت خطبة . وقرأ العامة برفع معذرة . قال سيبويه في اختياره الرفع : لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً ، ولكنهم قيل لهم : لم تعظون ؟ فقالوا موعظتنا معذرة . والمعذرة بمعنى الاعتذار ، وهو التنصّل من الذنب . والى ربكم جار ومجرور متعلقان بمعذرة ، ولعل واسمها ، وجملة يتقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (فلما نسوا ما ذكّروا به) الفاء استئنافية ، ولما رابطة أو حينية ، وجملة نسوا لا محل لها أو في محل جر بالإضافة ، ونسوا فعل وفاعل ، وما مفعول به ، وجملة ذكروا بالبناء للمجهول لا محل لها لأنها صلة ، والواو نائب فاعل ، وبه جار

ومجرور متعلقان بذكروا (أنجينا الـذين ينهون عن السوء) جملة أنجينا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والذين مفعول به ، وجملة ينهون صلة الموصول ، وعن السوء جـار ومجرور متعلقـان بينهون (وأخذنا الذين ظلموا) عطف على ما تقدم (بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) بعذاب جار ومجرور متعلقان بأخذنا ، وبئيس صفة لعذاب ، بما الباء حرف جر للسبب ، أي : بسبب فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم : كونوا قردة خاسئين) الفاء عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، وعما جار ومجرور متعلقان بعتوا ، وجملة قلنا لا محل لها ، وجملة كونوا في محـــل نصب مقول القول ، وقردة خبر كونوا ، وخاسئين صفة .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ

عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

اللغـة :

(تأذّن) : عزم ، تفعّل من الإيذان ، أي الإعلام ، لأن العازم على الأمر يحدّث نفسه به ويؤذنها به • قالوا : وأجري مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم • قال الواحدي: وأكثر أهل اللغة على أن التأذّن بمعنى الإيذان وهو الإعلام • وقيل : إن معناه حتم وواجب • وفي القاموس : تأذن أقسم •

(عرض) بفتحتين مالا ثبات له ، ومنه استعار المتكلمون العرض لمقابل الجوهر • وقال أبو عبيدة : العرض بالفتح جميع متاع الدنيا غير النقدين ، وبالسكون المال والقيم ، ومنه : « الدنيا عرض حاضر ، وظلّ زائل » • وفسره الزمخشري بالحطام وقال : « أي حطام هذا الشيء الأدنى ، يريد الدنيا وما يتمتع به منها • وفي قوله : هذا الأدنى تخسيس وتحقير • والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب ، لأنه عاجل قريب ، وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها • والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة » • وقد اجتمع المعنيان في بيت لأبي الطيب :

لولا العقولُ لكـان أدنى ضَيْغَمٍ

أدنى إلى شَـرَفٍ مـن الإنسانِ

فأدنى الأولى بمعنى أقل وأحقر ، وأدنى الثانية بمعنى أقرب .

الاعراب :

(وإذ تأذّن ربك) الظرف منصوب عـلى المفعولية بفعل مقدر معطوف على واسألهم ، والتقدير : واذكر وقت أن تأذّن ربك ، وجملة تأذّن في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وربك فاعل (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) اللام جواب القسم المفهوم من فعل تأذن ، ويبعثن فعل مضارع مبني عـلى الفتح ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيبعثنّ أو بتأذّن ، ومن اسم موصول مفعول يبعثن ، وجملة يسومهم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وسوء العذاب مفعول به ثان ليسومهم (إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جملة إن واسمها وخبرها تعليلية لا محل لها ، وجملة وإنه لغفور رحيم عطف عليهـا ، واللام المزحلقة (وقطعناهم في الأرض أمماً) الواو عاطفة ، وقطّعناهم فعل وفاعل ومفعول به ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بقطعناهم ، وأمماً حال ، أو مفعول به ثان ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) الجملة صفة لـ « أمماً » ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم . والصالحون مبتدأ مؤخر ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم أيضاً ، ودون ظرف متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر ، والمعنى : ومنهم ناس منحطّون عن الصلاح ، ومثله

قوله تعالى : « وما منا إلا له مقام معلوم » ، أي : وما منا أحد إلا له مقام ؛ فحذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه ، كقولهم : منّا ظعن ومنا أقام (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) وبلوناهم عطف على قطعناهم ، وبالحسنات جار ومجرور متعلقان ببلوناهم ، والسيئات عطف على الحسنات ، ولعل واسمها ، وجملة يرجعون خبرها (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) الفاء عاطفة ، وخلف فعل ماض ؛ ومن بعدهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وخلف فاعل، والخلف ـ بسكون اللام وفتحها ـ من يخلف غيره ، وجملة ورثوا الكتاب صفة لخلف (يأخذون عرض هذا الأدنى) الجملة صفة ثانية ، وعرض مفعول يأخذون ، هـذا مضاف إليه ، والأدنى بدل من اسم الإشارة (ويقولون : سيغفر لنا) يجوز في الواو أن تكون عاطفة على ما قبلها أو حالية ، وجملة سيغفر لنا في محل نصب مقول القول (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو حالية ، أي : والحال انهم إن يأتهم ؛ ويجوز أن تكون للاستئناف ، وإن شرطية ، ويأتهم فعل الشرط، والهاء مفعول به ، وعرض فاعل ، ومثله صفة ، ويأخذوه جواب الشرط وعلامة جزمه حذف النون (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) الهمزة للاستفهام التقريري ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويؤخـذ فعـل مضارع مجزوم بلم ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيؤخذ ، وميثاق الكتاب نائب فاعل (أن لا يقولوا على الله إلا الحق) أن مصدرية ، وهي مع مافي حيزها مصدر محله الرفع على البدلية من ميثاق ، لأن قول الحق هو ميثاق الكتاب ، أو النصب على أنه مفعول من أجله ، ومعناه لئلا يقولوا ، ويجوز أن تكون « أن » مفسرة لميثاق الكتاب ، لأنه في معنى القول دون حروفه ، و « لا » عندئذ ناهية ، ويقولوا فعل مضارع مجزوم بها ، أما على أنها مصدرية فـ « لا » نافية ، والفعل

منصوب بأن المصدرية ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولوا ، وإلا أداة حصر ، والحق يجوز أن يكون مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً ، أي : القول الحق (ودرسوا مافيه) الواو عاطفة ، ودرسوا فعل ماض معطوف على « ألم يؤخذ عليهم » ، كأنه قيل : أخذ عليهم ميثاق الكتاب ، ودرسوا ما فيه ، وما مفعول درسوا ، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) الواو استئنافية أو حالية ، والدار مبتدأ ، والآخرة صفة ، وخير خبر الدار ، وللذين جار ومجرور متعلقان بخير ، وجملة يتقون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة على محذوف ، وقد تقدمت له نظائر ، ولا نافية ، وتعقلون عطف على هذا المحذوف (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مزية الصلاة وإنافتها في الفضل (إنا لا نضيع أجر المصلحين) الجملة خبر الذين أو تجعلها اعتراضية فيكون الخبر محذوفاً تقديره مأجورون . وإن واسمها ، ولا نافية ، وجملة لا نضيع أجر المصلحين خبر إن ، ونعيد إعرابها لرسوخها في الذهن ، فالذين مبتدأ و جملة يمسكون بالكتاب صلة الذين لا محل لها ، وجملة وأقاموا الصلاة معطوفة على الصلة ، وجملة إنا لا نضيع أجر المصلحين خبر المبتدأ ، و الرابط بينهما إعادة المبتدأ بمعناه ، فإن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب ، بالعطف على الذين يتقون ولئن سلم فالرابط العموم لأن المصلحين أعمّ من المذكورين ، أو ضمير محذوف ، أي منهم .

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ

خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾

اللغــة :

(نتقنا) : نتق قلع ورفع ، ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه . هــذا وقد اختلفت عبارات أهــل اللغة في النتق ، فقال أبو عبيدة: هو قلع الشيء من موضعه والرمي ، ومنه نتق ما في الجراب: إذا نفضه فرمى ما فيه ، وامرأة ناتق ومنتاق : إذا كانت كثيرة الولادة . وفي الحديث : « عليكم بزواج الأبكار ، فإنهن أنتق أرحاماً ، وأطيب أفواهاً ، وأرضى باليسير » . وقيل : النتق : الجذب بشدة ، ومنه نتقت السقاء إذا جذبته بشدة لتقتلع الزبد من فمــه . وقال الفراء : هو الرفع . وقال ابن قتيبة : هو الزعزعة . على أن هذه الاختلافات ترجع الى معنى واحد . والذي يلفتت النظر هو أن النون والتاء متى استعملا فاء وعيناً للكلمة ، فإن المعنى يحوم حول النزع والقلع والإخراج ، وسنعرض كعادتنا ، تركيب هذين الحرفين ، فمن ذلك نتأ بمعنى رمى ،

ونتأ ثدي الجارية بمعنى برز ونهد ، ونتأ الشيء : خرج من موضعه من غير أن ينفصل ، ونتجت الناقة : وضعت ولدها ، ومن المجاز : الريح تنتج السحاب ، قال الراعي :

أربَّت بها شهريَّ ربيع عليهم جنائبُ ينتجن الغمامَ المتاليا .

وفي المثل : « إن العجز والتواني تزاوجا فأنتجا الفقر » . وهذه المقدمة لا تنتج نتيجة صادقة إذا لم تكن لها عاقبة محمودة ، ونتح العَرَقُ من مَنَاتِحه ، ورشح من مراشحه ، ونتختُ الشوكةَ من رجلي بالمِنتاخ : : أي بالمِنقاش ، ونتخَ البازي اللحم بمِنْسره ، ونتخ فلان من أصحابه نزع منهم ، ونتخته المنية من بين قومه ، ونتر الثوب : جذبه في شدة ، ونتر الوتر مدّه حتى كاد ينكسر القوس ، وفي الحديث : « إذا بال أحدكم فلينتر ذكره ثلاث نَتَرات » ، ونتش الشوكة بالمنتاش ، ونقشها بالمنقاش ، وما نتش منه شيئاً ما أخذ ، وهو ينتِش من كل علم ، ونتف شعره وانتتفه ، وفلان منتوف : مولع بنتف لحيته . ومن المجاز : أعطاه نُتْفة من الطعام وغيره : شيئاً منه ، فقول العامة : نُتفة ، صحيح ولكن بضم الميم ، وكان أبو عبيدة يقول في الأصمعي : ذاك رجل نُتَفه . ونتن الشيء : ارتفع نتنه ، وفي الحديث : « إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليذكر مناتنها » ، وهذا من دقائق العربية ، فتدبره .

(ظلّة) الظُّلة : : بضم الظاء كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب ،

الاعراب :

(وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) الواو عاطفة ، وإذ ظرف زمان

متعلق باذكر المحذوفة والمعطوفة على ما تقدم ، وجملة نتقنا في محل جر بالاضافة ، ونا فاعل ، والجبل مفعول به ، وفوقهم ظرف مكان متعلق بمحذوف على أنه حال من الجبل. وهي حال مقدرة ، لأنه حال النتق لم يكن فوقهم بالفعل بل صار فوقهم بالنتق ، أو متعلق بنتقنا ، وجملة كأنه ظلة حال من الجبل أيضاً ، فيكون الحال متعدداً ، وكأن واسمها وخبرها (وظنوا أنه واقع بهم) يجوز أن تكون الجملة في محل جر عطفاً على جملة نتقنا المجرورة بالاضافة ، ويجوز أن تكون الواو حالية ، وقد مقدرة ، وقد تقدم مثل هذا التعبير والبحث فيه ، وصاحب الحال الجبل ، أي : كأنه ظلة في حال كونه مظنوناً وقوعه بهم ، ولك أن تجعل الواو استئنافية ، فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها ، وأن وما في حيزها سدت مسدّ مفعولي ظنّ ، وأن واسمها وخبرها ، وبهم جار ومجرور متعلقان بواقع (خذوا ما آتيناكم بقوة) جملة خذوا في محل نصب مقول قول محذوف ، أي : وقلنا لهم : خذوا ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة آتيناكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وبقوة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : عازمين على احتمال مشاقه وكثرة تكاليفه (واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) عطف على ما تقدم ، ولعلكم لعل واسمها ، وجملة تتقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) عطف على ما تقدم ، وقد سبق ذكره ، وربك فاعل أخذ ، ومن بني آدم جار ومجرور متعلقان بأخذ ، ومن ظهورهم جار ومجرور في محل جر بدل اشتمال من بني آدم ، أو بدل بعض من كل بإعادة الجار ، ومعنى إخراج ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلابهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم . وسيأتي بحث ذلك في باب البلاغة . وذريتهم مفعول به (وأشهدهم على أنفسهم) عطف على أخذ ، وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بأشهدهم (ألست بربكم ؟ قالوا : بلى) الجملة

مقول قول محذوف ، أي : قائلاً ، وجملة القول حالية ، والهمزة للاستفهام التقريري ، والتاء اسم ليس ، والباء حرف جر زائد وربكم مجرور لفظاً خبر ليس محلاً ، وجملة قالوا مستأنفة، وبلى حرف جواب، وتختص بالنفي ، وتفيد إبطاله سواء أكان مجرداً أم مقروناً بالاستفهام التقريري ، كما هنا . ولذلك قيل : قالوا : نعم كفروا ، من جهة أن « نعم » تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب ، فكأنهم أقروا بأنه ليس ربهم (شهدنا أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين) شهدنا فعل وفاعل ، وأنْ وما في حيزها في محل نصب مفعول من أجله ، أي : فعلنا ذلك كراهة أن تقولوا ، ويوم القيامة ظرف متعلق بتقولوا ، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول ، وجملة كنا خبر إنا ، وغافلين خبر كنا ، وعن هذا جار ومجرور متعلقان بغافلين (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل) أو تقولوا عطف على أن تقولوا ، أي : وكراهة أن تقولوا ، وإنما كافة ومكفوفة ، وجملة إنما أشرك آباؤنا في محل نصب مقول القول ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وكنا ذرية من بعدهم) الواو عاطفة ، وكان واسمها ، وذرية خبرها ، ومن بعدهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذرية (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة ، وتهلكنا فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، والباء حرف جر ، وتفيد السببية ، وما مصدرية ، وفعل المبطلون فعل وفاعل ، والمصدر المؤول في محل جر بالباء .

البلاغة :

١ ـ في قوله « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » تشبيه مرسل وفائدته هنا إخراج مالم تجرية العادة الى ماجرت به العادة .

٢ ــ في قوله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم» الى آخر الآية ، أجمع علماء البيان المتأخرون على أنه لا إخراج ولا قول ولا شهادة ، وإنما هذا كله محمول على المجاز التمثيلي ، فقد شبّه سبحانه حال النوع الإنساني بعد وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة الدالة على ربوبيته سبحانه ، المقتضية لأن ينطق ويقرّ بمقتضاها بأخذ الميثاق عليه بالفعل بالإقرار بما ذكر . أما المتقدمون فيقولون : إنه تعالى أخرج بعضهم من صلب بعض ، وجعل لهم العقل والمنطق . وألهمهم ذلك . ولكلٍّ وجهة نظرهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

اللغـة :

(اخلد الى الأرض) الإخلاد الى الشيء الميل اليه من الاطمئنان به • وفي المصباح : خلد بالمكان خلوداً من باب قعد : أقام ، وأخلد بالألف مثله ، وخلد الى كذا وأخلد إليه : ركن •

(يلهث) : يدلع لسانه ، يقال : لهث يلهث بفتح العين في الماضي والمضارع لَهثاً ولُهاثاً ، وهو خروج لسانه في حال راحته وإعيائه ، وهي طبيعة لازمة للكلب ، وأما غيره من الحيوان فلا يلهث إلا إذا أعيا أو عطش • وفي الصحـاح لهث الكلب إذا أخرج لسانه من التعب أو العطش ، وقوله تعالى : « إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » لأنك إذا حملت على الكلب نبح وولى هارباً ، وإن تتركه شدّ عليك ونبح ، فيتعب نفسه في الحالين ، فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللسان •

الاعراب :

(وكذلك نفصّل الآيات ولعلهم يرجعون) الواو عاطفة ، والكاف ومدخولها صفة لمصدر محذوف ، وقد تقدمت له نظائر كثيرة ، والآيات مفعول به ، ولعلهم الواو عاطفة على محذوف تقديره : ليتدبروها ، ولعل واسمها ، وجملة يرجعون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الواو عاطفة على متعلق « إذ » بقوله : « واذ أخذ » ، واتل فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ « اتل » ، ونبأ مفعول به ، والذي مضاف إليه ، وجملة آتيناه صلة الموصول ، وآياتنا مفعول به ثان ،

فانسلخ عطف على آتيناه ، ومنها جار ومجرور متعلقان بانسلخ (فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) أتبع فعل ماض رباعي يتعـدى لواحد فيكون بمعنى أدركه ، ويتعدى لاثنين ، فتكون الهاء المفعول به الأول ، والمفعول به الثاني محذوف تقديره : فأتبعه الشيطان خطواته ، أي جعله تابعاً لها ، والشيطان فاعل ، فكان عطف عـلى أتبعه ، واسمها مستتر، ومن الغاوين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (ولو شئنا لرفعناه بها) والواو حالية ، ولو شرطية غير جازمة ، وشيئاً فعل وفاعل ، واللام جواب لو ، وجملة رفعنـاه لا محـل لها ، وبها جار ومجرور متعلقان برفعناه (ولكنه أخلد الى الأرض) الواو عاطفة، ولكن واسمها، وجملة أخلد خبر لكن ، وإلى الأرض جار ومجرور متعلقـان بأخلد (واتبع هواه) عطف على أخلد ، وهواه مفعول به (فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) الفاء الفصيحة ، ومثله مبتدأ ، وكمثل الكلب خبره ، وإن شرطية ، وتحمل فعل الشرط ، وعليه جار ومجرور متعلقان بتحمل ، ويلهث جواب الشرط ، وأو حرف عطف ، وتتركه عطف على فعل الشرط وجوابه المتقدمين ، وسيأتي مزيد من القول في محـل الجملة الشرطية ، لطول الكلام ، في باب الفوائـد (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) ذلك مبتدأ ، ومثل القوم خبره ، والجملة حالية ، والذين نعت للقوم ، وجملة كذبوا لا محل لها لأنها صلة ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) الفاء الفصيحة ، أي : إذا تحققت أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم ، واقصص فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، والقصص بمعنى المقصوص مفعول به ، وجملة الرجاء في محل نصب حال من الضمير المخاطب المخاطب في « اقصص » ، والمعنى راجياً تفكيرهم (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) ساء

فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، ومثلاً تمييز ، والقوم مبتدأ ، خبره جملة ساء ، ولا بد من تقدير محذوف ليكون التمييز والفاعل والمخصوص بالذم كلها متحدة معنى ، والتقدير : ساء مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم ، والذين نعت للقوم ، وجملة كذبوا بآياتنا صلة . وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة (وأنفسهم كانوا يظلمون) الواو عاطفة ، وأنفسهم مفعول به مقدم ليظلمون ، وكان واسمها ، وجملة يظلمون خبرها ، ويجوز أن يكون ما بعد الواو العاطفة داخلاً في الصلة معطوفاً على كذبوا ، بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم ، أو منقطعاً عنها ، بمعنى ما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم .

البلاغة :

في هذه الآيات فنون من البلاغة نجملها فيما يلي : وقد سماه الجاحظ :

١ ـ المذهب الكلامي :

هذه التسمية كما ذكر ابن المعتز في كتابه وزعم الجاحظ أنه لا يوجد منه شيء في القرآن . والكتاب الكريم مشحون به . وتعريف هذا الباب هو أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند ، وتفل سلاح المكابر المتعنت ، على طريقة علماء الكلام . ومنه منطقي تستنتج فيه النتائج من المقدمات الصادقة . والآية المقصودة بهذا الفن هي قوله تعالى : « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه » وترتيب المقدمتين في هذه الكلمات والنتيجة أنا نقول : ما شاء

الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولو شاء الله رفع بلعـام بن باعوراء المقصود بهذه الآية ، فقد بعثه الله الى ملك مدين ليدعوه الى الإيمان ، فأعطـاه وأقطعه ، فاتبـع دينه وترك دين موسى ، ففيه نزلت هـذه الآية وما بعدها •

هذا ولا يكون المقصود ، بالمدح أو الذم إلا من جنس المرتفع بنعم وبئس ، فإن وجد كلام ظاهره مخالف لهذا الحكم فليعلم أن هناك محذوفاً يذكره يرجع الكلام الى هذا الأصل المقرر ، فمن قوله سبحانه : « ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا » والقوم ليسوا من جنس المثل، فالتقدير : ساء مثلاً مثل القوم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه : وعلى هذا يقاس •

٢ ـ التشبيه التمثيلي :

في قوله : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه » الى آخر الآية ، فقد شبه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً ، وإن تركته شد عليك ونبح ، فإن الكلب يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات ، وشبه رفضه وقذفه لها ورده لها بعد الحرص عليها ، وفرط الرغبة فيها ، بالكلب ، إذا رجع ينبح بعد إطرادك له وواجب أن يكون رفض الأشياء الخطيرة النفيسة في خدن طلبها والحرص عليها ، والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلاً عليك ومدبراً عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش •

الفوائد :

الجملة الشرطية في محل نصب على الحال ، أي : لاهثاً في الحالتين،

قاله الزمخشري وأبو البقاء . قال بعضهم : « وأما الشرطية فلا تقع بتمامها موقع الحال ، فلا يقال : جاء زيد إن يسأل يعط ، على الحال بل لو أريد ذلك لجعلت الشرطية خبراً عن ضمير ما أريد الحال عنه ، نحو : جاء زيد هو وإن يسأل يعط ، فيكون الواقع موقع الحال ، ولكن بعد ما أخرجوها عن حقيقة الشرط . وتلك الجملة لم تخل من أن يعطف عليها ما يناقضها أو لم يعطف ، والأول ترك الواو مستمراً فيه ، نحو : أتيتك إن أتيتني وإن لم تأتني ، إذ لا يخفى أن النقيضين من الشرط في مثل هذا الموضع لا يبقيان على معنى الشرط ، بل يتحولان الى معنى التسوية ، كالاستفهامين المتناقضين في قوله : « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وأما الثاني فلا بد فيه من الواو ، نحو : أتيتك وإن لم تأتني ، ولو ترك الواو لالتبس بالشرط حقيقة ، فقوله : « إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » من قبيل الأول ، لأن الحمل عليه والترك نقيضان . وهذا من أدق المباحث فتأمله لأنه جدير بالتأمل .

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

اللغـة :

(ذرأنا) : خلقنا .

الاعراب :

(من يهد الله فهو المهتدي) من اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليهد ، والله فاعله ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وهو مبتدأ ، والمهتدي خبره ، وقد راعى هنا لفظ « من » فأفرد المهتدي (ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) عطف على الجملة السابقة ، وراعى هنا معنى « من » فجمع الخاسرين (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس) الواو عاطفة ليتساوق كلام الله تعالى في وصفهم ووصف مآلهم • واللام جواب للقسم المحذوف ، وذرأنا فعل وفاعل ، ولجهنم جار ومجرور متعلقان بذرأنا ، وكثيراً مفعول به ، ومن الجن والإنس صفة لـ « كثيراً » (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) لهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وقلوب مبتدأ مؤخر ، والجملة حال من «كثيراً»، وإن كان نكرة لتخصيصه بالوصف ، وجملة لا يفقهون صفة لقلوب • ومثل ذلك يقال في الجملتين التاليتين (أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) أولئك مبتدأ ، وكالأنعام جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وبل حرف إضراب وعطف ، وهم مبتدأ ، وأضل خبر ، وأولئك مبتدأ ، وهم ضمير فصل لا محل له ، والغافلون خبر أولئك ، أو « هم » مبتدأ ، والغافلون خبر « هم » ، وجملة هم الغافلون خبر أولئك •

البلاغة :

في الآية التشبيه التمثيلي ، فقد شبه اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي

الموعود بمن عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان ، وجعلهم لإغراقهم في الكفر وإصرارهم على الضلال بمثابة من خلقوا للنار لا ينفكون عنها أبداً ، ثم شبههم بالأنعام بل بما هو دون الأنعام ارتكاساً وسفهاً وتدنياً في مهابط الرذيلة والآثام .

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)﴾

اللغـة :

(الحسنى) : مؤنث الأحسن ، كالكبرى والصغرى ، وقيل :

الحسنى : مصدر وصف به كالرُّجْعَى ، وأفرده كما أفرد وصف مالا يعقل في قوله : « ولي فيها مآرب أخرى » ، ولو طوبق به لكان التركيب الحسن كقوله : « من أيام أخر » •

(يلحدون) : مضارع ألحد بمعنى مال وانحرف •

(سنستدرجهم): سنستدنيهم قليلاً الى ما يهلكهم ، والاستدراج النقل درجة بعد درجة ، من الدرج وهو الطيّ ، ومنه درج الثوب : إذا طواه •

(وأملي) : الإملاء : الإمهال والتطويل •

(جنّة) : بكسر الجيم وتشديد النون : أي جنون •

الاعراب :

(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) الواو استئنافية ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والأسماء مبتدأ مؤخر ، والحسنى صفة ، فادعوه الفاء الفصيحة ، وادعوه فعل وفاعل ومفعول به ، وبها جار ومجرور متعلقان بادعوه (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) الواو عاطفة ، وذروا فعل أمر وفاعل ، والذين اسم موصول مفعول به ، وجملة يلحدون صلة الموصول ، وفي أسمائه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، والمعنى واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيه (سيجزون ما كانوا يعملون) سيجزون فعل مضارع مبني للمجهول ،والواو نائب فاعل ، وما مفعول به ثان ، وجملة كانوا يعملون صلة الموصول ، وجملة يعملون خبر كانوا (وممّن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) الواو عاطفة ، وممن جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وجملة خلقنا صلة الموصول ، وأمة مبتدأ مؤخر ، وجملة يهدون بالحق صفة لأمة ، وبه جار ومجرور متعلقان بيعدلون (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الواو عاطفة أو استئنافية ، والذين مبتدأ وجملة كذبوا صلة الموصول ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا ، وجملة سنستدرجهم من حيث لا يعلمون خبر ، ولك أن تنصب الذين بفعل محذوف على الاشتغال ، والتقدير : سنستدرج الذين كذبوا أي سننقلهم درجة بعد درجة من علو الى سفل، أي نقربهم الى الهلاك بإمهالهم • ومن حيث جار ومجرور متعلقان بنستدرجهم ، وجملة لا يعلمون في محل جر بالإضافة (وأملي لهم إن كيدي متين) يجوز أن تكون الواو عاطفة ، وأملي معطوف على نستدرجهم ، على نحو من الالتفات ، والذي نراه أنها مستأنفة على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، أي : وأنا أملي لهم ، ولهم جار ومجرور متعلقان بأملي ، وإن كيدي متين الجملة بمثابة التعليل لقوته تعالى (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والواو عاطفة ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويتفكروا فعل مضارع مجزوم بلم ، وما نافية ، وبصاحبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن حرف جر زائد ، وجنة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب معمولة ليتفكروا ، فهو عامل فيها ، لوجود المعلق له وهو « ما » النافية ، ويجوز أن تكون « ما » استفهامية في محل رفع مبتدأ ، والخبر بصاحبهم ، ومن جنة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (إن هو إلا نذير مبين) إن نافية ، وهو مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، ونذير خبر ، ومبين صفة (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) تقدم إعراب نظيرها ، وفي ملكوت السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بينظر ،

وما عطف على ملكوت ، وجملة خلق صلة الموصول ، ومن شيء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) الواو عاطفة ، والجملة في محل جر عطفاً على « ما » قبلها ، أي : في أن ، وأن مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف ، وخبرها جملة عسى ، واسم عسى مستتر ، وأن وما في حيزها خبرها ، واسم يكون ضير الشأن أيضاً ، وجملة قد اقترب أجلهم خبرها (فبأي حديث بعده يؤمنون) الفاء استئنافية ، وبأي جار ومجرور متعلقان بيؤمنون ، والجملة مستأنفة مسوقة للتعجب ، أي : إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره ! والضمير عائد على القرآن أو الرسول (من يضلل الله فلا هادي له) من اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليضلل ، والله فاعل ، والفاء رابطة ، ولا نافية للجنس ، وهادي اسمها ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (ويذرهم في طغيانهم يعمهون) الواو استئنافية ، وجملة يذرهم مستأنفة ، والهاء مفعول به ، في طغيانهم جار ومجرور متعلقان بيعمهون ، وجملة يعمهون حال من الهاء ، وقرىء : « ويذرْهم » بالجزم عطفاً على محل قوله : « فلا هادي له » المجزوم .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)

اللغـة :

(الساعة) : القيامة ، وسميت بذلك لوقوعها بغتة ، أو لسرعة حسابها ، أو على العكس لطولها ، أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق . وهي من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا .

(مرساها) مصدر ميمي من أرسى،والإرساء الاستقرار والإثبات، والثلاثي منه رسا ، ورسا الشيء ثبت ، ورست السفينة : وقفت عن الجري .

(يجليها) : يظهرها .

(حفيّ) : مبالغ في السؤال ، والمراد كأنك عالم بها ، لأن من بالغ فيّ المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن ، وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب .

الاعراب :

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها) جملة مستأنفة مسوقة لبيان نمط من ضلالاتهم . ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به ، وعن الساعة جار ومجرور متعلقان بيسألونك : وأيان اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية ، وسيأتي في باب الفوائد اشتقاقه ، وهو متعلق

بمحذوف خبر مقدم ، ومرساها مبتدأ مؤخر ، والجملة بدل من الساعة وقيل : أيان متعلق بمحذوف ، أي يسألونك ، ومرساها فاعل لهذا الفعل المحذوف (قل : إنما علمها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلا هو) إنما كافة ومكفوفة ، وعلمها مبتدأ ، والظرف متعلق بمحذوف خبر ، وجملة لا يجليها حال ، ولوقتها جار ومجرور متعلقان بيجلّيها ، وجملة إنما وما في حيزها في محل نصب مقول القول وإلا أداة حصر ، وهو فاعل يجليها ، أو تأكيد للفاعل المستتر (ثقلت في السموات والأرض) الجملة مستأنفة، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بثقلت، سواء أكان « في » بمعنى «على» أو على بابها من الظرفية ، والمعنى حصل ثقلها ، وهو شدتها أو المبالغة في إخفائها في هذين الظرفين أو عليهما (لاتأتيكم إلا بغته) الجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ، ولا تأتيكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، وإلا أداة حصر ، وبغتة حال أو مفعول مطلق (يسألونك كأنك حفيّ عنها) : الجملة مستأنفة ، وسيأتي سر هذا التكرير في باب البلاغة . ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به ، وجملة كأنك حالية ، وكأن واسمها ، وحفي خبرها ، وعنها جار ومجرور متعلقان بحفي (قل إنما علمها عند الله) تقدم إعرابها قريباً (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) تقدم إعرابها (قل : لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلا ما شاء الله) الجملة مستأنفة مسوقة لحسم أطماعهم بعد إعلان نفض يده منهم . وجملة لا أملك في محل نصب مقول القول ، ولا نافية وأملك فعل مضارع وفاعل مستتر ، ونفعاً مفعول به ، ولنفسي جار ومجرور متعلقان بأملك ، أو بمحذوف حال من « نفعاً » ، لأنه كان في الأصل صفة له لو تأخر عنه ، وإلا أداة استثناء ، وما مستثنى من « نفعاً و ضراً » أو بدل منهما ، وقيل : الاستثناء منقطع ، فهو متعين النصب على الاستثناء (ولو كنت أعلم

الغيب لاستكثرت من الخير) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وكان واسمها ، وجملة أعلم خبرها ، والغيب مفعول به ، ولاستكثرت اللام واقعة في جواب لو ، واستكثرت فعل وفاعل ، ومن الخير جار ومجرور متعلقان باستكثرت ، والجملة لا محل لها (وما مسني السوء) الواو عاطفة ، وجملة ما مسني السوء عطف على استكثرت ، وما نافية (إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) إن نافية ، وأنا مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، ونذير خبر ، وبشير عطف على نذير ، ولقوم جار ومجرور متعلقان بنذير وبشير ، وجملة يؤمنون صفة لقوم •

البلاغة :

في قوله تعالى : « يسألونك كأنك حفيٌّ عنها » نوع من التكرير لم يدونه علماء البلاغة في معرض حديثهم عن التكرير ، وهو أن الكلام إذا بني على مقصد ما ، واعترض في أثنائه عارض ، فأريد الرجوع لتتميم المقصد الأول ، وقد بعد عهده ، طرّي بذكر المقصد الأول ، لتتصل نهايته ببدايته ، وقد تقدمت اليه الإشارة ، وهذا منها • فإنه لما ابتدأ الكلام بقوله : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها » ثم اعترض ذكر الجواب المضمن في قوله : « قل إنما علمها عند ربي » الى قوله « بغتةً » أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الإنكار عليهم ، وهو المضمن في قوله : « كأنك حفيٌّ عنها » وهو شديد التعلق بالسؤال ، وقد بعد عهده ، فطرّي ذكره تطرية عامة ، ولانراه أبداً يطرّي إلا بنوع من الإجمال ، كالتذكرة للأول مستغني عن تفصيله بما تقدم ، فمن ثم قيل : « يسألونك » ولم يذكر المسئول عنه ــ وهو الساعة ــ اكتفاء بما تقدم • فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب أيضاً مجملاً فقال : « قل إنما علمها عند الله » •

الفوائد :

(أيان) بمعنى متى ، إن كانت اسم استفهام أو اسم شرط ، وقيل اشتقاقه من « أي » وهي « فعلان » منه ، لأن معناه : أي وقت وأي فعل ، من أويت إليه ، لأن البعض آوٍ الى الكل متساند إليه . قاله ابن جني ، وأبى أن يكون من « أين » لأنه زمان و « أين » مكان. وقال غيره : أصل أيان « أي آن » فهي مركبة من « أي » المتضمنة معنى الشرط و « آن » بمعنى حين ، فصارتا بعد التركيب اسماً واحداً ، للشرط في الزمان المستقبل ، مبني على الفتح ، وكثيراً ما تلحقها « ما » الزائدة للتوكيد ، كقوله :

إذا النعجةُ الأدماء بانت بقفرة فأيان ما تعدل به الريح تنزل

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾

الاعراب :

(هو الذي خلقكم من نفس واحدة) كلام مستأنف لخطاب أهل مكة . وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجملة خلقكم صلة ، ومن نفس جار ومجرور متعلقان بخلقكم ، وواحدة صفة (وجعل منها زوجها ليسكن اليها) جعل بمعنى خلق معطوف على خلقكم ، وفاعله ضمير مستتر ، ومنها جار ومجرور متعلقان بجعل ، وزوجها مفعول به ، واللام للتعليل ويسكن فعل مضارع منصوب وفاعله هو ، وإليها جار ومجرور متعلقان بيسكن والمراد بالنفس آدم ، وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النفس (فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به) الفاء عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، وجملة حملت لا محل لها ، وحملاً إن كانت مصدراً فهي مفعول مطلق ، وإن كانت بمعنى الجنين فهي مفعول به ، وخفيفاً نعت أتى به للإشعار بعدم التأذي به كما يصيب الحوامل عادة من آلام الحمل ، أو إشارة الى ابتدائه وكونه نطفة لا تثقل البطن . والفاء عاطفة ، ومرت عطف على حملت ، وبه جار ومجرور متعلقان بمرت ، أي : ترددت في إنجاز مهامها وإظهارها من غير مشقة ولا إعنات (فلما أثقلت دعوا الله ربهما) الفاء عاطفة ، ولما رابطة أو حينية ، ودعوا الله فعل ماض وفاعل ومفعول به وربهما بدل (لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين) اللام موطئة للقسم ، وجملة القسم مستأنفة لتدل على الجملة القسمية ، وإن شرطية ، وآتيتنا فعل وفاعل وهو فعل الشرط ، ونا مفعول به ، وصالحاً صفة لمفعول محذوف نابت عنه ، أي : ولداً صالحاً ، واللام واقعة في جواب القسم لتقدمه ، ونكونن فعل مضارع ناقص ، مبني على الفتح ، واسمها ضمير مستتر تقديره نحن ، ومن الشاكرين جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وجملة لئن آتيتنا تفسيرية لجملة دعوا الله ، كأنه قيل : فما كان دعاؤهما ؟ ما قالاه ، ولك أن تجعلها مقولاً لقول محذوف تقديره : فقالا : لئن آتيتنا ، وجملة لنكونن جواب القسم ، وجواب الشرط محذوف على ما تقرر (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) شركاء مفعول جعلا ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لشركاء وتقدّم ، وفيما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشركاء ، وجملة آتاهما صلة ، والمعنى : آتى أولادهما ، وقد دل على ذلك قوله : (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير ، وآدم وحواء بريئان من الشرك . والفاء حرف عطف ، وجملة تعالى الله عطف على خلقكم ، وما بينهما اعتراض . ويجوز أن تكون الفاء استئنافية ، والجملة مستأنفة ، وسيأتي في باب الفوائد سرّ هذا الخطاب ، وما قاله العلماء فيه . والله فاعله ، وعما جار ومجرور متعلقان بتعالى ، وجملة يشركون لا محل لها لأنها صلة الموصول (أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، ويشركون فعل مضارع ، والواو فاعل ، وما مفعول به ، وجملة لا يخلق صلة الموصول ، والواو حالية ، وهم مبتدأ ، وجملة يخلقون بالبناء للمجهول خبر « هم » ، والواو نائب فاعل ، والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخهم على ما اقترفوه . وهذا الضمير يعود على الأصنام المعبر عنها بـ « ما » ، وعبر عنها بـ « ما » لاعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه في العقلاء ، ويجوز أن يعود على الكفار ، أي : وهم مخلوقون لله ، فلوا تفكروا في ذلك لآمنوا (ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) الجملة معطوفة على سابقتها ، وأنفسهم مفعول به مقدم لينصرون .

الفوائد :

المراد في الخطاب الوارد في هذه الآيات شغل العلماء والمفسرين وخاضوا فيه كثيراً ، ولا يتسع المجال لنقل ما قالوه في هذا الصدد . وأسلم ما نراه وأقربه الى الصواب والمعقول أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى ، لا يقصد فيه الى معين ، ويكون المعنى حينئذ : خلقكم جنساً واحداً ، وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهن ، فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الذي هو الأنثى جرى من الجنسين كذا وكذا . وقيل : الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهم آل قصيّ ــ ألا ترى الى قوله في قصة أم معبد :

فيا لَقصَيٍّ ما زَوى اللهُ عنكمُ
به من فَخَارٍ لا يُبارى وسؤددِ

وقبل هذا البيت :

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائه
رفيقين حلّا خَيْمَتَيْ أمّ معبدِ

همـا نزلا بالبرّ ثمّ ترحّلا
فيا فوْزَ من أمسى رفيقَ محمدِ

وبعده :

ليهنِ بني سعدٍ مقامُ فتاتهم
ومقعدُها للمؤمنين بمرصدِ

والقائل مجهول .

روى التاريخ أنه حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً يصحبه أبو بكر ، وجهل أهلهما خبرهما بعد خروجهما من الغار ، هتف الهاتفون بهذا القول . وأم معبد امرأة من بني سعد ، نزلا عندها . و « يا لقصيّ » أصله : يا آل قصي ، أو تكون لام الاستغاثة ، والجار والمجرور متعلقان بما في « يا » من معنى الفعل .

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

الاعراب :

(وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لخطاب عبدة الأصنام ، أي : وإن تدعوا آلهتكم الى طلب هدى ورشاد كما تطلبونه من الله لا يتابعوكم على مرادكم . وإن

شرطية . وتدعوهم فعل الشرط ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به يعود على الأصنام ، والى الهدى جار ومجرور متعلقان بتدعوهم ، ولا نافية ، ويتبعوكم جواب الشرط المجزوم (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) سواء خبر مقدم ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بسواء ، والهمزة للاستفهام ، وهي همزة التسوية التي تؤوّل ما بعدها بمصدر ، وقد مر ذكرها في البقرة ، وهي وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر ، ولك أن تعرب « سواء » خبراً لمبتدأ محذوف ، والمصدر المؤول فاعل لسواء الذي أجري مجرى المصادر ، وأم عاطفة وتسمى متصلة ، وقد سبق ذكرها ، وأنتم مبتدأ ، وصامتون خبر ، والجملة معطوفة على الجملة السابقة (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدمها ، وإن واسمها ، وجملة تدعون صلة ، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وعباد خبر إنّ ، وأمثالكم صفة لعباد ، ووصف الأصنام بأنها عباد أمثالهم مع أنها جمادات ، ولفظ العباد إنما يطلق على الأحياء العقلاء ، وعبّر عنها بضرورة في قوله : « فادعوهم » ، وقوله : « فليستجيبوا لكم » ، إنما ساغ ذلك كله لأنهم لما اعتقدوا ألوهيتها لزمهم كونها حية عاقلة وإن كانت في الواقع خلاف ذلك ، ولكن وردت الألفاظ على مقتضى اعتقادهم . وسيأتي مزيد من التحقيق في هذا في باب الفوائد (فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) الفاء الفصيحة ، أي: إذا صح ذلك ـ وهو لم يصح إلا في اعتقادهم وعرفهم ـ فادعوهم . وادعوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وقوله : « فليستجيبوا » الفاء عاطفة ، واللام لام الأمر ، ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر ، ولكم جار ومجرور متعلقان بيستجيبوا ، وإن شرطية ، وكنتم صادقين فعل الشرط ، والجواب محذوف دلت

عليه الفاء الفصيحة ، أي : فادعوهم ، وصادقين خبر كنتم (ألهم أرجل يمشون بها) كلام مستأنف بمثابة التوبيخ لهم على عقولهم القاصرة . والهمزة للاستفهام الإنكاري مع النفي ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأرجل مبتدأ مؤخر وجملة يمشون بها صفة (أم لهم أيد يبطشون بها) أم عاطفة بمعنى بل، والجملة معطوفة على سابقتها، وكذلك قوله:(أم لهم أعين يبصرون بها؟ أم لهم آذان يسمعون بها) أي: ليس لهم شيء من ذلك البتة مما هو لكم ،فكيف تعبدونهم؟وأنتم أتمّ منهم وأكمل حالاً (قل : ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) جملة ادعوا شركاءكم مقول القول ، وثم حرف عطف وتراخ ، وكيدونِ عطف على ادعوا ، والفاء عاطفة ولا ناهية ، تنظرون فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وعلامة جزمه حذف النون ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم محذوفة ؛ وقد تقدم القول في جواز حذفها في البقرة .

البلاغة :

في قوله : « ألهم أرجل يمشون » بها الى قوله : « فلا تنظرون » فنّ بديعي معروف باسم نفي الشيء بإيجابه ، وهو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه بشرط أن يكون المثبت مستعاراً ، ثم ينفي ما هو من سببه مجازاً ، والمنفي حقيقة في باطن الكلام ، وهو الذي أثبته لا الذي نفاه ، وفي الآيات المتقدمة يقتضي نفي الإلهية جملة عمن يبصر ويسمع من الآلهة المتخذة من دون الله تعالى ، فكيف من لا يسمع ولا يبصر منها . وقد تقدمت له أمثلة ، وسيأتي المزيد منه .

الفوائد :

لم ير أشهر المفسرين إشكالاً في إطلاق لفظ « عباد » على

الأصنام ، فابن جرير ـ الذي هو أشدهم عناية بتقرير كل ما كان يعدّ شكلاً والجواب عنه ـ لم يورده في الآية ، وفسر العباد بالأملاك ، وأما مَن بعده من المفسرين فقد أوردوا ذلك وأجابوا عنه بجوابين نقلهما الرازي .

عبارة الرّازيّ :

أحدهما : أن المشركين لما ادّعوا أنها تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة ، فلا جرم وردت هذه الآية على وفق معتقداتهم ، ولذلك قال : « فادعوهم فليستجيبوا لكم » ، وقال : إن الذين ولم يقل « التي » .

والجواب الثاني أن هذا لغو ورد في معرض الاستهزاء بهم ؛ أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء ، فإذا ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم ، ولا فضل لهم عليكم ، فلم جعلتم أنفسكم عبيداً؟ وجعلتموهم آلهة وأرباباً .

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ

وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

اللغـة :

(وليّي) : ناصري ومتولي أموري •

(العفو) : اليسر وضدّ الجهد • أي : خذ ما عفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم ، وما أتى منهم ، وتسهّل من غير تكلف ولا إعنات ، ولا تحرجهم وتشق عليهم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في هـذا المعنى : « يسّروا ولا تعسّروا » • وقال :

خـذي العفوَ مني تستديمي مودّتي
ولا تنطقي في سَوْرَتي حين أغضب

(العرف) : بضم العين : المعروف وكل جميـل من الأفعـال ، قال الطحيئة :

من يفعلِ الخيرَ لايعدمْ جوازيَهُ لايذهب العرف بين الله والناس

(النزغ) : النخس والغرز ، شبه وسوسة الشيطان بغرز السائق لمايسوقه •

الاعراب :

(إن وليي الله الذي نزل الكتاب) إن واسمها وخبرها ، والذي

صفة لله ، وجملة نزل الكتاب صلة الموصول (وهو يتولى الصالحين) الواو حالية أو عاطفة ، وهو مبتدأ ، وجملة يتولى الصالحين خبر (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) عطف على ما تقدم ، وقد مرّ إعرابه آنفاً ، وأنفسهم مفعول به مقدم لينصرون (وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا) عطف أيضاً ، وإن الشرطية وفعلها وجوابها (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) الواو استئنافية ، وتراهم فعل مضارع ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، والهاء مفعول به ، وجملة ينظرون إليك حالية ، والواو للحال ، وهم مبتدأ ، وجملة لا يبصرون خبر ، وجملة وهم لا يبصرون حال أيضاً (خذِ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) خذ فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، والعفو مفعول به ، وفعلا الأمر الآخران عطف عليه (وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) الواو عاطفة وإن شرطية ، أدغمت نونها بما الزائدة ، وينزغنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، وهو في محل جزم فعل الشرط : ومن الشيطان جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه في الأصل كان صفة لـ « نزغ » ، ونزغ فاعل ، فاستعذ : الفاء رابطة لجواب الشرط ، لأن الجواب بعدها طلبي ، واستعذ فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، وبالله جار ومجرور متعلقان باستعذ ، وإن واسمها، وخبرها ، وجملة إن وما في حيزها للتعليل والاستئناف .

البلاغة :

أعجب العرب كثيراً بقوله تعالى : « خذ العفو » الى آخر الآية ، لما فيها من سهولة سبك ، وعذوبة لفظ ، وسلامة تأليف ، مع ماتضمنته من إشارات بعيدة ، ورموز لا تتناهى ، وأطلقوا على هذا النوع من

الأساليب اسم فنّ يقال له « الانسجام » ، وهو أن يكون الكلام متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم ، حتى يكون للجملة من المنثور وللبيت من المنظوم وقع في النفوس ، وتأثير في القلوب ، ما ليس لغيره .

نماذج شعرية من الانسجام :

ومن النماذج الشعرية لهذا الفنّ التي خلت من البديع ، إلا أن يأتي ضمن السهولة ، من غير قصد ، كقول بعضهم ، وينسب الى ديك الجنّ الشاعر الحمصي :

يا بديعَ الدلّ والغَنَجِ ... لك سلطانٌ على المُهَجِ
إنّ بيتاً أنت ساكنُه ... غيرُ محتاج إلى السُرُجِ
وجهُكَ المأمولُ حُجّتُنا ... يوم تأتي الناسُ بالحججِ

ولبهاء الدين زهير :

لحاظُكَ أمضى من المرهفِ ... وريقُكَ أشهى من القَرْقَفِ
ومن سيف لحظك لا أتّقي ... ومن خمر ريقك لا أكتفي
أقاسي المنونَ لنيل المنى ... ويا ليت هذا بهذا يفي
زها وردُ خدّيكَ لكنه ... بغير النواظرِ لم يقطفِ
وقد زعموا أنه مضعفٌ ... وما علموا أنه مُضعِفي

ومما يستحق أن يغنى به قول صفيّ الدين، وقد بلغ غاية الانسجام:

قـــالت : كحلتَ الجفونَ بالوسنِ

قلـت : ارتقابــاً لطيفكِ الحسنِ

قـــالت : تسلّيتَ بعـــد فرقتنـــا

قلـت : عن مسكـني وعن سكـني

قـــالت : تشاغلـــتَ عن محبتنـــا

قلـت : بفَرْط البكـــاءِ والحزنِ

قالت : تخلّيتَ ، قلتُ عن جَلَدِي

قالتْ : تغـيّرتَ ، قلتُ : في بدني

قالت : أذعتَ الأسرارَ ، قلتُ لها :

صـــيّر ســـري هـــواكِ كالعلنِ

قالت : فمـــا ذا تروم ؟ قلت لها :

ساعـــةَ سعـــد بالوصال تسعفني

قالت : وعـــينُ الرقيبِ ترقبنـــا

قلت : فإنّي للعـــين لـــم آبنِ

أنحلتِني بالبعـــاد عنكِ فلـــو

ترصّدتني العيـــونُ لـــم ترني

ونختم هذه المختارة بالحكاية الآتية : قيل : إن بعض الأدباء اجتاز

بدار الشريف الرضي ، وقد أخنى عليها الزمان ، وأذهب بهجتها ، وأخلق ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة . فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وتمثل بهذه الأبيات :

ولقد وقفتُ على ربوعهمُ — وطلولُها بيد البلى نَهْبُ
فبكيتُ حتى ضجّ من لَغَبٍ — نِضْوي وعجّ بعذلي الرَّكبُ
وتلفتَتْ عيني فمذ خفيَتْ — عني الطلولُ تلفّتَ القلبُ

فسر شخص فقال له : أتعرف هذه الأبيات ؟ فقال : لا قال : والله إنها لصاحب هذه الدار ، فتعجبا من غريب هذا الاتفاق ، والشيء بالشيء يذكر .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)

اللغـة :

(طائف) : يحتمل أن يكون اسم فاعل من طاف به الخيال يطيف طيفاً ، أو مصدر منه ، وقد قرأ أهل البصرة « طَيْفٌ » ، وكذا أهل مكة ، وقرأ أهل المدينة والكوفة : « طائِفٌ » .

(اجتبيتها) اجتبى الشيء : بمعنى جباه لنفسه ، أي : جمعه .

(الغدو) بضمتين جمع غدوة ، بضم الغين وسكون الدال ، وهي من طلوع الفجر الى طلوع الشمس .

(الآصال) جمع أصيل وهو من العصر إلى الغروب .

الاعراب :

(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان) إن واسمها ، وجملة اتقوا صلة ، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن ، متضمن معنى الشرط ، وجملة مسهم في محل جر بالإضافة لوقوعها بعد الظرف ، والهاء مفعول به لمسّ ، وطائف فاعله ، ومن الشيطان جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائف ، وإذا وشرطها وجوابها الآتي خبر إن (تذكروا فإذا هم مبصرون) جملة تذكروا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والفاء عاطفة ، وإذا فجائية ، وقد تقدم الكلام عنها ،

وهم مبتدأ ومبصرون خبر (وإخوانهم يمدونهم في الغيِّ ثم لا يقصرون) اضطربت أقوال المعربين والمفسرين في هذه الآية ، وتفادياً للضياع في متاهات الأقوال المتشعبة نجتزىء بأشهر الأقوال وأقربها الى العقل والمنطق ، فنقول : وإخوانهم : الواو استئنافية ، وإخوانهم مبتدأ ، والضمير فيه يعود على الشيطان ، لأنه لا يراد به الواحد بل الجنس ، والضمير المنصوب في يمدونهم يعود على الكفار ، والمرفوع يعود على الشيطان ، والتقدير وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين ، وعلى هذا فالخبر جار على غير من هو له في المعنى ، ألا ترى أن الإمداد مسند الى الشياطين ، وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم ؟ قال الزمخشري : وهذا الوجه أوجه ، لأن « إخوانهم » في مقابلة « الذين اتقوا » ، وفي الغي جار ومجرور متعلقان بيمدونهم ، وثم حرف عطف وتراخ ، ولا يقصرون عطف على يمدونهم ، ولا نافية . وهناك أوجه ترجع من حيث النتيجة إليه ، فنكتفي به (وإذا لم تأتهم بآية قالوا : لولا اجتبيتها) الواو حرف عطف ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة لم تأتهم في محل جر بالإضافة ، وبآية جار ومجرور متعلقان بتأتهم ، وجملة قالوا لا محل لها من الإعراب ، ولولا حرف تحضيض ، فالكلام طلبيٌّ ، أي : اجتبها واخترعها من عند نفسك ، كما هي عادتك (قل إنما أتبع ما يوحى إليَّ من ربي) إنما كافة ومكفوفة ، وأتبع فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة يوحى بالبناء للمجهول لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإلي جار ومجرور متعلقان بيوحى ، ومن ربي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) هذه الجملة تتمة لقول القول ، داخلة في حيزه ، وهذا اسم إشارة في محل رفع مبتدأ ، وبصائر خبره ، ومن

ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبصائر ، وهدى عطف على بصائر ، وكذلك رحمة ولقوم جار ومجرور متعلقان برحمة ، وجملة يؤمنون صفة لقوم (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) الواو استئنافية،والجملة مستأنفة ، ويحتمل أن تكون عاطفة ، والكلام من جملة المقول المأمور به ، وإذا شرط مستقبل ، وجملة قرىء القرآن في محل جر بالإضافة ، والقرآن نائب فاعل ، والفاء رابطة ، وجملة استمعوا له لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وله جار ومجرور متعلقان باستمعوا ، واختلف في الاستماع والمراد به ، وأظهر الاقوال أنه الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة أو غير صلاة ، وقيل : معنى « فاستمعوا » : فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه . ولعل واسمها ، وجملة ترحمون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة) الواو عاطفة ، واذكر فعل أمر ، وربك مفعول به ، وفي نفسك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وهو عام في الأذكار ، وتضرعاً وخيفة في نصبهما وجهان : أحدهما أنهما مفعولان لأجلهما،والثاني أنهما مصدران وقعا موقع الحال ، أي : متضرعين خائفين (ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) الواو عاطفة ، ودون ظرف متعلق بمحذوف معطوف على في نفسك، أي : في السّر ّوفي الجهر ، ومن القول جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وبالغدو والآصال جار ومجرور متعلقان باذكر ، والواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية ، ومن الغافلين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنّ الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) كلام مستأنف مسوق لذكر المؤمنين الذين استأهلوا القرب من الله . وإن واسمها ، وعند ربك ظرف متعلق بمحذوف لا محل له من

الاعراب ؛ لأنه صلة الموصول ، وجملة لايستكبرون خبر إن ؛ والمراد بالعندية القرب من الله والزلفى إليه ، وعن عبادته جار ومجرور متعلقان بيستكبرون ، ويسبحونه عطف على ما تقدم ، وله الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بيسجدون ، ويسجدون عطف على يسبحونه ، ويجوز ان تكون الواو حالية أو استئنافية ، وجملة يسبحونه خبر لمبتدأ محذوف ، أي : وهم يسبحونه .

الفوائد :

وهذا فصل ممتع للإمام الغزالي ننقل بعضه لمناسبته ونفاسته . قال : « ولأجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشّهادة ، لأنّ المطلوب الخاتمة ، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله تعالى ، والقلب مستغرق بالله عز وجل ، فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال ، فانه قطع الطّمع عن مهجته وأهله ، وماله وولده ،بل من الدنيا كلّها ، فإنه يريدها لحياته . وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل، وطلب مرضاته ، فلا تجرّد أعظم من ذلك ، ولذلك عظم أمر الشّهادة .

ولما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاريّ يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : ألا أبشّرك يا جابر ؟ قال : بلى بشّرك الله بالخير ، قال : إنّ الله أحيا أباك فأقعده بين يديه ، وليس بينه وبينه حجاب ولا رسول.فقال تعالى : تمنّ عليّ يا عبدي ، ما شئت أعطيكه. فقال : يا ربّ ! إن تردّني إلى الدنيا حتّى أقتل فيك وفي نبيّك مرّة أخرى . فقال الله عزّ وجل : سبق القضاء منّي بأنهم إليها لا يرجعون . ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة .

وصيّة عمر لبعض قوّاده :

وتعجبني دعوة عمر بن الخطاب إلى ذكر الله وخشيته ، رجاء غوثه ورحمته في وصية لبعض قواده : « أوصيك ومن معك مــن الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدّة على العدّو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشدّ احتراساً مــن المعاصي فيكم من عدوّكــم ، فإنّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدّتنا كعدّتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإن لا ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهــم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم » .

* * *

سورة الأنفال
مدنية وآياتها خمس وسبعون

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

اللغـة :

(الأنفال) : جمع نَفَل ، بفتح النّون والفاء ، كفرس وأفراس ، والمراد بها الأغنام . والنّفل : الزّيادة والغنيمة . ومنه قول لبيد :

إنّ تقوَى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثي وعَجَلْ

شبّه لبيد الثّواب الّذي وعده الله عباده على التقوى بالنفل ، وهو ما يعده الإمام المجاهد تحريضاً على اقتحام الحرب ، فاستعار النفل له على طريق الاستعارة التصريحيّة ، وأخبر به عن التّقوى ، لأنّها سببه . ويجوز استعارة النفل للتقوى بجامع النفع . وريثي : بطئي ، وعجل : أي عجلي ، فحذفت الياء لوزن الشعر . وفي المصباح : النّفل : الغنيمة :والجمع أنفال ، مثل سبب وأسباب ، والنّفل بسكون الفاء : مثلـه .

(وجلت) وَجِـلَ بالكسر في الماضي ، يَوْجَـلُ بالفتح في المضارع ، وفيه لغة أخرى ، وهي وجَل بفتح الجيم في الماضي، وكسرها في المضارع ، فتحذف الواو ، كوعد يعد .

الاعراب :

(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) كلام مستأنف مسوق لتقرير تشريع الغنيمة في الجهاد ، ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، والضمير الفاعل هو من سأل هذا السؤال ، ممن حضروا غزوة بدر . وسأل يكون تارة لاقتضاء معنى في نفس المسئول ، فيتعدى الى الثاني بعن ، كهـذه الآية ، وقد يكـون لاقتضاء مادة أو مال ، فيتعدّى لاثنين نحو سألت زيداً مالاً .وعن الأنفال متعلقان بيسألونك كما تقدم ، وقل فعل أمر والأنفال مبتدأ ولله خبره والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول والرسول عطف على لله (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكـم وأطيعوا الله ورسـولـه إن كنتـم مـؤمنين) الفـاء

الفصيحة ، واتقوا فعل أمر وفاعل ، ولفظ الجلالة مفعول به ، وأصلحوا عطف على اتقوا ، وذات بينكم مفعول به ، ومعنى ذات بينكم : ما بينكم من الأحوال ، حتى تكون أحوال ألفة ومحبّة واتّفاق • فالبين هنا بمعنى الاتّصال ، ويطلق أيضاً على الفراق ، فهو من الأضداد • وإن شرطية ، وكنتم فعل الشرط ، والتاء إسمها ، ومؤمنين خبرها ، والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه (إنما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) إنما كافة ومكفوفة ، والمؤمنون مبتدأ ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيـان من أراد بالمؤمنـين ، بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث الآتية ، والذين خبر ، وإذا ظرف لما يستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة ذكر الله في محل جر بالإضافة، والله نائب فاعل ، وجملة وجلت قلوبهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) عطف عـلى الصفة الأولى ، وجملة زادتهم لا محـل لها ، وإيماناً مفعول به ثان أو تمييز (وعلى ربهم يتوكلون) صفة ثالثة داخلة في نطاق الصلة للموصول ، وعلى ربهم جار ومجرور متعلقان بيتوكلون، والتقديم يفيد الاختصاص، أي : عليه لا على غيره (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) وأردف الصفات الثلاث المتقدمـة ـ وهي من أفعال القلوب ، وهي الخشية والإخلاص والتوكل ـ بصفتين من أعمال الجوارح ، وهما إقامـة الصلاة والصدقة • وقد تقدم إعراب نظائرها (أولئك هم المؤمنون حقاً) اسم الاشارة مبتدأ ، وهم ضمير فصل أو خبر ثان ، والمؤمنون خبر على كل حال ، والجملة خبر اسم الإشارة ، والجملة مستأنفة ، وحقاً صفة لمصدر محذوف ، أي هم المؤمنون إيماناً حقاً ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة ، كقولك : هو عبد الله حقاً (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) لهم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ودرجات مبتدأ مؤخر ، وعند ربهم ظرف متعلق بدرجات لأنها بمعنى أجور أو يتعلق بمحذوف صفة لدرجات لأنها نكرة ، ومغفرة ورزق كريم عطف على درجات .

الفوائد :

روى التاريخ أن الاختلاف وقع بين المسلمين في غنائم بدر وقسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نقسم ؟ ولمن الحكم في قسمتها ؟ أللمهاجرين أم للأنصار ؟ أم لهم جميعاً ؟ فقيل لهم : هي للرسول وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ، ليس لأحد غيره فيها حكم ، وقيل : شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ، فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا ، فقال الشبان : نحن المقاتلون ، وقال الشيوخ الوجوه الذين كانوا عند الرايات : إنا كنا ردءاً لكم ، وفئة تنحازون اليها إن انهزمتم ، وقالوا لرسول الله : المغنم قليل والناس كثير ، وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت .

قصة سعد بن أبي وقاص :

وعن سعيد بن أبي وقاص : قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال : ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القَبَض ، يعني المال المقبوض ، فطرحته وبي مالا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي ؛ فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله وقد أنزلت سورة

الأنفال فقال : يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وأنه قد صار لي فاذهب وخذه .

رواية عبادة بن الصامت :

وعن عبادة بن الصامت : نزلت فينا معشر أصحاب بدر ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين .

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾

اللغــة :

(الشوكة) للشوكة معان كثيرة وهي هنا بمعنى البأس والقوة والسلاح ، وحدته على أن جميع معانيها ترجع الى معنى التفوق والظهور والغلبة ، ومن معانيها إبرة العقرب ، وحمرة تعلو الجسد ، والنكاية في العدوّ ، يقال : لا تشوكك مني شوكة ، أي لا يلحقك مني أذى . وشوكة الحائك : الآلة التي يسوّى بها السدى واللحمة ، ويقال : شاكت إصبعه شوكة ، وشوّكت النخلة : خرج شوكها ، وشوكت الحائط : جعلت عليه الشوك، ومن المجاز : شوّك الزرع وزرع مشوّك إذا خرج أوله ، وشوّك ثدي الجارية وتشوّك : إذا بدأ خروجه .

قــال :

أحببتُ هذي قديماً وهي ماشية وما تشوّك ثدياها وما نهدا

وإذا استعرضنا مادة الشين والواو فاء وعيناً للكلمة وجدنا خاصة عجيبة لها كأنها قد وضعت خاصة لمعاني الظهور والتأثير والارتفاع والتفوق ، فالشوب : خلط الشيء بغيره بحيث يؤثر فيه ، يقال : شاب العسل بالماء وكأن ريقتها خمر يشوبها عسل ، ولهم المشاجب والمشاوب وهي أسفاط وحقق تتخذ من الخوص ، وشوّرت به فتشوّر ومنه قيل : أبدى الله شَوارك أي عورتك ، وفي حديث الزّبّاء :أَشَوَار عروس ترى ؟ وهذا من عجيب أمر لغتنا العربية الشريفة فافهم وتدبر .

الاعراب :

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) كما يجوز أن تكون الكاف

بمعنى مثل ومحلها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هـذه الحال كحال اخراجك ، ويجوز أن تكون حرفاً جاراً ، ومحل الجار والمجرور الرفع كما تقدّم والمعنى : ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب ، ويجوز أن يكون محلها النصب على أنها صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله : الأنفال لله والرسول ، أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات اخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون . وقـد توسّع المعربون القدامى في التقدير والتأويل ، وأنهاها بعضهم الى عشرين وجهاً ولكنها لا تخرج عما ذكرناه . ومن بيتك جار ومجرور متعلقان بأخرج ، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي ملتبساً بالحق والحكمة والصواب الذي لا محيد عنه ، وسيأتي في باب الفوائد ذكر بعض الحوادث التاريخية التي توضح هذا المعنى والاعراب (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) الواوحاليةوإن واسمها ومن المؤمنين جارومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، واللام المزحلقة وكارهون خبر إن ، والجملة في محـل نصب حال من الكاف في أخرجك ، أي أخرجك في حالة كراهتهم (يجادلونك في الحق مـن بعـد ماتبيّن) الجملة مستأنفة مسوقة للإخبار عن حالهم بالمجادلة ، ويجوز أن تكون حالاً ثانية من الكاف أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك أو من الضمير في كارهون أي لكارهون في حـال الجدال ، وفي الحق جـار ومجرور متعلقان بيجادلونك وبعـد ظرف زمان متعلق بيجادلونك وما مصدرية وهي وما في حيزها مصدر مضاف للظرف أي بعد تبينه وخروجه وهو أقبح من الجدال في الشيء قبل اتضاحـه (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) الجملة حالية من الضمير في « لكارهون » أي حال كونهم مشبهين بالـذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل ، وكأنما كافـة

ومكفوفة ، ويساقون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والى الموت جار ومجرور متعلقان بيساقون ، والواو حالية وهم ينظرون جملة في محل نصب على الحال . (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) الواو عاطفة وإذ ظرف متعلق بفعل محذوف أي « واذكر إذ » وجملة يعدكم الله في محل جر بالإضافة وإحدى الطائفتين مفعول به ، ولا بد من تقدير محذوف ، أي : الظفر بإحدى الطائفتين ، والطائفتان العير والنفير (أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) ان واسمها ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وأن وما في حيزها بدل اشتمال من احد الطائفتين ، وتودون : الواو حالية أوعاطفة ، وتودون فعل مضارع مرفوع وعلامة بثبوت النون والواو فاعل،وأن وما في حيزها مفعول تودّون ، وجملة تكون خبر أن ، ولكم جار ومجرور لكم العير لأنها الطائفة التي لا شوكة لها ولا تريدون الطائفة الأخرى (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) الواو عاطفة ويريد الله فعل وفاعل وأن مصدرية وهي وما في حيزها مفعول يريد ، وبكلماته جار ومجرور متعلقان بيحق . ويقطع دابر الكافرين جملة معطوفة . وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) اللام للتعليل ويحق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة واللام وما في حيزها متعلقان بمحذوف تقديره فعل ذلك ليحق الحق ويبطل الباطل وليس هذا تكريراً لما قبله لأن الأول خاص والثاني عام فالمراد بالأول تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر . والمراد بالثاني تدعيم الدين وتقويته وإظهار الشريعة وتثبيتها . (إذ تستغيثون ربكم) الظرف متعلق بمحذوف ، أي : واذكروا ، ويجوز أن يتعلق بيحق ، وعبّر بالحق حكاية للحال الماضية ولذلك عطف عليه : فاستجاب لكم بصيغة الماضي (فاستجاب لكم إني ممدّكم بألف من الملائكة مردفين) الفاء عاطفة كما تقدم ولكم جار ومجرور

متعلقان باستجاب وإن وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي : بأني مدكم ، والجار والمجرور متعلقان باستجاب أيضاً ، ومدكم خبر إن ، وبألف جار ومجرور متعلقان بممدكم ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لألف ، ومردفين صفة ثانية ومفعول مردفين محذوف لأنه اسم فاعل أي أمثالهم أي متبعين بعضهم بعضاً ، أو متبعين بعضهم لبعض .

الفوائد :

ما يقوله التاريخ ؟ :

أقبلت عير قريش من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً ، منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام ، فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقّي العير لكثرة الخير وقلة القوم ، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة : يا أهل مكة ، النجاءَ النجاءَ على كل صعب وذلول ، عيركم أموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبداً ، ثم خرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر : لا في العير ولا في النفير فقيل له : إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة ، فقال : لا والله لن يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ، ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع العرب بمخرجنا ، وإن محمداً لم يصب العير وإنا قد أعضضناه فمضى بهم الى بدر ، وبدر ماء كانت العرب تجمع فيه نوقهم يوماً في السنة ، فنزل جبريل فقال : يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير وإما قريشاً ، فاستشار النبي أصحابه وقال : ما تقولون ؟ إن القوم قد خرجوا

من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحبّ إليكم أم النفير ؟ قالوا : بل العير أحب الينا من لقاء العدوّ ، فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردّ عليهم فقال : إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا : يا رسول عليك بالعير ودع العدوّ ، فقام عند غضب النبي أبو بكر وعمر فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فوالله لو سرت بنا الى عدن لسرنا ما تخلّف رجل ، ثم قال المقداد : يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيث لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف ، فضحك رسول الله ثم قال : أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك ما نمنع منه آباءنا ونساءنا ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن تكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة ، فقام سعد ابن معاذ فقال : لكأنك تريدنا يارسول الله ، قال : أجل ، قال : قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصُبُر عند الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله ، ففرح رسول الله ثم قال : سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر الى مصارع القوم . وقد أطلنا في الاقتباس لأهمية هذا الفصل وبلاغته .

خلاصة مفيدة لأقوال المعربين في « كما » :

اختلفوا على خمسة عشر قولاً :

١ ـ ان « الكاف » بمعنى واو القسم و « ما » بمعنى « الذي » واقعة على ذي العلم وهو الله ، وجواب القسم يجادلونك . قاله أبو عبيدة .

٢ ـ إن الكاف بمعنى «إذا» و«ما» زائدة والتقدير : اذكر إذجاءك

٣ ـ إن الكاف بمعنى « على » و « ما » بمعنى « الذي » .

٤ ـ وقال عكرمة : التقدير : وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ، كما أخرجكم في الطاعة خير لكم كان إخراجك خيراً اليهم .

٥ ـ قال الكسائي : كما أخرجك ربك من بيتك على كراهة من فريق منهم كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم أنك إنما تفعل ما أمرت به لا ما يريدون .

٦ ـ قال الفراء : امض لأمرك في الغنائم وتفل من شئت إن كرهوا كما أخرجك ربك .

٧ ـ قال الأخفش : الكاف نعت لـ « حقاً » والتقدير : هم المؤمنون حقاً كما .

٨ ـ ان الكاف في موضع رفع ، والتقدير : كما أخرجك ربك فاتقوا الله كأنه ابتداء وخبر .

٩ ـ قال الزجاج : الكاف في موضع نصب ، والتقدير : الأنفال ثابتة لله ثباتاً كما أخرجك ربك .

١٠ ـ إن الكاف في موضع رفع ، والتقدير : لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ، وهذا وعد حق كما أخرجك .

١١ ـ إن الكاف في موضع رفع أيضاً ، والمعنى : وأصلحوا ذات بينكم ذلكم خير لكم كما أخرجك، فالكاف نعت لخبر ابتداء محذوف.

١٢ ـ إنه شبه كراهية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجه من المدينة حين تحققوا خروج قريش للدفع عن أبي سفيان وحفظ غيره بكراهيتهم نزع الغنائم من أيديهم وجعلها للرسول أو التنفيل منها ، وهذا القول أخذه الزمخشري وحسّنه فقال : « يرتفع الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك » .

١٣ ـ ان قسمتك للغنائم حق كما كان خروجك حقاً .

١٤ ـ إن التشبيه وقع بين اخراجين ، أي : اخراجك ربك إياك من بيتك وهو مكـــة وأنت كاره لخروجك وكانت عاقبة ذلك الخير والنصر والظفر كاخراج ربك إياك من المدينة وبعض المؤمنـين كاره يكون عقيب ذلك الظفر والنصر .

١٥ ـ الكاف للتشبيه على سبيل المجاز كقول القائل لعبده : كما وجهتك الى أعدائي فاستضعفوك وسألت مـدداً فأمددتك وقوّيتك فخذهم الآن فعاقبهم بكذا ، وكم كسوتك وأجريت عليك الرزق فاعمل كذا وكما أحسنت إليك فاشكرني عليك .

وواضح أن مرجع هذه الأوجه واحد فتدبر والله يعصمك .

البلاغـة :

١ ـ التشبيهات التمثيلية الواردة في الآيات قد أشرنا إليها أثناء الإعراب لعلاقتها الوثيقة به .

٢ ـ العموم والخصوص في قوله تعالى « ليحق الحق ويبطل الباطل » بعد قوله : « يريد الله أن يحق الحق بكلماته » . والتحقيق في التمييز بين الكلامين أن الأول ذكرت فيه الارادة مطلقة غير متيدة بالواقعة الخاصة كأنه قيل : وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ومن شأن الله تعالى إرادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر عـلى الاطلاق ولإرادته أن يحق الحق ويبطـل الباطل خصكم بذات الشوكة ، فبين الكلامين عموم وخصوص واطلاق وتقييد ، ولا يخفى مافي ذلك من المبالغة في تأكيد المعنى بذكره على وجهين : اطلاق وتقييد .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾

الاعراب :

(وما جعله الله إلا بشرى) الواو استئنافية أو عاطفة على ما تقدم ،

وما نافية ، وجعله الله فعل ومفعول به وفاعل ، والضمير يعود للامداد ، وإلا أداة حصر وبشرى مفعول لأجله مستثنى من أعم العلل (ولتطمئن به قلوبكم) الواو عاطفة واللام للتعليل وتطمئن فعل مضارع منصوب أن مضمرة بعدها والجار والمجرور عطف على بشرى ، وجر المفعول من أجله باللام هنا لفقد شرط النصب وهو اتحاد الفاعل ، وقلوبكم فاعل تطمئن (وما النصر إلا من عند الله) الواو استئنافية أو حالية أيضاً . وما نافية والنصر مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إن الله عزيز حكيم) الجملة الاسمية تعليل لما تقدم (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) إذ ظرف مبدل من إذ يعدكم وهو ثاني بدل كما تقدم ، وجملة يغشيكم النعاس في محل جر بالاضافة والنعاس مفعول به وأمنة حال أو مفعول من أجله ، ومنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأمنة (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) وينزل عطف على يغشيكم وعليكم جار ومجرور متعلقان بينزل وكذلك من السماء ، وماء مفعول به ، وليطهركم : اللام للتعليل ويطهركم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها ، وبه جار ومجرور متعلقان بيطهركم (ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) جمل معطوفة على ما تقدم والضمير في به يعود على الماء حتى يسهل المشي على الرمال لأن العادة ان المشي عليها عسر فإذا نزل عليه الماء جمد ، وسهل المشي عليه وقيل الضمير يعود على الربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبت الأقدام في مواطن القتال .

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ

سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

اللغـة :

(البنان) : الأصابع كما في المصباح أو أطرافها ، الواحدة : بنانة. وقال أبو الهيثم : البنان : المفاصل وكل مفصل بنانة . وقيل : البنان الأصابع من اليدين والرجلين وجميع المفاصل من كل الأعضاء .

(شاقوا) : خالفوا والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعادين في عدوة خلاف عدوة صاحبه وكذلك المخاصمة لأن هذا في خصم أي في جانب وذلك في خصم .

الاعراب :

(إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم) الظرف يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من إذ يعدكم ويجوز أن ينتصب بيثبت أو أن يكون معمولاً لمحذوف ، أي : « اذكر » وجملة يوحي ربك في محل جر بالاضافة ، والى الملائكة جار ومجرور متعلقان بيوحي ، وأني وما في حيزها مفعول يوحي ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر أني (فثبتوا الذين آمنوا) الفاء الفصيحة أي إذا ثبت هذا فثبتوا الذين آمنوا بتبشيرهم بالنصر ، والذين مفعول به وجملة آمنوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (سألقي

في قلوب الذين كفروا الرعب) يجوز أن تكون الجملة تفسيراً لقوله : إني معكم فثبتوا ، ولا معونة أوكد وأجدى من إلقاء الرعب في قلوب الأعداء ، ويجوز أن تكون مستأنفة ، وفي كلتا الحالين لا محل لها من الاعراب ، وفي قلوب جار ومجرور متعلقان بألقي ، والرعب مفعول به لألقي ، وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) فعل أمر وفاعل ، وفوق ظرف متعلق باضربوا والمفعول به محذوف ، أي فاضربوهم فوق الأعناق ، ويجوز أن تكون « فوق » مفعولاً به على الاتساع لأنه عبارة عن الرأس ، كأنه قيل : فاضربوا فوق رؤوسهم وهذا ما اختاره الزمخشري ، قال : « أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزاً وتطييراً للرؤوس ، وقيل : أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق بمعنى ضرب الهام ، قال عمرو بن الاطنابة :

أبت لي عفّتي وأبى بـلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإقدامي عـلى المكروه نفسي ... وضربي هامـة البطل المشيح

لأدفـع عـن مآثر صالحات ... وأحجب بعد عن عرض صحيح

(ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله) اسم الاشارة مبتدأ ، والاشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعذاب وبأنهم خبره ، وجملة شاقّوا الله ورسوله خبر أن ، ولفظ الجلالة مفعول به ، ورسوله عطف عليه . (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) الواو استئنافية ، ومن شرطية مبتدأ ، ويشاقون فعل الشرط ، والفاء رابطة ، وإن واسمها، وخبرها، وفعل الشرط وجوابه خبر «من»، والشرط هنا تكملة لما قبله وتكرير لمضمونه (ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عـذاب النار) اسم الاشارة مبتدأ ، والخطاب للكفرة على طريق الالتفات ، والخبر محذوف تقديره :

العقاب ، ولك أن تعرب اسم الاشارة خبراً لمبتــدأ محذوف ، أي : العقاب ذلكم ، ويجوز أن يكون في محل نصب على الاشتغال ، كقولك: زيداً فاضربه ، وعلى كل حال فالفاء استئنافية ، وذوقوه كلام مستأنف ، وأن عطف على ذلكم في أوجهــه الثلاثة ، وللكافرين جــار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « أن » المقدم ، وعذاب النار اسمها المؤخر ، والمعنى : ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل .

البلاغــة :

في هذه الآيات فنون عديدة من البلاغة ، ألمعنا إليها خلال الاعراب لعلاقتها به ، وهي المجاز والالتفات والاستعارة في قوله : « فذقوه » ، وقد تقدمت هذه الفنون في مواطنها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٨) ﴾

اللغــة :

(زحفاً) : الزحف مصدر زحف ، وفي المصباح : زحف القوم زحفاً من باب نفع وزحوفاً ، ويطلق على الجيش الكثير زحف تسمية بالمصدر ، والجمع : زحوف ، مثل فلس وفلوس ، والصبي يزحف على الأرض قبل أن يمشي .

(متحرفاً) : منعطفاً ، أو هو الكرّ بعد الفرّ ، ليخيل لعدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه ، وهو باب من خدع الحرب ومكايدها .

(متحيزاً) : متحازاً منضماً ، والتحيز والتحوّز : الانضمام ، وتحوّزت الحية : انطوت ، وحزت الشيء : ضممته ، والحوزة ما يضم الأشياء . وأصل متحيز : متحيوز ، فاجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداها بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء بالياء .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) : تقدم إعرابها كثـيراً (إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط ، وجملة لقيتم في محل جر بالإضافة ، والذين مفعوله ، وجملة كفروا صلة ، وزحفاً حال من الذين ، أي : حال كونهم زاحفين ، وقيل : انتصب « زحفاً » على المصدر بحال محذوفة ، أي : زاحفين زحفاً ، وهذا الذي قيل محكم ، فحرم الفرار عند اللقاء بكل حال ، والفاء رابطة ، ولا ناهية ، وتولوهم فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به ، والأدبار : مفعول به ثان (ومن يولهم يومئذ

دبره) الواو استئنافية ، ومن شرطية مبتدأ ، ويولهم فعل وفاعل مستتر ومفعوله الأول ، ودبره مفعول يولهم الثاني ، ويومئذ ظرف مضاف لظرف وهو متعلق بيولهم (إلا متحرّفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة) « إلا » يجوز أن تكون أداة حصر لتقدم النهي ، ومتحرفاً حال ، ويجوز أن تكون « إلا » أداة استثناء ، ومتحرفاً مستثنى من ضمير المؤمنين ، ولقتال جار ومجرور متعلقان بـ « متحرفاً » ، أو متحيزاً الى فئة عطف على سابقه (فقد باء بغضب من الله) الفاء رابطة لجواب الشرط لاقتران الجواب بقد ، وباء : فعل ماض ، وبغضب جار ومجرور متعلقان بباء أو بمحذوف حال ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (ومأواهم جهنم وبئس المصير) الواو استئنافية أو عاطفة ، ومأواه مبتدأ ، وجهنم خبره ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ، والمصير فاعل بئس ، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مصيرهم (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) الفاء الفصيحة، أي : إذا افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ، فقد وقعت جواباً لشرط مقدر ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتقتلوهم فعل مضارع مجزوم بلم ، والواو حرف عطف ، ولكن حرف مشبه بالفعل ، وقد جاءت أحسن مجيء لوقوعها بين نفي وإثبات ، والله اسمها ، وجملة قتلهم خبرها (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) عطف على ما تقدم ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق برميت ، والواو عاطفة ولكن واسمها ، وجملة رمى خبرها (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم) الواو عاطفة ، واللام للتعليل ، ويبلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ، وأن وما في حيزها في محل جر باللام متعلقان بفعل محذوف ، تقديره : فَعَلَ ذلك ، والمؤمنين مفعول به ، وبلاء مفعول مطلق ، والبلاء هنا محمول على النعمة لأنه يقع على النعمة والمحنة معاً ، لأن أصله الاختبار ،

فهو مردوده ، وحسناً صفة ، وإن الله سميع عليم عطف على ما تقدم ، وإن واسمها وخبراها (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) تقدم إعراب نظير اسم الإشارة ، فهو مبتدأ ، وخبره محذوف ، أي ذلكم الإبلاء حق ، وأن الله أن ومافي حيزها عطف على ذلكم ، وموهن خبر « أن » ، وكيد الكافرين مضاف لموهن ، والإشارة للقتل والرمي والإبلاء ، ويجوز أن تكون « أن » وما في حيزها عطف على « وليبلي » أو في محل نصب بفعل مقدر ، أي : واعلموا أن الله .

البلاغة :

١ ـ فن التعريض :

في قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره » فن يقال له : فن التعريض وبعضهم يدخله في ضمن الكناية ، قال السعد التفتازاني : « الكناية إذا كانت عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض ؛ فقال عرضت لفلان وعرضت بفلان ؛ إذا قلت قولاً وأنت تعنيه فكأنك أشرت الى جانب وتريد جانباً آخر ، ومنه المعاريض في الكلام ، وهي التورية بالشيء عن الشيء » وقال الزمخشري : « الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : جئتك لأسلم عليك ، فكأنه أمال الكلام الى عرض يدل على المقصود ، وعُرْضُ الشيء بالضم ناصيته من أي وجه جئته » .

وقال ابن الأثير في المثل السائر : « الكناية ما يدل على معنى يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، ويكون في المفرد

والمركب ، والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي بل من جهة التلويح والإشارة ، فيختص باللفظ المركب ، كقول من يتوقع صلة : والله إني محتاج ، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولامجازاً ، وإنما فهم منه المعنى ، من عرض اللفظ ، أي : جانبه » .

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تعرف سر التعريض في هذا التعبير الرشيق بالآية ، فقد ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها ، فأتى بلفظ الدبر دون الظهر .

وقد ولع أبو الطيب بهذا الفن،فقد قال يعرض بكافور الاخشيدي :

ومن ركب الثورَ بعد الجوا ... دِ أنكر أظلافَهُ والغَبَبْ

يريد أن من ركب الثور وكان من عادته أن يركب الجواد ينكر أظلاف الثور وغببه ، وأما من كان مثل كافور وقد سبق له ركوب الثور فلا ينكر ذلك إن ركبه بعد الجواد . وقال أيضاً يستزيد كافوراً من الجوائز بعد مدحه :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله

فإني أغني منذ حين وتشرب

يقول مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقيني من فضل كأسك . ثم قال بعده :

وهبْتَ على مقدار كَفَّيْ زمانِنا

ونفسي على مقدار كَفَّيْكَ تطلبُ

٢ ـ فن الاستدراك والرجوع :

وهو الكلام المشتمل على لفظة « لكن » ، وهو قسمان : قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير ، وقسم لا يتقدمه ، ومن القسم الثاني قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ، فقد أتى الاستدراك في هذه الكلمات في موضعين كل منهما مرشح للتعطف ، فان لفظة تقتلوهم وقتلهم ، ورميت ورمى ، تعطف . وهذا أقرب استدراك وقع في الكلام لتوسط حرفه بين لفظي التعطف في الموضعين . وسيأتي مثال القسم الأول قريباً .

ومما ورد منه شعراً قول أبي الطيب :

هم المحسنونَ الكرَّ في حومة الوغى
وأحسنُ منه كرُّهُمْ في المكارمِ

ولولا احتقارُ الأُسْدِ شَبَّهْتُها بهم
لكنّها معدودةٌ في البهائمِ

وما أحسن قول بعضهم في الرأس المصلوب على الرمح :

وعاد لكنّه رأسٌ بلا جسدٍ
يمشي ولكنْ على ساقٍ بلا قدمِ

إذا تراءى على الخَطِّيِّ أسفرَ في
حالِ العبوس لنا عن ثغر مبتَسمِ

الفوائـد :

روى التاريخ أنه لما كان يوم أحد أخذ أُبَيّ بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : استأخروا ، فاستأخروا . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حربته في يده فرمى بها أبيّ بن خلف وكسر ضلعاً من أضلاعه ، فرجع أبيّ بن خلف الى أصحابه ثقيلاً ، فاحتملوه حين ولّوا قافلين ، فطفقوا يقولون : لا بأس . فقال أبيّ حين قالوا له ذلك : والله لو كانت بالناس لقتلتهم ، ألم يقل إني أقتلك إن شاء الله . فانطلق به أصحابه ينعشونه حتى مات ببعض الطريق فدفنوه . قال ابن المسيب وفي ذلك أنزل الله : « وما رميت إذ رميت » .

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ

ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾

اللغـة :

(تستفتحوا) : تطلبوا الفتح ، أي : القضاء والحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل ، روي أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة ، وقالوا : اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة ، أي : أهلكه .

(الدواب) : جمع دابّة . والمراد بها هنا الانسان . وإطلاق الدابة على الانسان حقيقي لما ذكروه في كتب اللغة من أنها تطلق على كل حيوان ولو آدمياً . وفي المصباح : الدابة كل حيوان في الأرض مميز أو غير مميز .

الاعراب :

(إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) إن شرطية ، وتستفتحوا فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط ، والفاء رابطة لاقتران الجواب بقد ، وقد حرف تحقيق ، وجاءكم الفتح فعل ومفعول به وفاعل (وإن تنتهوا فهو خير لكم) عطف على ما تقدم ، والإعراب مماثل لماقبله ، واقتران الجواب بالفاء لأنه جملة اسمية مؤلفة من مبتـدأ وخبر . وجملـة الجواب في الموضعين في محل جزم (وإن تعودوا نعد) عطف أيضاً . وجملة الجواب لا محل لها . (ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت)

عطف أيضاً ، وفئتكم فاعل تغني ، وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به ، والواو حالية ، ولو شرطية ، وكثرت فعل الشرط ، والجواب محذوف. (وأن الله مع المؤمنين) عطف أيضاً ، وفتح همزة « أن » بتقدير اللام ، والتقدير ولأن الله مع المؤمنين ،والله اسم أن ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف هو الخبر (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون) أطيعوا فعل أمر وفاعل ، والله مفعول به ، ورسوله عطف على الله ، وجملة ولا تولوا عطف على جملة أطيعوا ، ولا ناهية ، وتولوا مضارع مجزوم بلا الناهية ، والواو فاعل، وعنه جار ومجرور متعلقان بتولوا ، وأنتم : الواو حالية ، وأنتم مبتدأ ، وجملة تسمعون خبر (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون) عطف على ما تقدم ، والكاف اسم بمعنى مثل خبر تكونوا ، وهي حرف جر ، والجار والمجرور خبر ، وجملة قالوا صلة ، وجملة سمعنا مقول القول ، والواو حالية ، وجملة هم لا يسمعون في محل نصب على الحال. (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) إن واسمها ، وعند الله الظرف متعلق بمحذوف حال ، والصم خبر إن ، والبكم خبر ثان ، والذين صفة ، وجملة لا يعقلون صلة (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الواو استئنافية ، ولو حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط ، وعلم الله فعل وفاعل ، وفيهم جار ومجرور متعلقان بعلم ، وخيراً مفعول به ، ولأسمعهم : اللام رابطة لجواب لو ، وأسمعهم فعل وفاعل مستتر والهاء مفعول به . (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) الواو عاطفة ، ولو لمجرد الربط ولا يصح أن تكون امتناعية ، لأنه يصير المعنى : انتفى توليهم لانتفاء إسماعهم ، وهذا خلاف الواقع فهي حينئذ لمجرد الربط بمعنى إن ، وأسمعهم فعل ماض والهاء مفعول به ، لتولوا : اللام رابطة ، وتولوا فعل ماض وفاعل ، والواو حالية ، وهم

معرضون مبتدأ وخبر والجملة حالية ، والفرق بين الإسماعين أن يراد بالإول : ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم إسماعاً يخلق لهم به الهداية والقبول ، ولو أسمعهم لا على أنه يخلق لهم الاهتداء بل إسماعاً مجرداً من ذلك لتولوا وهم معرضون .

الفوائد :

قال ابن هشام :

« لهجت الطلبة بالسؤال عن قوله تعالى : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا » وتوجيهه أن الجملتين يتركب منهما قياس ، وحينئذ فنتج : لو علم الله فيهم خيراً لتولوا ، وهذا مستحيل . والجواب من ثلاثة أوجه : اثنان يرجعان الى نفي كونه قياساً ، وذلك بإثبات اختلاف الوسط ، أحدهما أن التقدير لأسمعهم إسماعاً نافعاً ولو أسمعهم إسماعاً لتولوا ، والثاني أن يقدر : ولو أسمعهم ، على تقدير عدم علم الخير فيهم . الثالث بتقدير كونه قياساً متحد الوسط صحيح الانتاج ، والتقدير : ولو علم الله فيه خيراً وقتاً ما لتولوا بعد ذلك الوقت .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ

تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴿٢٦﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) استجيبوا فعل أمر وفاعل ، ولله جار ومجرور متعلقان باستجيبوا ، وللرسول عطف على لله ، وإذا ظرف مستقبل ، وجملة دعاكم في محل جر بالإضافة ، ولما جار ومجرور متعلقان بدعاكم ، وجملة يحييكم صلة ما . واختلفوا في قوله « لما يحييكم » ، والأصح أنه عام شامل لكل ما فيه حياة القلوب والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) واعلموا عطف على استجيبوا ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا ، وجملة يحول خبر أن ، وبين ظرف متعلق بيحول ، والمرء مضاف إليه ، وقلبه عطف على المرء . وسيأتي معنى المجاز في حيلولة الله بين المرء وقلبه في باب البلاغة (وأنه إليه تحشرون) عطف على أن الله ، وإليه جار ومجرور متعلقان بتحشرون ، وجملة تحشرون خبر أنّ (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) واتقوا عطف على استجيبوا واعلموا ، وفتنة مفعول به ، وجملة لا تصيبن صفة لفتنة ، و « لا » على ذلك نافية ، ويجوز أن تكون معمولاً لقول محذوف ، وتكون لا ناهية ، وذلك القول هو الصفة ، أي : فتنة مقولاً فيها : لا تصيبن ، والنهي في

الصورة للنصيبة ، وفي المعنى للمخاطبين ، وقد أعربها الزمخشري إعراباً جبيلاً حيث قال : مانصه بالحرف : وقوله : « لاتصيبن » لايخلو من أن يكون جواباً للأمر أو نهياً بعد أمر ، أو صفة لفتنة . فإذا كان جواباً فالمعنى إن أصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم . وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعذيراً فعمهم الله بالعذاب . واذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنباً أوعقاباً ثم ، قيل:لاتتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة ، وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول ، كأنه قيل ، واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبن ، ونظيره قوله :

حتى إذا جنَّ الظـــــلامُ واختلطْ

جاءوا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذئب قطّ

والذين مفعول به ، وجملة ظلموا صلة ، ومنكم حال ، وخاصة منصوبة على الحال من الفاعل المستتر في قوله : لا تصيبن ، وأصلها أن تكون صفة لمصدر محذوف ، تقديره : إصابة خاصة (واعلموا أن الله شديد العقاب) أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) واذكروا عطف على اعلموا ، وإذ نصب الظرف هنا على أنه مفعول به لا ظرف ، أي : اذكروا وقت كونكم أقلة مستضعفين ، وجملة أنتم قليل مضافة للظرف ، وأنتم مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار ، وهي قليل ومستضعفون وفي الأرض (تخافون أن يتخطفكم الناس) جملة تخافون صفة كالتي قبلها ، أي : خائفون ، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في « قليل » و « مستضعفون » ،

وأن وما في حيزها مفعول تخافون ، والناس فاعل يتخطفكم (فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) الفاء عاطفة ، وآواكم فعل ماض وفاعل مستتر ، وعطف عليه ما بعده ، ولعل واسمها، وجملة تشكرون خبرها .

الفوائـد :

قال ابن هشام في المغنى ما نصه : « قوله تعـالى : «لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » فإنه يجوز أن تقدر لا ناهية أو نافية ، وعلى الأول فهي مقولة لقول محذوف هو الصفة ، أي : فتنة مقولاً فيها ذلك، ويرجحـه أن توكيد الفعـل بالنون بعـد لا الناهية قياس ، نحو : « ولا تحسبن الله غافلاً » وعلى الثاني فهي صفة لفتنة ، ويرجحه سلامته من تقدير القيد الثاني صلاحيتها للاستغناء عنها ، وخرج بذلك الصلة ، وجملة الخبر ، والجملة المحكية بالقول ، فإنها لا يستغنى عنها ، بمعنى أن معقولية القول متوقفة عليها .

وقال أبو حيان : « والجملة من قوله « لا تصيبن » خبرية صفة لقوله : « فتنة » ، أي : غير مصيبة الظالم خاصة . إلا أن دخول نون التوكيد عـلى المنفي بـ « لا » مختلف فيـه ، فالجمهور لا يجيزونه ، ويحملون ما جاء منه على الضرورة أو الندور . والذي نختاره الجواز ، وإليه ذهب بعض النحويين . وإذا كان قد جـاء لحاقها الفعـل منفية بـ « لا » مع الفصل ، نحو قوله :

فـلا ذا نعيـم يتركَنْ لنعيمـه

وإن قال قرّظني وخذْ رشوةً أبى

ولا ذا بئيس يتركنّ لبؤسه

فينفعه شكوى إليه إن اشتكى

فلأن تلحقه مع غير الفصل أولى ، نحو : ولا تصيبن .

البلاغة :

١ ـ المجاز في قوله تعالى : « يحول بين المرء وقلبه » . فأصل الحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره ، وباعتبار التغير قيل : حال الشيء يحول، وباعتبار الانفصال قيل:حال بينهما فحقيقة كون الله يحول بين المرء وقلبه أنه يفصل بينهما، فهو مجاز مرسل عن غاية القرب من العبد، لأن من فصل بين شيئين كان أقرب الى كل منهما من الآخر لاتصاله بهما ، فالعلاقة المحلية أو السببية . ويجوز أن يكون الكلام استعارة تمثيلية لغاية قربه من العبد ، واطلاعه على مكنونات القلوب وسرائر النفوس .

٢ ـ واختلف في « لا » من قوله تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » على قولين :

أ ـ أن « لا » ناهية ، وهو نهي بعد أمر ، أي : إنه كلام منقطع عما قبله ، كقولك : صلِّ الصبحَ ولا تضرب زيداً ، فالأصل : اتقوا فتنة ، أي : عذاباً ، ثم قيل : لا تتعرضوا للفتنة فتصيب الذين ... الخ ، وعلى هذا فالاصابة بالمتعرضين . وتوكيد الفعل بالنون واضح لاقترانه بحرف الطلب ، مثل : « ولا تحسبنّ الله غافلاً » ، ولكن وقوع الطلب صفة للنكرة ممتنع ، فوجب إضمار القول ، أي : واتقوا فتنة مقولاً فيها ذلك ، كما قيل في قوله :

حتى إذا جـــن الظـــلام واختلط
جاءوا بمذق هـل رأيت الـذئب قط

ب ـ أنها نافية ، واختلف القائلون بذلك على قولين : أحدهما أن الجملة صفة لفتنة ، ولا حاجـة إلى إضمار قول ، لأن الجملة خبرية . وعلى هذا فيكون دخول النون شاذاً مثله في قوله :

فلا الجـــارةُ الدنيا بها تَلْحَيَنَّها
ولا الضيفُ فيها إنْ أناخ مُحَوَّلُ

بل هو في الآية أسهل ، لعدم الفصل ، وهو فيهما سماعي . والذي جوزه تشبيه لا النافية بلا الناهية ، وعلى هذا الوجه تكون الاصابة عامة للظالم وغيره لا خاصة بالظالمين ، كما ذكره الزمخشري ، لأنها قد وصفت بأنها لا تصيب الظالمين خاصة ، فكيف تكون مع هذا خاصة بهم ! والثاني أن الفعل جواب الأمر ، وعلى هذا فيكون التوكيد أيضاً خارجاً عن القياس وشاذاً . وممن ذكر هذا الوجه الزمخشري ، وهو فاسد ، لأن المعنى حينئذ : فإنكم إن تتقوها لاتصب الظالم خاصة. وقوله : إن التقدير: إن أصابتكم لاتصيب الظالم خاصة ، مردود ، لأن الشرط إنما يقدر من جنس الأمر ، لامن جنس الجواب .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

﴿ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) لا ناهية ، وتخونوا مضارع مجزوم بلا الناهية ، والواو فاعل ، ولفظ الجلالة مفعول به ، والرسول عطف على الله (وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) الواو يجوز فيها أن تكون واو المعية ، فيكون « تخونوا » منصوباً بأن مضمرة بعدها ، لأنها وقعت جواباً للنهي ، ويجوز أن تكون عاطفة فيكون « تخونوا » مجزوماً داخلاً في حكم النهي . ولعل الثاني أولى ، لأن فيه النهي عن كل واحد على حدته ، بخلاف الأول ، فإن فيه النهي عن الجمع بينهما . ولايترتب على النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته . وأماناتكم مفعول به على تقدير محذوف ، أي أصحاب أماناتكم . وسيأتي بحث استعارة الخيانة في باب البلاغة ، وأنتم الواو للحال ، وأنتم مبتدأ ، وجملة تعلمون خبر ، وجملة أنتم تعلمون حالية ، وحذف مفعول يعلمون للعلم به ، أي تعلمون أن ما وقع منكم خيانة .

(واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم) واعلموا عطف على مقدم ، وأنما كافة ومكفوفة ، وقد سدت مسد مفعولي اعلموا ، ولذلك فتحت همزتها ، وسيأتي بحث فتح همزة إن وكسرها في باب الفوائد ، وأموالكم مبتدأ ، وأولادكم عطف على « أموالكم » ، وفتنة خبر ، وجعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة ، وهي الإثم والعذاب ، أو محنة وابتلاء من الله ليسبر غوركم ، ويكتنه حقيقتكم ،

فما عليكم ـ والأمر بهـذه المثابة ـ إلا توطين النفس عـلى الاخلاص والتزهد في زخارف الدنيا ، وعدم الاغترار بأباطيلها وأفاويقها ، وأن الله عطف على أنما أموالكم وأولادكم ، وأن واسمها ، وعنده الظرف خبر مقدم ، وأجر مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر « أن » ، وفي هذا صارف لكم عن حب الدنيا وإيثارها على ما عند الله ، وهو خير وأبقى . وفي هذا كله حث على اكتساب الأجر ، وحسن الأحدوثة ، وخلود الذكر .

(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) إن شرطية ، وتتقوا فعـل الشرط ، ولكم جار ومجرور متعلقـان بيجعل ، وفرقاناً مفعول به ، أي : نصراً يفرق بين الحق والباطـل ، وبين الكفر بإذلال مشايعيه ، والإسلام بتعزيز مناجديه ، أو منجاة من الشبهات التي تزيغ فيها الضمائر ، وتضل الأفهـام ، وتعشو النواظر عن رؤيـة الحق .

هذا وقد اختلف في « الفرقان » هنا ، فقال بعضهم : هو ما يفرق به بين الحق والباطل ، والمعنى أنه يجعل لهم من ثبات القلوب ، وثقوب البصائر ، وحسن الهداية ، ما يفرقون به بينهما عند الالتباس . وقيل : الفرقان المخـرج من الشبهات ، والنجاة من كـل ما يخافونـه ، ومنه قول الشاعر :

مالك من طول الأسى فرقـان بعـد قطـين رحلوا وبانوا

ومنه قول الآخر :

وكيف أرجّي الخلـد والموتُ طالبي

ومـالي من كأس المنية فرقـانُ

وقال الفرّاء : المراد بالفرقان : الفتح والنصر . وقال ابن اسحق : الفرقان الفصل بين الحق والباطل . وقال السّدّيّ : الفرقان النجاة . (ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) عطف على ما تقدم (والله ذو الفضل العظيم) الواو استئنافية ، والله مبتدأ ، وذو الفضل خبره ، والعظيم صفة للفضل .

البلاغة :

الاستعارة في « لا تخونوا أماناتكم » فالخون في الأصل هو النقص ، ومنه تخوّنه إذا تنقّصه ، ثم استعير فيما هو ضد الأمانة والوفاء ، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت النقصان عليه . وقد استعير أيضاً في قولهم خان الدلو الكرب . والكرب هو ــ كما في الصحاح ــ حبل يشد في رأس الدلو . وخان المشْتار السبب ، والمشتار مجتني العسل ، والسَّبَب الحبل ، وإذا انقطع الحبل فيهما فكأنه لم يفِ . والاستعارة هنا تصريحية تبعية .

الفوائد :

مواضع كسر همزة إن :

يجب أن تكسر همزة (إن) حيث لايصح أن يسدّ المصدر مسدها ومسد معمولها ، وذلك في اثني عشر موضعاً :

١ ــ أن تقع في ابتداء الكلام حقيقة كقوله تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » أوحكما كقوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

٢ً ـ أن تقع بعد « حيث » ، نحو : اجلس حيث إن العلم موجود .

٣ً ـ أن تقع بعد « إذ » ، نحو جئتك إذ إن الشمس تطلع .

٤ً ـ أن تقع تالية للموصول ، نحو « وآتيناه من الكنوز ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » .

٥ً ـ أن تقع جواباً للقسم نحو : والله إن العلم نور ، وقوله تعالى : « والعصر إن الإنسان لفي خسر » .

٦ً ـ أن تقع بعد القول محكية به ، كقوله تعالى : « قال : إني عبد الله » فإن كان القول بمعنى الظن لم تكسر ، مثل أتقول أن عبد الله يقول كذا ؟ أي : أتظن . وإن كانت غير محكية بالقول لم تكسر أيضاً ، نحو : أخصك بالقول أنك فاضل ، فهي هنا بمعنى التعليل ، أي : لأنك فاضل ، فهي مع مافي حيزها منصوبة بنزع الخافض .

٧ً ـ أن تقع مع مابعدها حالاً ، نحو : جئت وإن الشمس تغرب ، ومنه قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » .

٨ً ـ أن تقع مع مابعدها صفة لماقبلها ، نحو : جاء رجل إنه فاضل .

٩ً ـ أن تقع صدر جملة استئنافية ، نحو : فلان يزعم أني أسأت إليه ، إنه لكاذب . وهذه من الواقعة ابتداء .

١٠ً ـ أن تقع في خبرها لام الابتداء أو اللام المزحلقة ، كما

يسميها النحاة كقوله تعالى « والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » .

١١ — أن تقع مع مافي حيزها خبراً عن اسم ذات ، نحو علي إنه فهل . ومنه قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا إن الله يفصل بينهم » ، فجملة : « إن الله يفصل بينهم » خبر إنّ الذين آمنوا ، وما عطف عليه ، لأنها أسماء .

١٢ — أن تقع بعد « كلاّ » الرادعة ، كقوله تعالى : « كلا إن الإنسان ليطغى » .

مواضع فتح همزة أن :

ويجب فتح همزة (أن) حيث يصح أن يسد المصدر مسدها ومسد معموليها ، وذلك في أحد عشر موضعاً :

١ — أن تكون ومافي حيزها في موضع الفاعل ، نحو : بلغني أنك مجتهد ، ومنه قوله تعالى : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ». ومن ذلك أن تقع بعد « لو » ، نحو « ولوأنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عندالله خير » فما بعد « أن » في تأويل مصدر مرفوع فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت ، واللام لام الجواب فالجملة بعدها جواب « لو » .

٢ — أن تكون ومافي حيزها في موضع نائب الفاعل ، نحو قوله تعالى « قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن » أي استماع نفر .

٣ً ـ أن تكون هي ومافي حيزها في موضع المبتدأ ، كقوله تعالى : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة » فالجار والمجرور خبر مقدم ، ومابعد «أن» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، أي : رؤيتك الأرض خاشعة من آياته .

٤ً ـ أن تكون هي ومابعدها في موضع الخبر عن اسم معنى غير قول ولاصادق عليه ، أي على اسم المعنى خبرها نحو : اعتقادي أنه فاضل . فيجب فتحها لأنها خبر « اعتقادي » ، وهو اسم معنى ، غير قول ولاصادق ، على اعتقادي خبرها ، لأن « فاضل » لايصدق على الاعتقاد . وانما فتحت لسد المصدر مسدها ومسد معموليها ، والتقدير ، اعتقادي فضله أي معتقدي ذلك.ولم يجز كسرها على أن تكون مع معموليهاجملة مخبراً بها عن اعتقادي ، لعدم الرابط ، لأن اسم «أن» لايعود على المبتدأ الذي هو اعتقادي ، لأن خبرها غير صادق عليه ، فهو يعود على غيره ، فتبقى الجملة بلا رابط ، بخلاف : قولي : إنه فاضل ، فيجب كسرها ، لأنها وقعت خبراً عن « قولي » ولاتحتاج الى رابط لأن الجملة إذا قصد حكاية لفظها كانت نفس المبتدأ في المعنى ، والتقدير : قولي هذا اللفظ لاغيره . وبخلاف : « اعتقاد زيد إنه حق » فيجب كسر همزة « إنه » أيضاً ، لأن خبرها وهو صادق على الاعتقاد ، ولامانع من وقوع جملة إن ومعموليها خبراً عن المبتدأ ، لأن اسم إن رابط بينهما ، ولايصح فتحها لأنه يصير اعتقاد زيد كون اعتقاده حقاً ، وذلك لايفيد ، لأن الخبر لا بد أن يستفاد منه مالا يستفاد من المبتدأ .

٥ً ـ أن تكون هي ومافي حيزها في موضع تابع لمرفوع على أنه معطوف عليه أو بدل منه ، نحو بلغني اجتهادك وأنك حسن الخلق ، والتأويل : بلغني اجتهادك وحسن خلقك ، فهو معطوف عليه ، ونحو :

يعجبني سعيد أنه مجتهد ، والتأويل يعجبني سعيد اجتهاده فالمصدر المؤول بدل اشتمال من « سعيد » .

٦ — أن تكون هي وما في حيزها في موضع المفعول به ، كقوله تعالى « ولاتخافون أنكم أشركتم بالله» والتأويل : ولاتخافون إشراككم

٧ — أن تكون هي ومافي حيزها في موضع خبراً لكان أو إحدى أخواتها ، نحو : كان يقيني أنك تتبع الحق ، والتأويل : كان يقيني اتباعك للحق .

٨ — أن تكون هي ومافي حيزها فيموضع تابع لمنصوب بالعطف أو بالبدليه ، كقوله تعالى : « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين » والتقدير : اذكروا نعمتي عليكم وتفضيلي إياكم. وقوله تعالى « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنهالكم » ، والتقدير — كما تقدم — يعدكم إحدى الطائفتين كونها لكم ، فما بعد أن في تأويل مصدر منصوب بدل اشتمال من إحدى .

٩ — أن تقع بعد حرف الجر كقوله تعالى : « ذلك بأن الله هو الحق » .

١٠ — أن تقع هي وما في حيزها في موضع المضاف إليه ، كقوله تعالى : « إنه لحق مثلما أنكم تنطقون » ، أي مثل نطقكم .

١١ — أن تقع هي ومافي حيزها في موضع تابع لمجرور بالعطف أو بالبدلية ، نحو سررت من أدب علي وأنه عاقل ، والتقدير : سررت من أدب علي وعقله . ونحو : عجبت منه أنه مهمل ، والتقدير : عجيب منه إهماله ، والمعنى : عجبت من إهماله . فما بعد « أن » في تأويل مصدر مجرور بدل اشتمال من الهاء في « منه » .

المواضع التي يجوز فيها الكسر والفتح :

ويجوز الأمران : كسر همزة إن وفتحها حيث يصح الاعتباران : التأويل بمصدر ، وعدم التأويل ، وذلك في تسعة مواضع :

١ ـ بعد « إذا » الفجائية ، نحو : خرجت فإذا أن سعيداً واقف ، فالكسر على معنى : فاذا سعيد واقف ، والفتح على تأويل مابعدها بمصدر مبتدأ محذوف الخبر ، والتأويل : فإذا وقوفه حاصل . وقدروي بالوجهين قول الشاعر :

وكنت أرى زيداً ، كما قيل سيداً إذا أنه عبد القفا واللهازم

أنشده سيبويه ولم يعزه الى أحد ، وأرى بضم الهمزة ، وأصله: يريني الله ، فعمل فيه العمل المشهور من ضم أوله وفتح ماقبل آخره وحذف الفاعل ، وزيد على ذلك هنا ابدال الياء همزة للاحتياج الى ذلك ، لأنه لما حذف الفاعل وأنيب المفعول به لزم إسناد الفعل الى ضمير المتكلم ، ولا يسندله إلا المبدوء بالهمزة ، فحذفت الياء واتي بالهمزة عوضها ، وهو متعد الى ثلاثة مفاعيل ، الأول هو النائب عن الفاعل ، والثاني « زيداً » ، والثالث « سيداً » ، وجملة « كما قيل » اعتراضية ، فالكسر على معنى الجملة ، أي فإذا هو عبد القفا ، والفتح على معنى الإفراد ، أي : فالعبودية حاصلة ، على جعلها مبتدأ حذف خبره ، كما تقول : خرجت فإذا الأسد ، أي : حاضر . واللهازم جمع لهزمة ، بكسر اللام والزاي ، وهي عظم نأتيء تحت الأذن . والمعنى : كنت أظن سيادته فلما نظرت الى قفاه ولهازمه تبين لي عبوديته وكنى عن ذلك بأنه يضرب على قفاه ولهزمتيه ، والقفا موضع الصفع .

٢ ـ بعد فاء الجزاء، كقوله تعالى : « من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » ، قرى بكسر «إن» وفتحها، فالكسر على جعل مابعد فاء الجزء جملة تامة ، والمعنى : فالغفران والرحمة حاصلان، والفتح على تقدير أن ومعموليها خبراً لمبتدأ محذوف، والمعنى : فالحاصل الغفران والرحمة ، أومبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى : فالغفران والرحمة حاصلان .

٣ ـ أن تقع مع مافي حيزها في موضع التعليل كقوله تعالى : « صل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، فالكسر على أنها جملة تعليلية ، والفتح على تقدير لام التعليل الجارة ، أي : لأن صلاتك سكن لهم . ومنه الحديث الشريف : « لبيك إن الحمد والنعمة لك » ، يروى بكسر « إن » وفتحها ، فالكسر على أنه تعليل مستأنف ، والفتح على تقدير لام العلة .

٤ ـ أن تقع بعد فعل قسم ولالام بعدها ، كقول رؤبه :

أوتحلفي بربك العليّ   أني أبو ذيّالِكَ الصبيّ

يروى بكسر « إن » وفتحها فالكسر على الجواب للقسم ، والفتح بتقدير « على » .

٥ ـ أن تقع خبراً عن قول ، ومخبراً عنها بقول ، والقائل للقولين واحد ، نحو : قولي إني أحمد الله ، بفتح همزة « إن » وكسرها . فالفتح على حقيقته من المصدرية ، أي قولي حمداً لله ، والكسر على معنى المقول ، أي : مقولي إني أحمد الله .

٦ً ــ أن تقع بعد واو مسبوقة بمفرد صالح للعطف عليه ، كقوله تعالى : « إن لك أن لاتجوع فيها ولاتعرى وأ نك لاتظمأ ولا تضحى » ، قرأ نافع وأبو بكر بالكسر في « وإنك لاتظمأ » إما على الاستئناف أو العطف على جملة « إن » الأولى ، وعليهما فلا محل لها من الإعراب • وقرأ الباقون من السبعة بالفتح بالعطف على « أن لايجوع » من عطف المفرد على مثله ، والتقدير : أن لك عدم الجوع وعدم الظمأ •

٧ً ــ أن تقع بعد « حتى » ، ويختص الكسر بالابتدائيه ، نحو : مرض زيد حتى إنهم لا يرجونه ، ويختص الفتح بالجارة والعاطفة ، نحو : عرفت أمورك حتى أنك فاضل ف «حتى» في هذا المثال تصلح لأن تكون جارة ولأن تكون عاطفة ، وأن فيهما مفتوحة •

٨ً ــ أن تقع بعد « أما » بفتح الهمزة وتخفيف الميم ، نحو : أما أنك فاضل فالكسر على أن « أما » حرف استفتاح بمنزلة « ألا » وتلك تكسر « إن » بعدها ، والفتح على أنها مركبة من همزة الاستفهام و « ما » العامة بمعنى شيء ، وصارا بعد التركيب بمعنى : أحقاً •

٩ً ــ أن تقع بعد « لاجرم » ، نحو قوله تعالى : « لاجرم أن الله يعلم مايسرون » ، والغالب الفتح ، ووجهه أن تجعل مابعد « أن » مؤولاً بمصدر مرفوع فاعل لجرم ، وجرم معناه ثبت وحق ، وأصل الجرم القطع ، وعلم الله بالأشياء مقطوع به ، لأنه حق وثابت ، ولا حرف نفي للجواب يراد به كلام سابق ، فكأنه قال : لا ، أي : ليس الأمر كما زعموا ، ثم قال جرم ان الله يعلم ، أي حق وثبت علمه •

وسيأتي مزيد من القــول في « لا جرم » عند الكــلام عليها في موضعها •

تنبيه لابد منه :

حيث جاز فتح « إن » وكسرها فالكسر أولى وأكثر لعدم تكلفه ، إلا إذا وقعت بعد « لاجرم » كما علمت .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) ﴾

اللغة :

(أساطير) : جمع أسطورة ، كأحدوثة وأحاديث : ما سطر وكتب من القصص والأخبار .

الاعراب :

(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) الظرف مفعول به لأذكر مقدرة ، والمعنى : واذكر يا محمد إذ يمكر بك الذين كفروا . والمكر الاحتيال في إيصال الضرر للآخرين . وقصة هذا المكر في المطولات . وجملة يمكر مضاف إليها الظرف ، وبك متعلق بيمكر ، والذين فاعل يمكر ، وجملة كفروا صلة الموصول ، واللام للتعليل ، ويثبتوك منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، أو يقتلوك عطف عليه ، أو يخرجوك عطف أيضاً . والمعنى : اذكر إذ اجتمعوا في

دار الندوة ـ وهي أول دار بنيت بمكة ـ ليثبتوك ، أي : يوثقوك ويحبسوك ، أو يقتلوك كلهم قتلة رجل واحد ، أو يخرجوك من مكة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الواو استئنافية ، ويمكرون فعل مضارع ، والواو فاعل ، ويمكر الله عطف ، والله مبتدأ ، وخير الماكرين خبره ، وسيأتي بحث هذا في باب البلاغة (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا) الواو استئنافية ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وجملة تتلى مضاف إليها الظرف ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بتتلى ، وآياتنا نائب فاعل ، وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة قد سمعنا مقول القول (لو نشاء لقلنا مثل هذا) لو شرطية ، ونشاء فعل الشرط ، واللام رابطة، وجملة قلنا لا محل لأنها جواب شرط غير جازم ، ومثل صفة لمفعول مطلق ، أي : قولاً مثل هذا (إن هذا إلا أساطير الأولين) إن نافية ، وهذا مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وأساطير الأولين خبر هذا .

البلاغة :

١ ـ يحتمل قوله « ويمكر الله » أن يكون استعارة تبعية من إطلاق المكر على الرد ، لأنه لما كان معنى المكر حيلة يجلب بها مضرة الى الآخرين ، وهو مالا يجوز في حقه تعالىٰ ، كان المراد بمكر الله رد مكرهم ، أي عاقبته ووخامته عليهم . ويجوز أن يكون من باب المشاكلة ، وقد تقدم نظيره ، كما تقدم الحديث عن هذا الفن ، أي : ان المراد بمكر الله مجازاتهم على مكرهم بجنسه ، على سبيل المجاز المرسل ، والعلاقة السببية . ويحتمل أن يكون الكلام استعارة تمثيلية، بتشبيه حالة تعليل المسلمين في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال الذي يظهر خلاف ما يبطن .

٢ ــ في قوله تعالى « قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » فن يسمى التغاير ، وهو تغاير المذهبين ، أما في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئاً أو يذمه أويذم مامدحه غيره ، أو بالعكس أو يفضل شيئاً على شيء ، ثم يعود فيجعل المفضول فاضلاً ، والفاضل مفضولاً . وقد تقدمت الإشارة اليه مع ذكر نماذج منه . ونقول إن التغاير هنا المقصود مغايرتهم أنفسهم ، فقد قالت قريش عن القرآن : «ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين » إنكاراً منهم لغرابة أسلوبه وما بهرهم من فصاحته . ويلزم هذا الكلام إقرارهم بالعجز عن محاكاته ، ثم غايرت قريش نفسها فقالت قد سمعنا « لو نشاء لقلنا مثل هذا » ، ولو كان القولان في وقت واحد لكان ذلك تناقضاً ، وهو عيب ، ولم يعد في المحاسن ، لكن وقوعه في زمنين مختلفين ووقتين متباينين اعتد من المحاسن ، ولذلك سمي تغايراً لا تناقضاً .

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) ﴾

الاعراب :

(وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) إذ منصوب باذكر محذوفة ، وقد تقدم القول فيها مشبعاً ، وجملة قالوا مضاف إليها الظرف ؛ واللهم منادى مفرد علم حذفت منه « يا » وعوضت عنها الميم المشددة ، وإن شرطية ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، وهذا اسمها ، وهو ضمير فصل ، والحق خبر كان، ومن عندك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فأمطر علينا حجارة من السماء) الفاء رابطة ، وأمطر فعل أمر ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأمطر ، وحجارة مفعول به ، ومن السماء صفة لحجارة ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (أو ائتنا بعذاب أليم) أو حرف عطف ، وائت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، والفاعل مستتر ، وبعذاب جار ومجرور متعلقان بائتنا ، وأليم صفة • (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الواو استئنافية ، وما نافية ، وكان واسمها ، واللام لام الجحود ، ويعذبهم منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان ، وأنت فيهم الواو للحال ، والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر حالية (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) عطف على الجملة السابقة ، وهم يستغفرون في موضع الحال ، ومعناه نفي الاستغفار عنهم ، أي : ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم ، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ، ولا يتوقع ذلك منهم • (وما لهم أن لا يعذبهم الله) الواو عاطفة ، وما اسم استفهام إنكاري للنفي مبتدأ ، ولهم خبر ، وأن لا يعذبهم الله أن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض ، متعلق بما تعلق به الجار والمجرور السابق ، أو بمحذوف حال ، على حد قوله :

تقول سليمى ما لجسمك شاحباً كأنك يحميك الطعـــام طبيب

والمعنى : وكيف لا يعذبون ، وأي شيء ثبت واستقر لهم في أن لا يعذبوا ؛ أي : ليس ثمة ما يمـنع من حيلولة عـذابه بهم (وهم يصدون عن المسجد الحرام) الواو للحال ، وجملة هم يصدون حالية ، والمعنى وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) الواو عاطفة أو حالية ، وكانوا أولياءه كان واسمها وخبرها (إن أولياؤه إلا المتقون) إن نافية ، وأولياءه مبتدأ ، وإلا أداة حصر ؛ والمتقون خبر « أولياؤه » (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لكن واسمها ، والجملة خبرها ، والواو حالية أو استئنافية .

البلاغـة :

في قوله تعالى « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » الخ فن عجيب يسمى « فن التنكيت » . وحدُّه أن يقصد المتكلم الى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده ، لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه ، فإن لقائل أن يقول : ما النكتة التي رجحت اختلاف الصيغتين من الفعل وهو « يعذبهم » ، واسم الفاعـل وهو « معذبهم » عـلى اتفاقهما ، مع اتفاق زمانيهما ، فإن مدة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم في المخاطبين منقسمة على الحال والاستقبال ، وكذلك مدة الاستغفار ، وهل يجوز مجيء كل واحدة من الصيغتين في مجاز الأخرى أم لا يجوز إلا ما جاء به الرسل ؟ أو هـل يجوز الاقتصار عـلى الفعل الدال على الزمانين دون اسم الفاعل أم لا ؟ والجواب أن معرفة النكتة رجحت مجيء الكلام على ما جاء عليه بحيث لا يجوز غيره أن المخاطبين به هم المنافقون الذين لم يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في إمهالهم مدة مقامه

فيهم ، لا من قبل نزول الآية ولا من بعدها . والخبر الصادق يجب أن يكون طبق المخبر ، ولما كان الرابع الذي أمر الخبير به نفي تعذيبهم في الماضي والحال دون الاستقبال فإن الخبر الصادق قد أخبر بهم في الاستقبال حيث قال : « وما لهم أن لا يعذبهم الله » اقتضت البلاغة مجيء الفعل المضارع الدال ـ مع الإطلاق ـ على الزمانين مع القرينة على أحدهما بحسب ما يدل عليه واقترن به قوله تعالى : « وأنت فيهم » فأفاد دلالته على الحال دون الاستقبال ، ونفي حصول العلم بنفي تعذيبهم فيما مضى من الزمان قبل نزول الآية ، فأتى سبحانه بصيغة اسم الفاعل المضاف ليدل على الماضي ، فاقتضى حسن الترتيب أن يقدم صيغة الفعل لدلالتها على الحال الذي هو مدة مقامه فيهم ، لأن نفي العذاب فيما هو الأهم . وسيرد من التنكيت في القرآن ما يبهر العقول .

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

اللغـة :

(المكاء) : بضم الميم كالثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ، ومنه المكّاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه . قال عنترة :

وحليل غانية تركتُ مجدّلا تمكو فريصته كشدق الأعلم

أي : ورب زوج امرأة بارعة الجمال، مستغنية بجمالها عن التزين، قتلته وألقيته على الأرض ، وكانت فريصته تمكو بانصباب الدم منها ، كشدق الأعلم .

(التصدية) : التصفيق ، وقد اختلف في أصله ، فقيل : هو من الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت في الأمكنة الصلبة الخالية ، يقال منه : صدّى يصدّي تصدية ، والمراد بها هنا ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى . وقيل : هو مأخوذ من التصدد ، وهو الضجيج والصياح والتصفيق ، فأبدلت إحدى الدالين ياء تخفيفاً . وقيل هو من الصدّ أي المنع ، والأصل تصددة بدالين أيضاً ، فأبدلت ثانيتهما ياء .

وقال ابن يعيش : « فأما التصدية من قوله تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » فالياء بدل من الدال ، لأنه من صد يصد ، وهو التصفيق والصوت ، ومنه قوله تعالى : « إذا قومُك منه يَصِدّون » أي : يضجّون ويعجّون ،فحوّل إحدى الدالين ياء ، هذا قول أبي عبيدة ، وأنكر الرستمي هذا القول ، وقال : إنما هو من الصدى ، وهو الصوت . والوجه الأول غير ممتنع لونوع يصدون على الصوت أو ضرب منه ، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يكون تصدية

منه ، فتكون « تفعلة » كالتحة والتعلة ، فلما قلبت الدال الثانية ياء امتنع الادغام لاختلاف اللفظين » .

(رَكَمه) : يجمعه متراكماً بعضه على بعضه . وفي المختار : « ركم الشيء إذا جمعه وألقى بعضه على بعض ، وبابه نصر . وارتكم الشيء وتراكم اجتمع ، والركام بالضم الرمل المتراكم والسحاب ونحوه » .

الاعراب :

(وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) الواو استئنافية أو عاطفة ، وما نافية ، وكان واسمها ، وعند البيت الظرف متعلق بمحذوف حال ، وإلا أداة حصر ، ومكاء خبر كان ، وتصدية عطف على مكاء ، والمعنى أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة ، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء ، وهم مشبكون بين أصابعهم ، يصفرون فيها ويصفقون . وهذا أسلوب بليغ من أساليب العرب على حد قول الفرزدق :

وما كنت أرجو أن يكون عطاؤه

أداهم سوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرا

أي : ما كنت أظن أن يكون عطاؤه قيوداً سوداً أو سياطاً مفتولة حمراً ، ويروى : « سمرا » ، فوضع القيود والسياط موضع العطاء ، ووضع الشاعر الرجاء موضع الظن ، وأطلق العطاء على العقاب مجازاً . (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) الفاء الفصيحة ، وذوقوا فعل أمر وفاعل ، والعذاب مفعول به ، والباء للسببية ، وما مصدرية ، أي : بسبب كفركم ، وقد تقدمت له نظائر (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم

ليصدوا عن سبيــل الله) إن واسمهـا ، وجملة كفروا صله ، وجملة ينفقون أموالهم خبر الذين ، وليصدوا اللام للتعليل ، ويصدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ، والواو فاعل ، وعن سبيل الله متعلق بيصدوا (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) الفاء عاطفة ، والسين حرف استقبال ، وينفقونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به ، ثم حرف عطف للتراخي والترتيب ، وتكون معطوف على ينفقونها ، واسمها مستتر تقديره هي ، وعليهم متعلقان بمحـذوف حال ، لأنها كانت في الأصل صفـة لحسرة وتقـدمت ، وحسرة خبر تكون ، ثم يغلبون عطف على ثم تكون ، والواو نائب فاعل (والذين كفروا الى جهنم يحشرون) الذين مبتدأ ، وكفروا صلة ، وجملة يحشرون خبر الذين ، والى جهنم متعلق بيحشرون (ليميز الله الخبيث من الطيب) اللام للتعليل ويميز منصوب بأن مضمرة ، والجار والمجرور متعلقان بأحد الأفعال المتقدمة ، والله فاعل ، والخبيث مفعول به ، ومن الطيب متعلق بيميز ، أي الفريق الخبيث من الفريق الطيب (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) ويجعل عطف على يميز ، والخبيث مفعوله ، وبعضه بدل من الخبيث بدل بعض من كل ، وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أو في محل نصب مفعول به ثان ليجعل ، والتقدير : ويجعل بعض الخبيث عالياً على بعض (فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم) الفاء عاطفة ، ويركمه عطف على يجعل ، والهاء مفعوله ، وجميعاً حال من الهاء في يركمه ، أو توكيد لها ، فيجعله عطف على يركمه ، وفي جهنم مفعول به ثان (أولئك هم الخاسرون) مبتدأ وخبر ، وهم ضمير فصل ، أو مبتدأ أول وثان ، والخاسرون خبر الثاني ، والجملة الاسمية خبر أولئك .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

الاعراب :

(قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) الجار والمجرور متعلقان بقل ، واختلف في معنى هذه اللام ، والأرجح أنها للتبليغ ، أمر أن يبلغهم بالجملة المحكية بالقول ، سواء أوردوها بهذا اللفظ أم بلفظ آخر مؤدٍّ لمعناها ومضمونها ، واختار الزمخشري أن تكون للتعليل ، أي : قل لأجلهم هذا القول ، وهو : إن ينتهوا الخ . وحجة الزمخشري أنه لو كان بمعنى خاطبهم لقيل : إن انتهوا يغفر لكم. وإن شرطية ، وينتهوا فعل الشرط ، ويغفر بالبناء للمجهول جواب الشرط ، ولهم جار ومجرور متعلقان بيغفر ، وما اسم موصول نائب فاعل ، وجملة قد سلف صلة . (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، ويعودوا فعل الشرط ، ومتعلقه محذوف ، أي لقتاله أو للكفر ، وكلاهما مراد فقد الفاء رابطة للجواب ، وقد حرف تحقيق ، ومضت سنة الأولين فعل وفاعل ومضاف إليه (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) عطف على قل للذين ، وأفرد الأمر في الأول لأن الخطاب للنبي وحده بما هو داخل في نطاق مهمته ، وجمع الأمر في الثاني لأن الخطاب للمؤمنين جميعاً ، لتهييجهم الى

المحاربة ، ومقاتلة عدوهم ، ومثيري الفتن عامة ، وحتى حرف غاية وجر ، ولا نافية ، وتكون منصوبة بأن مضمرة بعد حتى ، والجار والمجرور متعلقان بقاتلوهم ، وتكون هنا تامة ، وفتنة فاعل ، ويكون عطف على تكون ، وهي هنا ناقصة ، والدين اسمها ، وكله توكيد ، ولله خبر (فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) الفاء عاطفة . وإن شرطية ، وانتهوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة ، وإن واسمها ، وبصير خبرها ، وبما يعملون جار ومجرور متعلقان ببصير ، وجملة يعملون صلة (وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) عطف على سابقه ، والإعراب مماثل ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي فاعلموا ، ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح ، والمولى فاعل ، والمخصوص بالمدح محذوف ، أي : هو ، ومثله ونعم النصير .

* * *

* وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

اللغـة :

(العـدوة) بضم العين ويجوز كسرها وفتحها : شط الوادي وشفيره ، سميت بذلك لأنهـا عدت مافي الوادي من ماء ونحوه أن ينجاوزها ، أي منعته . وفي مختار الصحاح : العـدوة بضم العـين وكسرها : جانب الوادي وحافته ، وقال أبو عمرو : هي المكان المرتفع.

(الدنيا والقصوى) تأنيث الأدنى والأقصى ، وجاءت **إحداهما** بالياء والثانية بالواو مع أن كلتيهما فعلى من بنات الواو **لأن القياس** قلب الواو ياء كالعليا ، وأما القصوى كالعود **في مجيئه على الأصل**

وقد جاءت القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر ، هذا والعدوة الدنيا مما يلي المدينة ، والقصوى مما يلي مكة .

(الركب) في القاموس : والركب ركبان الابل وهو اسم جمع لراكب أو جمع له وهم العشرة فصاعداً وقد يكون للخيل والجمع أركب وركوب .

الاعراب :

(واعلموا أن ما غنمتم من شيء) أن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا وما موصولة ولذلك نصبت في الرسم من ، ولكن ثبت وصلها في خط بعض المصاحف وثبت فصلها في بعضها الآخر ، وهي اسم أن ، وجملة غنمتم صلة ومن شيء في محل نصب حال من عائد الموصول المقدر والمعنى : ما غنمتموه كائناً من شيء أي قليلاً كان أو كثيراً . (فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وفتحت همزة «أن» لأنها وما في حيزها خبر مبتدأ محذوف تقديره فحكمه أن لله خمسه ، والجار والمجرور خبر أن المقدم وخمسه اسمها المؤخر والتقدير : فإن خمسه لله ، ويجوز أن تكون أن وما في حيزها مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه ، وللرسول وما بعده عطف على قوله لله وسيأتي في باب الفوائد تفصيل القسمة . (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) إن شرطية وكنتم فعل الشرط والجواب محذوف تقديره فاعلموا ذلك ، وجملة آمنتم خبر كنتم وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنتم وما عطف على الله وجملة أنزلنا صلة

وعلى عبدنا جار ومجرور متعلقان بأنزلنا ويوم الفرقان ظرف متعلق بأنزلنا أيضاً والمراد به يوم بدرَ الفارق بين الحق والباطل • (يوم التقى الجمعان) الظرف بدل من الظرف الأول ، وجملة التقى الجمعان مضافة للظرف • (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وقدير خبره وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير • (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) الظرف بدل من يوم الأول أو الثاني وأنتم مبتدأ وبالعدوة خبر والجملة مضافة للظرف والدنيا صفة للعدوة وهم بالعدوة القصوى عطف على سابقتها • (والركب أسفل منكم) الواو حالية من الظرف وهو قوله « بالعدوة القصوى » ويجوز أن تكون عاطفة على « أنتم » لأنها مبدأ تقسيم أحوالهم وأحوال عدوهم ، والركب مبتدأ وأسفل نصب على الظرف في محل رفع على الخبرية وسيأتي مزيد بحث له في باب الفوائد • ومنكم جار ومجرور متعلقان بأسفل لأنه في الأصل اسم تفضيل استعمل بمعنى صفة لمكان محذوف أقيم مقامه ، وللزمخشري فصل في تعليل هذا التوقيت ، وذكر مراكز الفريقين سنورده في باب الفوائد لأنه بلغ الذروة في التنقيب عن أسرار الكتاب العزيز • (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد) الواو عاطفة ولو شرطية وهي الدالة على الامتناع وتواعدتم فعل الشرط واللام الرابطة واختلفتم جملة لا محل لها لأنها جواب الشرط وفي الميعاد متعلق باختلفتم ، أي امتنع اختلافكم في موعد الخروج الى القتال لامتناع تواعدكم وإعلام بعضكم بعضاً بالخروج للقتال لأنكم قد تضعفون عندما تعلمون شكيمتهم ومنعة مكانهم مما يزيد فصل الزمخشري البديع • (ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) لكن حرف استدراك مهمل وليقضي اللام للتعليل وهي مع مجرورها المؤول متعلقان بمحذوف أي جمعكم بغير ميعاد والله فاعل وأمراً مفعول به ، وجملة كان مفعولاً

صفة لأمراً وكان واسمها المستتر وخبرها . (ليهلك من هلك عن بينة) يجوز تعليق ليهلك بما تعلق به ليقضي أي فهو بدل منه ، ويجوز أن يتعلق بمفعولاً ، ويهلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ومن اسم موصول فاعل وجملة هلك صلة وعن بينة حال . (ويحيا من حي عن بينة) عطف على الجملة السابقة ، وحي أصلها حيي أدغمت الياء بالياء . (وإن الله لسميع عليم) الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وسميع خبر أول لإن وعليم خبر ثان .

البلاغة :

في قوله : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » الى قوله : « ويحيا من حي عن بينة » فن الاستدراك فإن الحق سبحانه أخبر عن الأمر الواقع بخبر أخرجته الفصاحة مجرى المثل ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أخبرته عيونه بقفول ركب قريش من الشام الى مكة على الجادة المعروفة التي لا بد لسالكها من ورود «بدر» ، أمر أصحابه بالخروج وخرج معهم يريد العير ، وكان وعد الله قد تقدم له بإحدى الطائفتين ، إما العير وإما النفير ، وبلغ أبا سفيان ، وهو على الركب ، خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الركب أن يأخذ على سيف البحر ، ومضى أبو سفيان على وجهه لمكة ، فاستنفر قريشاً ، فخرجوا الى بدر ليشغلوا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تتبّع العير ، فصادفوه ببدر ، وهو يظن أن الركب يمر على بدر ، فوقعت اللقيا من غير ميعاد ، فأخبر الله سبحانه بموضع المسلمين من بدر وموضع المشركين منه بقوله : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » أي القريبة ، « وهم بالعدوة القصوى » :

أي البعيدة ؛ « والركب أسفل منكم » لأن سيف البحر في غور ، وبدر في نجد بالنسبة إليه ، وأراد أن يخبر عن وقوع اللقاء بغير ميعاد ؛ وعدل عن لفظ المعنى الى لفظ الارداف فلم يقل فالتقوا من غير ميعاد ، بل قال : « ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد » لخروج لفظ الإرداف مخرج المثل ليكون أسير وأشهر ولو وقع الاقتصار على هذا المقدار لاحتمل أن يقال : فما الحكمة في حرمان الله رسوله والمسلمين هذه الغنيمة الباردة لأجل منها • وهي فتح مكة واستئصال أموال أهلها ، فإن اختياره لهم لقاء النفير دون العير ليقتل حماة مكة وصناديدها فيتمكن المسلمون من فتحها وكذلك كان ، وقد كان مراد المسلمين لقاء العير دون النفير بدليل إخباره سبحانه عنهم بذلك في قوله : « ويودون أن غير ذات الشركة تكون لكم » يعني العير ، فإن ذات الشوكة : النفير ، لأن الشوكة السلاح ، فأرادوا هم ذلك ، وأراد الله خلافه لعلمه بالعواقب ، فأوقع اللقاء من غير ميعاد لهذه المصلحة ، وأخرج الإخبار به مخرج المثل لما بينّا من فائدة ذلك ، ثم قوى دليل الكلام بذكر العلة في تفويت تلك المصلحة الظاهرة ، حيث قال بلفظ الاستدراك : « ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » ، ثم فصل ما أجمله في الاستدراك بقوله : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة » ، فاتضح الإشكال ، وارتفع ما قدر من الاحتمال وأبان عن المعنى أحسن بيان ، فحصل في هذه الكلمات أربعة عشر نوعاً من البلاغة وهي : الايجاز ، والترشيح ، والإرداف ، والتمثيل ، والمقارنة ، والاستدراك ، والإدماج ، والايضاح ، والتهذيب ، والتعليل ، والتنكيت ، والمساواة ، وحسن النسق ، وحسن البيان •

الفوائد :

١ - لم نجر في هذا الكتاب على الخوض في المسائل العلمية والفقهية إلا نادراً ، وإلا فيما له علاقة بالاعراب أو البيان ، وقد خاض العلماء كثيراً في كيفية تقسيم الخمس ونلخص آراء الأئمة بما لا يخرج عن أسلوبنا .

قسمة الخمس عند أبي حنيفة أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم : سهم لرسول الله، وسهم لذوي قرباه، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل .

أما عند الشافعي فيقسم على خمسة أسهم : سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين ، كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك ، وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم ، والباقي تفرق الثلاث .

وأما عند مالك بن أنس فالأمر مفوض الى اجتهاد الإمام ، إن رأى قسمه بين هؤلاء ، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض ، وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم . وهناك أقوال أخرى يرجع اليها في المطولات .

٢ - يقع الخبر ظرفاً نحو « والركب أسفل منكم » ، وجاراً ومجروراً نحو « الحمد لله » ، وشرطهما أن يكونا تامّين كما مثل ، فلا يجوز زيد مكاناً ، ولا زيد بك ، لعدم الفائدة ويتعلقان بمحذوف وجوباً هو الخبر ، واختلف في تقديره فقيل تقديره استقر أو مستقر .

قال ابن هشام : في المغني : والحق عندي أنه لا يترجح تقديره اسماً ولا فعلاً بل بحسب المعنى . وقال ابن مالك في الخلاصة :

وأخبروا لظرف أو بحرف جر ناوين معنى كائن أو استقر

وهناك ملاحظات هامة نلفت اليها الانتباه :

آ ـ يخبر بالمكان عن أسماء الذوات والمعاني نحو : زيد خلفك والخير أمامك .

ب ـ يخبر بالزمان عن أسماء المعاني فقط نحو : الصوم اليوم والسفر غداً .

ج ـ لا يخبر بالزمان عن أسماء الذوات فلا يقال : زيد اليوم ، والفرق أن الأحداث أفعال وحركات ، فلا بد لكل حدث من زمان يختص به بخلاف الذوات .

د ـ إذا حصلت فائدة جاز الإخبار بالزمان عن الذوات ، كأن يكون المبتدأ عاماً والزمان خاصاً ، بإضافة أو وصف ، نحو : نحن في شهر كذا ، فنحن مبتدأ وهو عام لصلاحيته في نفسه لكل متكلم إذ لا يختص به متكلم دون غيره ، وفي شهر كذا خبره ، وهو خاص بالمضاف إليه ، ونحن في زمن طيب اختص بالوصف .

هـ ـ وأما نحو قولهم « الورد في أيار » و « اليوم خمر » و « الليلة الهلال »، فالتأويل فيها : خروج الورد ، واليوم شرب خمر، والليلة رؤية الهلال ، فالإخبار في الحقيقة إنما هو عن اسم المعنى لا عن اسم الذات .

٣ ـ وقد آن أن نورد فصل الزمخشري بحروفه ؛ وفيه يسمو هـذا الامام الى أبعـد أفق ، ويبرهن عـلى قوة ملاحظته وسداد تفكيره قال :

« فإن قلت : ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين ، وان العير كانت أسفل منهم ؟ قلت : الفائدة فيه : الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له ، وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله سبحانه ، ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته . وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا بأس بها ، ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل « أي رخوة » ، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة ، وكانت العير وراء ظهور العـدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم ، وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ، ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهدهم في القتال، وأن لا يتركوا وراءهم مايحدثون أنفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم عـلى أن لا يبرحوا مواطنهم ، ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم ، وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمراً كان مفعولاً من اعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحـدى الطائفتين مبهمة غـير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج .

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

الاعراب :

(إذ يريكهم الله في منامك قليلاً) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان ، أو متعلق بسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك •ويريكهم فعل مضارع والكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان والله فاعل وفي منامك حال وقليلاً مفعول ثالث لأن رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همزة فإذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة • (ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر) الواو عاطفة ولو شرطية وأراكهم فعل ماض والكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان وكثيراً مفعول ثالث ، واللام رابطة وفشلتم فعل وفاعل ولتنازعتم عطف على لفشلتم وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بتنازعتم (ولكن الله سلّم إنه عليم بذات الصدور) الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة سلّم خبرها وإنه إن واسمها وعليم خبرها وبذات الصدور جار ومجرور متعلقان بعليم (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً) إذ بدل من الظرف قبله ويريكموهم فعل مضارع والكاف مفعول أول والميم

علامة الجمع والواو لإشباع الميم والهاء مفعول ثان وإذ متعلق بيريكموهم ، وجملة التقيتم مضافة للظرف وفي أعينكم متعلق بقليلا وقليلا حال من الهاء لأن الرؤية هنا بصرية فهي مع الهمزة تنصب مفعولين فقط • (ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا) عطف على ماتقدم ، وفي أعينهم حال وليقضي لام التعليل مع مجرورها متعلقان بيقللكم لأنه علة التعليل ، وكرره لاختلاف الفعل المعلل به إذ الفعل المعلل به أولا اجتماعهم بغير ميعاد ، وثانياً تقليل المؤمنين قبل الالتحام ، ثم تكثيرهم في أعين الكفار ، أما الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين فهو ظاهر ، وأما تقليل المؤمنين في أعينهم قبل اللقاء فذلك ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ، حتى إذا فاجأتهم الكثرة بهتوا وهابوا وأسقط في أيديهم ، وجملة كان مفعولا صفة الأمر • (وإلى الله ترجع الأمور) الواو عاطفة وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجع والأمور نائب فاعل •

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾

اللغـــة :

(ريحكم) الريح : الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل : هبت رياح فـلان إذا دالت له الدولة ونفـذ أمره ، قال سليك بن سلكة :

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي   إلا عبيـد مقود بـين أذواد
أتنظران قليـلاً ريث غفلتهم   أم تعدوان فإن الريح للعادي

فقد استعار الشاعر الريح للدولة بجامع النفوذ والأمر النافذ من كل فهي من المجاز ، وإذا هبت رياحك فاغتنمها ، ورجل ساكن الريح : وقور ، وفي القاموس والمختار : ان الريح يطلق ويراد به : القوة ، والغلبة ، والرحمة ، والنصرة ، والدولة .

(البطر) والأشر بفتحتـين : الطغيان في النعمـة بترك شكرها وجعلها وسيلة الى مالا يرضاه الله ، وقيـل : معناهما الفخر بالنعمـة ومقابلتها بالتكبر والخيلاء بها .

(الرئاء) مصدر راءى كقاتل قتـالاً ، والأصل : ريای فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة ، والثانية بدل من ياء هي لام الكلمة لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) إذا حرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطـه منصوب بجوابه وجملة لقيتم مضافة وفئة

مفعول به والفاء رابطة واثبتوا فعل أمر و ناءل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) واذكروا عطف على اثبتوا وهو فعل أمر وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به وكثيراً مفعول مطلق لأنه صفة لمصدر محذوف ويجوز إعرابه ظرفاً أي وقتاً كثيراً ولعلكم تفلحون : لعل واسمها وجملة تفلحون خبرها • (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وأطيعوا عطف على اذكروا ولفظ الجلالة مفعول به ورسوله عطف عليه ولا ناهية وتنازعوا أصله تتنازعوا مجزوم بلا الناهية والفاء فاء السببية لأنها وقعت في جواب النهي وتفشلوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية وتذهب ريحكم عطف على فتفشلوا ويجوز أن تكون الواو عاطفة وتفشلوا مجزوم لأنه داخل في حكم النهي وقد قرىء بذلك •

(واصبروا إن الله مع الصابرين) عطف على ما تقدم وإن واسمها والظرف خبرها (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس) ولا تكونوا عطف على ما تقدم وتكونوا فعل مضارع ناقص والواو اسمها وكالذين الكاف اسم بمعنى مثل خبرها والذين مضاف إليه أو هما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونوا والمراد بهم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير ، فأتاهم رسول أبي سفيان ، وهم بالجحفة ، أن ارجعوا فقد سلمت عيركم ، فأبى أبو جهل وقال حتى تقدم بدراً نشرب بها الخمور ، وتعزف علينا القيان ، ونطعم من حولنا من العرب ، فذلك بطرهم ورئاؤهم ، فوافوها ، فسقوا كأس المنايا ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان • وبطراً مصدر في موضع الحال ويجوز أن يعرب مفعولا لأجله وكذلك رئاء الناس • (ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) الواو عاطفة وجملة يصدون معطوفة على بطراً أي

وصداً عن سبيل الله وانما عدل عن الاسمية الى الفعلية في الصد لأن البطر والرئاء كانا ديدنهم ودأبهم بخلاف الصد فإنه تجدد لهم في زمن النبوة والواو استئنافية والله مبتـــدأ ومحيط خبره وبمـــا يعملون جار ومجرور متعلقان بمحيط •

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

اللغـــة :

(نكص على عقبيه) رجع القهقرى يمشي الى ظهره قال الشاعر :

ليس النكوص عـلى الأعقاب مكرمـة

إن المكارم إقـــدام عـــلى الأصـــل

والعقب بكسر القاف وسكونها : مؤخر القـدم والولد وولد الولد ، والجمع أعقاب ، وأعقاب الأمور أواخرها ، يقال : جاء عقبه وبعقبه أي خلفه ، ورجع على عقبه أي على الطريق التي جاء منها سريعاً ،

ووطىء عقبه أي مشى في أثره ، وسافر على عقب الشهر أي في آخره .

الاعراب :

(وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الظرف إذ منصوب باذكر محذوفاً وجملة زين مضاف اليها ولهم متعلق بزين والشيطان فاعل وأعمالهم مفعول به . (وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس) وقال عطف على زين ولا نافية للجنس وغالب اسمها مبني على الفتح ولكم خبرها ومن الناس حال من الضمير في لكم لتضمنه معنى الاستقرار . (وإني جار لكم) الواو عاطفة للجملة التي فيحيز القول ولذلك كسرت همزتها ، وإن واسمها وجار خبرها ولكم متعلق بجار لأنها بمعنى مجير ومعين وناصر لكم ، قيل أتاهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك سيد ناحية كنانة . (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه) الفاء عاطفة ولما ظرف بمعنى حين أو رابطة وتراءت الفئتان فعل وفاعل ونكص عطف على تراءت والجملة لا محل لها وعلى عقبيه حال أي هارباً . (وقال : إني بريء منكم) وقال عطف على نكص وان واسمها وخبرها ومنكم جار ومجرور متعلقان ببريء والجملة مقول القول . (إني أرى مالا ترون) إن واسمها وجملة أرى خبرها وما مفعول به وجملة لا ترون صلة والعائد محذوف . (إني أخاف الله والله شديد العقاب) إن واسمها وجملة أخاف الله خبرها والله مبتدأ وشديد العقاب خبر والجملة عطف على مافي حيز القول . (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) الظرف معمول اذكر أو نكص وجملة يقول المنافقون مضافة والذين عطف على المنافقون وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة صلة (غرّ هؤلاء دينهم) الجملة مقول القول وهؤلاء

مفعول غر ودينهم فاعله ، يعني هؤلاء المنافقون ومرضى القلوب : ان المسلمين اغتروا بدينهم ،[٦٧] وسولت لهم أنفسهم لقاء زهاء ألف وهم لا يتجاوزون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً[٦٨] فقال الله لهم مبكتاً : (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويتوكل فعل الشرط وعلى الله متعلق بيتوكل وجواب الشرط محذوف تقديره يغلب والفاء رابطة للتعليل وان الله عزيز حكيم إن واسمها وخبراها .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

الاعراب :

(ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) الواو استئنافية وترى فعل مضارع وهي بصرية والفاعل مستتر تقديره أنت والمفعول به محذوف أي الكفرة أو حالهم وإذ ظرف لترى أي: ولو ترى الكفرة أو حال الكفرة حين تتوفاهم الملائكة ببدر • ولو الامتناعية تردّ الفعل المضارع ماضياً كما أن « إن » ترد الماضي مضارعاً ، وجملة يتوفى مضافة والذين مفعول به والملائكة فاعل وجملة كفروا صلة ، وقد تقدم سر الحذف لجواب لو والمفعول به وقد اجتمعا هنا وتقدير الجواب : لرأيت شيئاً عظيماً • (يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) جملة يضربون حال من الملائكة أو من الذين كفروا لأن فيهما ضميريهما ، ويجوز أن يكون فاعل يتوفى هو ضمير الله تعالى لتقدمه في قوله ومن يتوكل على الله ، وعندئذ فالملائكة مبتدأ خبره ما بعده والجملة حال من الذين كفروا وذوقوا معطوف على يضربون على إرادة القول أي ويقولون ذوقوا ، وعذاب الحريق مفعول به • (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) ذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وما مصدرية أو موصولة وأيديكم فاعل وأن الله عطف على ما أي : ذلك العذاب بسببين : بسبب كفركم ومعاصيكم ، وبأن الله ، وجملة ليس خبر إن وبظلام الباء حرف جر زائد وظلام خبر ليس محلاً وللعبيد جار ومجرور متعلقان بظلام وظلام صيغة مبالغة تفيد النسب • (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) الكاف في محل رفع خبر مبتدأ محذوف أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون سواء كانت اسمية أم حرفية وآل مضاف وفرعون مضاف إليه والذين عطف على آل ومن قبلهم صلة الذين والجملة استئنافية مسوقة لبيان ما حل بهم

من العذاب بسبب كفرهم قال ابن عباس : والمعنى أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه الصلاة والسلام نبي فكذبوه ، فكذلك حال هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه ، فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزلها بآل فرعون • (كفروا بآيات الله) جملة كفروا بآيات الله تفسيرية لدأب آل فرعون،وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بكفروا (فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب) عطف على كفروا وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل وبذنوبهم متعلق بأخذهم أي بسبب ذنوبهم وإن واسمها وقوي خبرها الأول وشديد العقاب خبرها الثاني • (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم) اسم الاشارة مبتدأ وبأن الله خبره وجملة لم يك خبر أن ويك مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف • وسترد في باب الفوائد خصائص كان ، واسم يك مستتر تقديره : الله تعالى ومغيراً خبرها ونعمة مفعول به لمغيراً لأنه اسم فاعل وجملة أنعمها صفة لنعمة والهاء مفعول به وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بأنعمها (حتى يغيروا ما بأنفسهم) حتى حرف غاية وجر ويغيروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بمغيراً وما مفعول به وبأنفسهم صلة ما • (وأن الله سميع عليم) عطف على ما سبقه ولذلك فتحت همزة أن ، أي وبسبب أن الله ، وسميع خبر أن الأول وعليم خبرها الثاني • (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) كرره لفوائد نلخصها بما يلي :

١ ـ ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول فتكون الجملة تفسيرية •

٢ ـ ذكر في الآية الأولى أنهم كفروا بآيات الله وجحدوها وفي الثانية إشارة إلى أنهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها •

٣ ـ ان التكرير للتأكيد فتكون الجملة مؤكدة تابعة للأولى ، وقد تقدم إعرابها على كل حال .

(كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم) الجملة تفسيرية أيضاً كما تقدم في سابقها وجملة فأهلكناهم بذنوبهم عطف على كذبوا . (وأغرقنا آل فرعون) عطف على ما تقدم وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين) كل مبتدأ ساغ الابتداء فيها لإضافتها ونيابة التنوين عن المضاف إليه كما تقدم في بحث تنوين العوض ولما فيها من معنى العموم أي وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش ، وجملة كانوا ظالمين خبر كل وجمع الضمير في كانوا وفي ظالمين مراعاة لمعنى كل ، لأن « كل » متى قطعت عن الإضافة جاز مراعاة لفظها تارة ، ومراعاة معناها أخرى ، وإنما اختير هنا مراعاة المعنى لأجل الفواصل ، ولو روعي اللفظ فقط فقيل : وكل كان ظالماً ، لم تتفق الفواصل .

البلاغة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله «بما قدمت أيديكم» فإن هذا العذاب إنما حاق بهم بسبب كفرهم ، ومحل الكفر هو القلب لا اليد لأنها ليست موضعاً للمعرفة ، فلا يتوجه التكليف عليها حتى يمكن إيصال العذاب إليها ، ولكن اليد هنا معناها القدرة ، والعلاقة السببية ، لأن اليد آلة النعمة كما استعملت مجازاً بمعنى النعمة .

٢ ـ عدل عن ظالم إلى ظلام وقد كان ظاهر الكلام يقضي بنفي الأدنى لأنه أبلغ من نفي الأعلى ، لأن نفي الأعلى لا يستلزم نفي الأدنى ، وبالعكس ، ولكنه عدل عن ذلك لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاقمه .

الفوائد :

١ ــ صيغة فعّال وفاعل وفعل في النسب :

قد يستغنى عن ياء النسب بصوغ المنسوب إليه على فعّال بتشديد ثانيه ، وذلك غالب في الحرف جمع حرفة كبزّاز بزايين معجمتين لبائع البز ، ونجار لمن حرفته النجارة ، وعوّاج لبياع العاج ، وعطّار لبياع العطر ، ومن غير الغالب قول امرىء القيس :

وليس بذي رمح فيطعنني بـه ... وليس بذي سيف وليس بنبّال

أي بذي نبل بدليل ما قبله فاستعمل فعال في غير الحرف ، وحمل عليه قوم من المحققين قوله تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد » أي بذي ظلم ، والذي حملهم على ذلك أن النفي منصب على المبالغة فثبت أصل الفعل ، والله تعالى منزه عن ذلك وأمثلة فعّال كثيرة ومع كثرتها قال سيبويه : غير مقيسة فلا يقال لصاحب الدقيق دقّاق ، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه ، ولا لصاحب البر برار ، ولا لصاحب الشعير شعّار ، والمبرد يقيس هذا .

ــ هذا ويصاغ المنسوب إليه أيضاً على فاعل أو على فعل بفتح أوله وكسر ثانيه بمعنى ذي كذا ، فالأول كتامر أي ذي تمر ، ولابن أي ذي لبن ، وطاعم أي ذي طعام ، وكاس أي ذي كساء ، والثاني كطعِم أي ذي طعام ، ونهر أي ذي نهار ، قال الراجز :

لست بليـــل ولكني نهر ... لا أدلج الليل ولكن أبتكر

أنشده سيبويه في كتابه ، أي ولكنني نهاريّ أي عامل بالنهار •
واختلفوا في قول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فقال قوم : هو فاعل بمعنى مفعول ، أي مطعوم ومكسو على حد قوله تعالى « فهو في عيشة راضية » ، وقال آخرون : هو من باب النسب أي ذي طعام وذي كسوة ، وفي كلتا الحالين فهو ذم أي أنه ليس له فضل غير أنه يأكل ويشرب •

٢ ــ خصائص كان :

تختص « كان » بأمور :

آ ــ جواز زيادتها بشرطين :

أحدهما : كونها بلفظ الماضي لتعين الزمان فيه دون المضارع وشذّ قول أم عقيل بن أبي طالب وهي ترقصه :

أنت تكون ماجد نبيل   إذا تهب شمأل بليل

فأنت مبتدأ وماجد خبره وتكون زائدة بين المبتدأ والخبر •

والثاني : كونها بين شيئين متلازمين ليسا جاراً ومجروراً وليس المراد بزيادتها أنها لا تدل على معنى البتة ، بل أنها لم يؤت بها للإسناد، وإلا فهي دالّة على المضيّ ، ولهذا كثر زيادتها بين ما التعجبية وفعل التعجب لكونه سلب الدلالة على المضي نحو : ما كان أحسن زيداً ، فكان زائدة بين المبتدأ وخبره وقال الشاعر :

حجبت تحيتها فقلت لصاحبي   ما كان أكثرها لنا وأقلها

وقد تزاد بين الفعل ومرفوعه نحو قول بعضهم : لم يوجد كان مثلهم ، فزاد كان بين الفعل ونائب الفاعل ، واختلف في قول الفرزدق :

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا ، كانوا ، كرام

فقال قوم منهم المبرد : إنها في البيت ليست بزائدة بل هي الناقصة والواو اسمها ولنا خبرها والجملة في موضع الصفة لجيران وكرام صفة بعد صفة ، فهو نظير قوله تعالى : « هـذا كتاب أنزلناه مبارك » ، وذهب سيبويه والخليل الى أنها في البيت زائدة ولاتباعهما في تخريج اتصالها بالواو أقوال يرجع اليها في المطولات .

ب ـ ومنها أنها تحذف ويبقى اسمها وخبرها ، وكثر ذلك بعد أن المصدرية الواقعة في موضع المفعول لأجله في كل موضع أريد فيه تعليل فعل بفعل ، نحو : أمّا أنت منطلقاً انطلقت ، فانطلقت معلول وما قبله علة له مقدمة عليه ، والأصل : انطلقت لأن كنت منطلقاً ، ثم قدمت اللام التعليلية وما بعدها المجرور بها على « انطلقت » فصار : لأن كنت منطلقاً انطلقت ، ثم حذفت كان لذلك فانفصل الضمير الذي هو اسم كان ، فصار : أن أنت منطلقاً ، ثم زيدت ما للتعويض من كان فصار : أن ما أنت، ثم أدغمت النون في الميم للتقارب في المخرج، فصار أما أنت، وعليه قول عباس بن مرداس :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

أي لأن كنت ذا نفر فخرت ، ثم حذف « فخرت » وهو متعلق الجار لأن وما بعدها وأبا خراشة منادى ودخلت الفاء في فإن قومي لأن

الثاني مستحق بالأول ، فهو مسبّب عنه ، والأول سبب فأشبه الشرط والجزاء .

جـ ـ ومنها أنها تحذف مع اسمها ويبقى الخبر ويكثر ذلك بعد إن ولو الشرطيتين فمثال لو :

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكا

جنوده ضاق عنها السهل والجبل

أي ولو كان صاحب البغي ملكاً ذا جنود كثيرة وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « التمس ولو خاتماً من حديد » أي التمس شيئاً ولو كان ما تلتمسه خاتماً من حديد .

ومثال إن :

قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً

فما اعتذارك من قول إذا قيلا

أي إن كان ماقيل صدقاً وإن كان ماقيل كذباً ، وقولهم : « الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر » بنصب الأول على الخبرية لكان المحذوفة مع اسمها ، ورفع الثاني على الخبرية لمبتدأ محذوف أي إن كان عملهم خيراً فجزاؤهم خير وإن كان عملهم شراً فجزاؤهم شر .

د ـ ومنها أن لام مضارعها وهي النون يجوز حذفها تخفيفاً ، وصلاً لا وقفاً ، وذلك بشرط أن يكون مجزوماً بالسكون غير متصل

بضمير نصب ولا بساكن نحو : « ولم أكُ بغياً » وكالآيــة التي نحن بصددها .

هـ ــ ومنها ، وهذه الخاصة تشاركها فيها أخواتها إلا ثلاثة ، أن تستعمل تامة أي مستغنية بمرفوعها نحو : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » وقول أبي تمام :

قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعــونا

ومعناها عندئذ حصل ، أما الثلاثة التي لزمت النقص فهي : فتىء وزال وليس .

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾

اللغــة :

(تثقفنهم) : تصادفهم وتظفر بهم ، وفي المصباح : ثقفت الشيء

ثقفاً من باب تعب أخذته . وثقفت الرجل في الحرب أدركته . وثقفته ظفرت به ، وثقفت الحديث فهمته بسرعة والفاعل ثقيف .

(فانبذ) : فاطرح إليهم العهد ، والنبذ الطرح ، وهو هنا مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم ، فشبّه العهد بالشيء الذي يرمى لعدم الرغبة فيه ، وأثبت النبذ له تخييلاً ، ومفعوله محذوف أي عهدهم . وسيأتي مزيد من هذا البحث الهام في باب البلاغة .

الاعراب :

(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا) إن واسمها والدواب مضاف لشر وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال والذين خبر إن وجملة كفروا صلة ، والجملة كلها استئنافية سيقت بعد شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة للشروع في بيان أحوال الباقين منهم وتفصيل أحكامهم . (فهم لا يؤمنون) الفاء الفصيحة وهم مبتدأ وجملة لا يؤمنون خبر ، أي لا يتوقع منهم إيمان بعد أن أصروا على الكفر ولجوا فيه . (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا فمحله الرفع ، أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا ، وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار ، وشر الكفار المصرون منهم ، وشر المصرين الذين نكثوا العهود ، وجملة عاهدت صلة ومنهم حال . (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون) ثم عطف للترتيب مع التراخي وعهدهم مفعول به وفي كل مرة جار ومجرور متعلقان بينقضون والواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة لايتقون خبر . (فإما تثقفنهم في الحرب) الفاء رابطة لشبه المبتدأ بالشرط لأن الموصول فيه رائحة منه وإن شرطية وما زائدة ، وأدغمت

النون بالميم، وتثقفنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به وفي الحرب جار ومجرور متعلقان بتثقفنهم • (فشرد بهم من خلفهم) الفاء رابطة وشرد فعل أمر وبهم جار ومجرور متعلقان بشرد والباء بمعنى السببية أي بسبب تنكيلك بهم ، ومن مفعول به لشرد وخلفهم ظرف متعلق بمحذوف صلة ، والمعنى انك إذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد ، فافعل بهم أنساطاً من التنكيل تفرق بها جمع كل ناقض للعهد خافر للذمام ، حتى يخافك من وراءهم • (لعلهم يذكرون) لعل واسمها وجملة يذكرون خبرها أي لعلهم يتعظون بهم • (وإما تخافن من قوم خيانة) الواو عاطفة وإن شرطية أدغمت بما الزائدة وتخافن فعل الشرط ولكنه مبني لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره أنت ومن قوم جار ومجرور متعلقان بتخافن وخيانة مفعول به • (فانبذ إليهم على سواء) الفاء رابطة وانبذ فعل أمر وإليهم جار ومجرور متعلقان بانبذ وعلى سواء في موضع الحال من الفاعل والمفعول معاً أي فاعل الفعل وهو ضمير النبي ومفعوله وهو المجرور بإلى أي حال كونهم مستوين في العلم بنقض العهد وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية العجيبة الأسلوب • (إن الله لا يحب الخائنين) إن واسمها وجملة لا يحب الخائنين خبرها ، والجملة تعليلية للأمر بالنبذ ، والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف • (ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون) الواو عاطفة ولا ناهية ويحسبن مضارع مبني في محل جزم بلا الناهية والذين كفروا فاعل والمفعول الأول محذوف أي أنفسهم وجملة سبقوا مفعول يحسبن الثاني أي فاتوا عذابه ونجوا منه وان واسمها وجملة لا يعجزون خبرها •

البلاغـة :

فن الاشارة :

في قوله تعالى: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء»، فن يقال له : « فن الاشارة » ، وبعضهم يدرجه في باب الإيجاز لأنه متفرع عنه ، ولكن قدامة فرعه من ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وشرحه فقال ، هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير حتى تكون دلالة اللفظ على المعنى كالإشارة باليد فإنها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة لو عبّر عنها بأسمائها احتاجت الى عبارة طويلة وألفاظ كثيرة . والفرق بينه وبين الإيجاز أن الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له ، وألفاظ الاشارة لمحة دالة ، فدلالة اللفظ على الإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمين أو دلالة التزام ، فقوله تعالى : « فانبذ إليهم على سواء » تشير الى الأمر بالمقاتلة بنبذ العهد كما نبذوا عهدك ، مع ما يدل عليه الأمر بالمساواة في الفعل من العدل ، فإذا أضفت الى ذلك ما تشير إليه كلمة خيانة من وجود معاهدة سابقة ، تبين لك ما انطوت عليه هذه الاشارات الخفية من دلالات كأنها أخذة السحر .

وقد افتن العلماء في بناء حكم الآية ، فقالوا : إنه اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادنهم الإمام من المشركين بأمر ظاهر مستفيض ، استغنى الامام عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب ، وإن ظهرت الخيانات بأمارات تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض ، فحينئذ يجب عليه أن ينبذ إليهم ويعلمهم بالحرب ، وأما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً ، فلا حاجة للإمام الى نبذ العهد ، بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة ، وهم في

دمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم إلا وجيشه بمر الظهران وذلك على أربعة فراسخ من مكة .

فن الاشارة في الشعر :

أما فن الاشارة في الشعر فهو شائع في شعرنا العربي كثيراً ومن أطرفه قول بهاء الدين زهير :

عفـا الله عنكـم أين ذاك التوددُ ؟
وأين جميـــلٌ منكم كنت أعهـد ؟

بما بيننا لا تنقضوا العهــــد بيننا
فيســـع واشٍ أو يقول مفنـــد

فقد أشار بما إلى مالا يحصى من دواعي الهوى، ونوازع الشوق، وجميل قول أبي الطيب المتنبي :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي   وللحب ما لم يبق مني وما بقي

فقد أشار بما الأولى وما الثانية الى مالا يخفى مما يلقاه قلبه من الوجد فيما يستأنفه ، وما لقيه من قبل ذلك فيما أسلفاه ، ومما أحدثه الحب فيه من ندوب سواء ما لم يبقه السقم منه مما أفناه ، وما بقي منه مما أنحله وأضناه ، ولأبي فراس في الإشارة :

وما لك لا تلقى بمهجتك القنا   وأنت من القوم الذين هم هم

وما أبدع قول أبي العلاء المعري :

منك الصدود ومني بالصّدود رضا
من ذا عليّ بهذا في هواك قضى

بي منك ما لو بعين الشمس ما طلعت
من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

أما خالد الكاتب فقد بلغ نهاية الحسن بقوله :

رقدت ولم ترث للساهر وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقا د ما فعل الدمع بالناظر

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

اللغة :

(رباط الخيل) هي ما يرتبط منها ، ورباط الخيل حبسها واقتناؤها قال :

فينا رباط جياد الخيل معلمة وفي كليب رباط اللؤم والعار

وقال الزمخشري : « والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ، ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال ، والمصدر هنا مضاف لمفعوله » . وفي المصباح ، ربطه ربطاً ـ من باب ضرب ومن باب قتل ـ لغة شده ، والرباط ما يربط به القربة وغيرها ، والجمع ربط مثل كتاب وكتب ، ويقال للمصاب : ربط الله على قلبه بالصبر ، كما يقال : أفرغ الله عليه الصبر أي ألهمه ، والرباط اسم من رابط مرابطة ـ من باب قاتل ـ إذا لازم ثغر العدو ، والرباط الذي يبنى للفقراء ، مولد ويجمع في القياس على ربط بضمتين ورباطات اهـ . ونرى أن المطابق للقوة التي هي الرمي أن يكون الرباط على بابه والله أعلم .

(جنح) له وإليه : مال ، وجنحت الإبل أمالت أعناقها ، والمصدر الجنوح ، ويقال : جنح الليل أقبل ، قال النضر بن شميل : جنح الرجل إلى فلان ولفلان إذا خضع له ، والجنوح الاتباع أيضاً لتضمنه الميل ، ومنه الجوانح للأضلاع لميلها على حشوة الشخص ، والجناح من ذلك لميلانه على الطائر . قال ذو الرمة :

إذا مات فوق الرحل أحييت روحه

بذكراك والعيس المراسيل جنح

وقال النابغة :

جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب

(السلم) بكسر السين وفتحها الصلح ، ففي المصباح : والسلم بكسر السين وفتحها الصلح ويذكر ويؤنث ، وقال الزمخشري : والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب ، قال عباس بن مرداس يخاطب خفاف بن ندبة :

السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

الاعراب :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الواو عاطفة وأعدوا فعل أمر والواو فاعل ولهم جار ومجرور متعلقان بأعدوا ، والمراد ناقضو العهد كما يقتضيه سياق الكلام أو للكفار مطلقاً ، وما مفعول به وجملة استطعتم صلة ومن قوة في موضع نصب على الحال من الموصول أو من العائد عليه ومن رباط الخيل عطف عليه . (ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم) جملة ترهبون حال من فاعل أعدوا أي حال كونكم مرهبين أو حال من مفعول أعدوا وهو الموصول أي حال كونه مرهباً به ، وبه متعلق بترهبون وعدو الله مفعول ترهبون وعدوكم عطف على عدو الله وآخرين عطف على عدوكم، والمراد بهم اليهود ومن دونهم صفة لآخرين . (لا تعلمونهم الله يعلمهم) جملة لا تعلمونهم صفة لآخرين والله مبتدأ وجملة يعلمهم خبر والمفعول الثاني محذوف تقديره محاربين . (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون) الواو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط ومن شيء حال

وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بتنفقوا ويوف جواب الشرط ونائب الفاعل مستتر وإليكم جار ومجرور متعلقان بيوف ، وأنتم مبتدأ وجملة لا تظلمون خبر والجملة معطوفة . (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) الواو عاطفة وإن شرطية وجنحوا فعل ماض وهو فعل الشرط وللسلم جار ومجرور متعلقان بجنحوا والفاء رابطة واجنح فعل أمر ولها جار ومجرور متعلقان باجنح وتوكل عطف على اجنح وعلى الله متعلق بتوكل ، وان واسمها ، وهو ضمير فصل والسميع خبر أول والعليم خبر ثان ، ويجوز أن يكون هو مبتدأ والسميع العليم خبراه والجملة خبر إنه .

الفوائد :

بحث في المؤنث

اعلم أن العرب قد أنثوا أسماء كثيرة بتاء مقدرة ، ويستدل على ذلك التقدير : بالضمير العائد عليها ، نحو : « النار وعدها الله الذين كفروا » ، « حتى تضع الحرب أوزارها » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » . وبالاشارة إليها نحو : « هذه جهنم » . وبثبوت التاء في تصغيرها نحو : أذينة وعيينة مصغر أذن وعين من الأعضاء المزدوجة، فإن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، وغير المزدوج مذكر كالرأس والقلب . أو بثبوت التاء في فعلها نحو: «ولما فصلت العير» وبسقوطها من عددها كقول حميد الأرقط يصف قوساً عربية :

أرمي عليها وهي فرع أجمع وهي ثلاث أذرع وأصبع

فأذرع جمع ذراع وهي مؤنثة بدليل سقوط التاء من عددها وهو ثلاث .

هذا ، والقاعدة المشهورة ، هي أنه ما كان من الأعضاء مزدوجاً ، فالغالب عليه التأنيث إلا الحاجبين والمنخرين والخدين فإنها مذكرة ، والمرجع السماع ، وعد المنخرين من المزدوج لا ينافي عد الأنف من غيره لأن الأنف اسم للمنخرين معاً وكل واحد يسمى منخراً لا أنفاً ، ومن المزدوج الكف فهي مؤنثة وزعم المبرد أنها قد تذكر وأنشد :

ولو كفي اليمين تقيك خوفاً   لأفردت اليمين عن الشمال

ولم يقل اليمنى ، كذا قال المبرد ، وهو وهم لأن اليمين مؤنثة بمنزلة اليمنى .وقال ابن يسعون : ذكر حملاً على العضو ثم رجع الى التأنيث ، فقال : تقيك .

وما كان من الأعضاء غير مزدوج فالغالب عليه التذكير ، ومن غير الغالب اللسان والقفا فإنهما قد يؤنثان .

وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾

اللغـــة :

(حسبك) الحسب : بسكون السين الكفاية ، يقـال حسبك درهم ، وتزاد عليه الباء فيقال بحسبك درهم أي كفايتك ، وهذا رجل حسبك من رجل ، وزيد صديقي فحسبي ، أو فحسب ، أي يكفيني ويغني عن غيره ، وقال جرير :

إني وجـــدت من المكارم حسبكـــم
أن تلبسوا خز الثيـــاب وتشبعـــوا
فإذا تـــــذوكرت المكـــارم مـــرة
في مجلس أنتـــم بـــه فتقنعـــوا

الاعراب :

(وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله) الواو عاطفـــة وإن شرطية ويريدوا فعل الشرط والواو فاعل ، وأن وما في حيزها مصدر مفعول به ، فإن الفاء رابطة وإن واسمها وخبرها والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط . (هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين) هو مبتدأ والذي خبره وجملة أيدك صلة وبنصره جار ومجرور متعلقان بأيدك وبالمؤمنين عطف على بنصره . (وألّف بين قلوبهم) وألف عطف على أيدك وبين ظرف متعلق بألف وقلوبهم مضاف اليه . (لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) لو شرطية وأنفقت فعل وفاعل وما مفعول به وفي الأرض صفة وجميعاً حال وما نافية وألفت فعـل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم . (ولكن الله

ألف بينهم إنه عزيز حكيم) الواو عاطفة أو استئنافية ولكن واسمها وجملة ألف بينهم خبر لكن وإن واسمها وخبراها والجملة تعليلية •
(يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) حسبك خبر مقدم والله مبتدأ مؤخر أو بالعكس ومن عطف على الله وجملة اتبعك صلة ومن المؤمنين حال •

والمعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون، أي كافيك الله وكافيك المؤمنون ويحتمل أن تكون بمعنى مع ومابعده منصوب، كما تقول : حسبك وزيداً درهم ، والمعنى كافيك وكافي المؤمنين الله ، لأن عطف الظاهر على المضمر في مثل هذه الصورة ممتنع كما تقرر في علم النحو، وأجازه الكوفيون، قال الفراء : ليس بكثير في كلامهم أن تقول : حسبك وأخيك ، بل المستعمل أن يقال : حسبك وحسب أخيك ، بإعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجروراً لقيل : حسبك الله وحسب من اتبعك ، واختار النصب على المفعول معه النحاس •

الفوائد :

حسب : قال أبو حيان : وحسبك مبتدأ مضاف الى الضمير وليس مصدراً ولا اسم فاعل •

قال سيبويه : « قالوا حسبك وزيداً درهم لما كان فيه من معنى كفاك وقبح أن يحملوه على المضمر نووا الفعل كأنه قال : حسبك ويحسب أخاك درهم ولذلك كفيك » كفيك وهو من كفاه يكفيه ، وكذلك قطك تقول : كفيك وزيداً درهم ، وقطك وزيداً درهم ، وليس هذا من باب المفعول معه وإنما جاء سيبويه به حجة للحمل على الفعل

للدلالة . فحسبك يدل على كفاك ويحسبني مضارع أحسبني فلان إذا أعطاني حتى أقول حسبي . فالناصب في هذا فعل يدل عليه المعنى ، وهو في : كفيك وزيداً درهم . أوضح لأنه مصدر للفعل المضمر أي ويكفي زيداً . وفي قطك وزيداً درهم التقدير فيه أبعد ، لأن قطك ليس في الفعل المضمر شيء من لفظه ، إنما هو مفسر من حيث المعنى فقط . وفي ذلك الفعل المضمر فاعل يعود على الدرهم ، والنية بالدرهم التقديم ، فيصير من عطف الجمل ، ولا يجوز أن يكون من باب الإعمال لأن طلب المبتدأ للخبر وعمله فيه ليس من قبيل طلب الفعل أو ما جرى مجراه ولا عمله ، فلا يتوهم ذلك فيه .

وقال الزجاج : « حسب اسم فعل والكاف نصب والواو بمعنى مع » ، فعلى هذا يكون الله فاعلاً لحسبك ، وعلى هذا التقدير يجوز في : ومن أن يكون معطوفاً على الكاف لأنها مفعول باسم الفعل لا مجرور ، لأن اسم الفعل لا يضاف ، إلا أن مذهب الزجاج خطأ لدخول العوامل على حسبك ، تقول : بحسبك درهم وقال تعالى : « فإن حسبك الله » ولم يثبت كونه اسم فعل في مكان فيعتقد فيه أنه يكون اسم فعل واسماً غير اسم فعل كرويد .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ

فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

اللغــة :

(حرض) التحريض في اللغة : المبالغة في الحث على الأمر من الحرض ، وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت ، أو أن تسميه حرضاً وتقول لـه : ما أراك إلا حرضاً في هـذا الأمر ومحرضاً فيه ليهيجه ويحرّك منه ، ويقال : حركه وحرضه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى ، وفي المصباح : حرض حرضاً ـ من باب تعب ـ أشرف على الهلاك ، فهو حرض بفتـح الراء تسمية بالمصدر مبالغة ، وحرضته على الشيء تحريضاً . وفي المختار : والتحريض عـلى القتال الحث والاحماء عليه .

الاعراب :

(يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال) حرض فعل أمر وفاعله أنت والمؤمنين مفعول به وعلى القتال جار ومجرور متعلقان بحرض . (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين) إن شرطية ويكن فعل الشرط ومنكم خبر يكن المقدم وعشرون اسمها المؤخر وصابرون صفة ويغلبوا جواب الشرط ومئتين مفعول به ، ويجوز أن تعرب يكن هنا تامة فيكون عشرون فاعلاً ومنكم حال . (وإن يكن منكم مائة يغلبوا

ألفاً من الذين كفروا) عطف على ما تقدم والاعراب مماثل ومن الذين كفروا صفة لـ « ألفاً » • (بأنهم قوم لا يفقهون) بأنهم جار ومجرور متعلقان بيغلبوا والباء للسببية وأن واسمها وقوم خبرها وجملة لا يفقهون صفة لـ « قوم » • (الآن خفف الله عنكم) الآن ظرف متعلق بخفف والله فاعل وعنكم متعلق بخفف • (وعلم أن فيكم ضعفاً) عطف على خفف وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي علم وفيكم خبر أن المقدم وضعفاً اسمها المؤخر • (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين) فيها ما تقدم من الاعراب • (وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين) عطف على ما تقدم • (بإذن الله والله مع الصابرين) بإذن الله جار ومجرور متعلقان بيغلبوا والله مبتدأ ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر والصابرين مضاف إليه •

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

اللغــة :

(يثخن) في المصباح « أثخن في الأرض إثخاناً سار الى العدو وأوسعهم قتلاً ، وأثخنته أوهنته بالجراحة وأضعفته » وأثخنه المرض

إذا أثقله ، من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة ، والمعنى حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ، ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك •

(عرض الدنيا) حطامها، سمي بذلك لأنه قليل اللبث يريد الفداء، وقد سمى المتكلمون الأعراض أعراضاً لأنها لا ثبات لها ، فإنها تطرأ على الأجسام ثم تزول عنها •

الاعراب :

(ما كان لنبي أن يكون له أسرى) ما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنبي خبر مقدم وأن وما في حيزها اسمها ويجوز أن تكون تامة بمعنى ما حصل وما استقام فيتعلق الجار والمجرور بها وتكون أن ومافي حيزها فاعلاً لها • ويكون وخبرها المقدم واسمها المؤخر • (حتى يثخن في الأرض) حتى حرف غاية وجر ويثخن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيثخن • (تريدون عرض الدنيا) الجملة استئنافية وعرض الدنيا مفعول تريدون • (والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) الواو استئنافية أو عاطفة والله مبتدأ وجملة يريد الآخرة خبر ، والله مبتدأ وعزيز خبر أول وحكيم خبر ثان • (لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم) لولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط وكتاب مبتدأ محذوف الخبر ومن الله نعت لكتاب وكذا سبق والخبر محذوف تقديره موجود ولمسكم اللام واقعة في جواب لولا ومسكم فعل ومفعول به وفيما جار ومجرور متعلقان بمسكم أي : بسبب ما أخذتم وما مضافة وأخذتم صلة وعذاب فاعل وعظيم صفة • (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله

غفور رحيم) الفاء الفصيحة أي ما دمت قد أبحت لكم الغنائم فكلوا ، وكلوا فعل أمر وفاعل ومما جار ومجرور متعلقان بكلوا وجملة غنمتم صلة وحلالاً نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلاً حلالاً ، واتقوا عطف على كلوا ولفظ الجلالة مفعول به وإن واسمها وخبراها .

البلاغـة :

حسن التعليل :

في قوله تعـالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » فن يدعى « فن التعليل » ، وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع ، فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة التقدم على المعلول ، وسبق الكتاب من الله تعـالى هو العلة في النجاة من العذاب .

هـذا وبالنسبة للعلة والوصف المعلـل ينقسم هـذا الفن الى أربعة أقسام :

١ ــ ثابت ظاهر العلة ولكنها مخالفة للعلة الأصلية ومثاله قول ابن المعتز :

قالوا : اشتكت عينـه ، فقلت لهـم :
من كثـرة القتـل نالهـا الوصـب
حمرتهـا من دمـاء من قتلـت
والـدم في السيف شاهـد عجـب

فإن العلة الحقيقية في حمرة العين هي الرمد وهي ظاهرة تركها الشاعر ، وعلل بعلة غير حقيقية وهي : أن حمرتها من دماء من قتلت من العشاق •

٢ - ثابت خفي العلة كقول أبي الطيب المتنبي :

لم يحك نائلك السحاب وإنما حُمَّت به فصبيبها الرُّحضاء

يعني أن السحاب لم يحك نائلك ، أي عطاءك ، وإنما صارت محمومة بسبب نائلك وتفوقه عليها ، فالمصبوب منها هو عرق الحمى ، فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة ، وقد علله بأنه عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح •

٣ - ثابت وهو متمكن كقول مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني :

يا واشياً حسنت فينا إساءته نجى حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت إلا أنه ممكن ، وقد خالف الناس في استحسانها معللاً بأن حذره من الواشي كان سبباً لسلامة إنسان عينه من الغرق في الدموع حيث ترك البكاء خوفاً منه •

٤ - القسم الرابع ليس بثابت ولا ممكن كقول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فنسبة النية الى الجوزاء غير ثابتة ولا ممكنة ، فإن الارادة لا تكون إلا من حي ، والجوزاء جماد ليس فيه حياة ولا إرادة لها

ولا نية وقد نسب الشاعر ذلك اليها وعلله بأمارة الخدمة وهي عقـد النطـاق . لأن الجوزاء صورتها صورة شخص قد انتطق . والنطاق الزنار وكل ما يشد به الوسط .

وواضح أن الآية الكريمة ليست داخلة في نطاق هذه الأقسام الأربعة التي لا تخلو من تكلف . وإنما هي من مطلق التعليل لحكم من الأحكام .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

الاعراب :

﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ﴾ لمن متعلقان بقل وفي أيديكم صلة لمن ومن الأسرى حال. ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً ﴾ إن شرطية ويعلم فعل الشرط والله فاعل وفي قلوبكم مفعول به ليعلم وخيراً مفعول به ثان والجملة الشرطية مقول القول . ﴿ يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ يؤتكم جواب الشرط والكاف مفعول به أول وخيراً مفعول به ثان ومما متعلقان بـ « خيراً » وجملة أخذ صلة ومنكم متعلقان بأخذ ويغفر لكم عطف على يؤتكم والله مبتدأ وغفور خبر أول ورحيم خبر ثان . ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل ﴾ الواو عاطفة وإن شرطية ويريدوا فعل الشرط والواو فاعل وخيانتك مفعول به والفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وخانوا الله فعل وفاعل ومفعول به ومن قبل متعلقان بخانوا وبنيت قبلُ على الضم لانقطاعها عن الاضافة لفظاً لا معنى أي قبل بدر بالكفر . ﴿ فأمكن منهم والله عليم حكيم ﴾ الفاء عاطفة وأمكن فعل ماض وفاعل مستتر ومنهم متعلقان بأمكن ومفعول أمكن محذوف أي أمكنك منهم والله مبتدأ وخبراه . ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ ان واسمها وجملة آمنوا صلة وما بعده من الأفعال عطف عليه . ﴿ والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ والذين عطف على الذين وجملة آووا صلة ونصروا عطف على آووا وأولئك مبتدأ وبعضهم مبتدأ ثان وأولياء بعض خبره والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول وجملة أولئك ... الخ خبر إن . ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾ والذين عطف جملة على جملة ، والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة ولم

يهاجروا عطف على آمنوا ، أو الواو حالية ، ما نافية ولكم خبر مقدم ومن ولايتهم حال لأنه كان في الأصل صفة لشيء . ومن حرف جر زائد وشيء مبتدأ مؤخر محلاً وجملة مالكم خبر الذين وحتى حرف غاية وجر ويهاجروا منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بما في النفي من معنى الفعل أي ابتغت ولايتك عليهم الى هجرتهم . (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) الواو عاطفة وإن شرطية واستنصروكم فعل وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وفي الدين جار ومجرور متعلقان باستنصروكم والفاء رابطة وعليكم خبر مقدم والنصر مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط . (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) إلا أداة استثناء وعلى قوم جار ومجرور متعلقان بالمستثنى المحذوف أي : إلا النصر على قوم وبينكم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وبينهم عطف على بينكم وميثاق مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة لقوم ، أي فهؤلاء القوم لا تنصروهم عليهم وتنقضوا العهد، والله مبتدأ وبصير خبره وبما تعملون متعلقان ببصير .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

الاعراب :

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) الواو عاطفة والذين مبتدأ وكفروا صلة وبعضهم مبتدأ ثان وأولياء خبر بعضهم والجملة خبر الذين ، ويجوز أن يكون بعضهم بدلاً من اسم الاشارة ، والخبر أولياء بعض (إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) إن شرطية ولا زائدة وتفعلوه فعل مضارع وفاعل ومفعول به وهو فعل الشرط وتكن جواب الشرط وهي تامة وفتنة فاعل أي تحصل فتنة وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بتكن وفساد عطف على فتنة وكبير صفة لفتنة . (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) الذين مبتدأ وآمنوا صلة وما بعده عطف عليه . (والذين آووا ونصروا) عطف على الذين آمنوا (أو لئك هم المؤمنون حقاً) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل أو مبتدأ ثان والمؤمنون خبر أولئك أو خبر « هم » والجملة خبر أولئك وحقاً مفعول مطلق (لهم مغفرة ورزق كريم) لهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر ورزق عطف على مغفرة وكريم صفة . (والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم) الذين مبتدأ وآمنوا صلة وما بعده عطف عليه . (فأولئك منكم) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط واسم الاشارة مبتدأ ومنكم خبره . (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أولو مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والأرحام مضاف اليه وبعضهم مبتدأ وأولى خبره وببعض جار ومجرور متعلقان بأولى وفي كتاب الله خبر لمبتدأ محذوف أي هذا الحكم المذكور في كتاب الله.(إن الله بكل شيء عليم) إن واسمها وبكل شيء متعلق بعليم وعليم خبر إن .